كتاب الملل والنحل

BOOK

OF

RELIGIOUS AND PHILOSOPHICAL SECTS,

BY

MUHAMMAD AL-SHARASTÁNI.

PART I.

CONTAINING

THE ACCOUNT OF RELIGIOUS SECTS.

NOW FIRST EDITED FROM THE COLLATION OF SEVERAL MSS.

BY THE

REV. WILLIAM CURETON, M.A. F.R.S. F.S.A.

ASSISTANT KEEPER OF THE MANUSCRIPTS IN THE BRITISH MUSEUM,

LATE SUB-LIBRARIAN OF THE BODLEIAN LIBRARY.

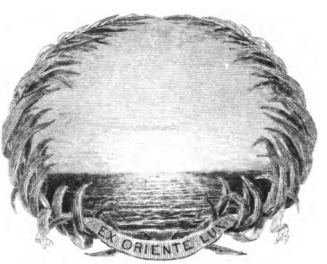

LONDON:

PRINTED FOR THE SOCIETY FOR THE PUBLICATION OF ORIENTAL TEXTS.

SOLD BY

JAMES MADDEN & Co. 8, LEADENHALL STREET;

AND BY F. A. BROCKHAUS, LEIPSIC.

MDCCCXLII.

Digitized by Google

Digitized by Google

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمد الشاكرين بجميع محامده كلها علي جميع نعمائه كلها حمداً كثيرًا طيّبًا مباركًا كما هو اهله وصلي الله علي محمد المصطفي رسول الرحمة خاتم النبيين وعلي آله الطيبين الطاهرين صلوة دائمة بركتها الي يوم الدين كما صلي علي ابراهيم وعلي آل ابراهيم انه حميد مجيد لما وفقني الله تعالي مطالعة مقالات اهل العالم من ارباب الديانات والملل واهل الاهواء والنحل والوقوف علي مصادرها ومواردها واقتناص اوانسها وشواردها اردت ان اجمع ذلك في مختصر يحوي جميع ما تديّن به المتدينون وانتحله المنتحلون عبرة لمن استبصر واستبصارًا لمن اعتبر وقبل الخوض فيما هو الغرض لا بد من ان اقدّم خمس مقدمات المقدمة الاولي في بيان اقسام اهل العالم جملة مرسلة المقدمة الثانية في تعيين قانون يبتني عليه تعديد الفرق الاسلامية المقدمة الثالثة في بيان اول شبهة وقعت في الخليقة ومن مصدرها ومن مظهرها المقدمة الرابعة في بيان اول شبهة وقعت في الملة الاسلامية وكيف

Digitized by Google

انشعابها ومن مصدرها ومن مظهرها المقدمة الخامسة في السبب الذي اوجب ترتيب هذا الكتاب علي طريق الحساب

المقدمة الاولي في بيان تقسيم اهل العالم جملة مرسلة من الناس من قسم اهل العالم بحسب الاقاليم السبعة واعطي اهل كل اقليم حظّه من اختلاف الطبائع والانفس التي تدل عليها الالوان والالسن ومنهم من قسمهم بحسب الاقطار الاربعة التي هي الشرق والغرب والجنوب والشمال ووفّر علي كل قطر حقه من اختلاف الطبائع وتباين الشرائع ومنهم من قسمهم بحسب الامم فقال كبار الامم اربعة العرب والعجم والروم والهند ثم زاوج بين امة وامة فذكر ان العرب والهند يتقاربان علي مذهب واحد واكثر ميلهم الي تقرير خواص الاشياء والحكم باحكام الماهيات والحقائق واستعمال الامور الروحانية والروم والعجم يتقاربان علي مذهب واحد واكثر ميلهم الي تقرير طبائع الاشياء والحكم باحكام الكيفيات والكميات واستعمال الامور الجسمانية ومنهم من قسمهم بحسب الاراء والمذاهب وذلك غرضنا في تاليف هذا الكتاب وهم منهم منقسمون بالقسمة الصحيحة الاولي الي اهل الديانات والملل واهل الاهواء والنحل فارباب الديانات مطلقاً مثل المجوس واليهود والنصاري والمسلمين واهل الاهواء والاراء مثل الفلاسفة الدهرية والصابية وعبدة الكواكب والاوثان والبراهمة ويفترق كل منهم فرقاً فاهل الاهواء ليست تنضبط مقالاتهم في عدد معلوم واهل الديانات قد انحصرت مذاهبهم بحكم الخبر الوارد فيها فافترقت المجوس علي سبعين فرقة واليهود علي احدي وسبعين فرقة والنصاري علي اثنين وسبعين فرقة والمسلمون علي ثلث

Digitized by Google

وسبيعن فرقة والناجية ابداً من الفرق واحدة اذ الحق من القضيتين المتقابلتين في واحدة ولا يجوز ان يكون قضيتان متناقضتان متقابلتان علي شرائط التقابل الا وان تقتسما الصدق والكذب فيكون الحق في احديهما دون الاخري ومن المحال الحكم علي المتخاصمين المتضادّين في اصول المعقولات بانهما محقّان صادقان واذا كان الحق في كل مسئلة عقلية واحداً فالحق في جميع المسائل يجب ان يكون مع فرقة واحدة وانما عرفنا هذا بالسمع وعنه اخبر التنزيل في قوله عز وجل وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ واخبر النبي عليه السلم ستفترق امتي علي ثلث وسبعين فرقة الناجية منها واحدة والباقون هلكي قيل ومن الناجية قال اهل السنة والجماعة قيل وما السنة والجماعة قال ما انا عليه اليوم واصحابي وقال لا تزال طائفة من امتي ظاهرين علي الحق الي يوم القيمة وقال عليه السلم لا تجتمع امتي علي الضلالة

المقدمة الثانية في تعيين قانون ينبغي عليه تعديد الفرق الاسلامية اعلم ان لاصحاب المقالات طرقاً في تعديد الفرق الاسلامية لا علي قانون مستند الي نص ولا علي قاعدة مخبرة عن الوجود فما وجدت مصنفين منهم متفقين علي منهاج واحد في تعديد الفرق ومن المعلوم الذي لا مِرآء فيه ان ليس كل من تميّز عن غيره بمقالة ما في مسئلة ما عدّ صاحب مقالة فتكاد تخرج المقالات عن حد الحصر والعدّ ويكون من انفرد بمسئلة في احكام الجواهر مثلاً معدوداً في عداد اصحاب المقالات فلا بد اذاً من ضابط في مسائل هي اصول وقواعد يكون الاختلاف فيها اختلافاً يعتبر مقالة وبعدّ صاحبه صاحب مقالة وما وجدتُ لاحد من ارباب المقالات

Digitized by Google

عناية بتقرير هذا الضابط الا انهم استرسلوا في ايراد مذاهب الامة كيف اتفق وعلي الوجه الذي وجد لا قانون مستقر واصل مستمر فاجتهدت علي ما تيسر من التقدير وتقدر من التيسير حقي حصرتها في اربع قواعد هي الاصول الكبار القاعدة الاولي الصفات والتوحيد فيها وهي تشتمل علي مسائل الصفات الازلية اثباتاً عند جماعة ونفياً عند جماعة وبيان صفات الذات وصفات الفعل وما يجب لله تعالي وما يجوز عليه وما يستحيل وفيها الخلاف بين الاشعرية والكرامية والمجسمة والمعتزلة القاعدة الثانية القدر والعدل وهي تشتمل علي مسائل القضاء والقدر والجبر والكسب وارادة الخير والشر والمقدور والمعلوم اثباتاً عند جماعة ونفياً عند جماعة وفيها الخلاف بين القدرية والنجارية والجبرية والاشعرية والكرامية القاعدة الثالثة الوعد والوعيد والاسماء والاحكام وهي تشتمل علي مسائل الايمان والتوبة والوعيد والارجاء والتكفير والتضليل اثباتاً علي وجه عند جماعة ونفياً عند جماعة وفيها الخلاف بين المرجئة والوعيدية والمعتزلة والاشعرية والكرامية القاعدة الرابعة السمع والعقل والرسالة والامامة وهي تشتمل علي مسائل التحسين والتقبيح والصلاح والاصلح واللطف والعصمة في النبوة وشرائط الامامة نصاً عند جماعة واجماعاً عند جماعة وكيفية انتقالها علي مذهب من قال بالنص وكيفية اثباتها علي مذهب من قال بالاجماع والخلاف فيها بين الشيعة والخوارج والمعتزلة والكرامية والاشعرية فاذا وجدنا انفراد واحد من ائمة الامة بمقالة من هذه القواعد عددنا مقالته مذهباً وجماعته فرقة وان وجدنا واحداً انفرد بمسئلة فلا نجعل مقالته مذهباً وجماعته فرقة بل نجعله مندرجاً تحت واحد ممن وافق سواها مقالته ورددنا باقي مقالته الي الفروع

Digitized by Google

التي لا تعدّ مذهباً مفرداً فلا تذهب المقالات الي غير النهاية واذا تعينت المسائل التي هي قواعد الخلاف تبينت اقسام الفرق وانحصرت كبارها في اربع بعد ان تداخل بعضها في بعض كبار الفرق الاسلامية اربع القدرية الصفاتية الخوارج الشيعة ثم يتركب بعضها مع بعض ويتشعب عن كل فرقة اصناف فتصل الي ثلث وسبعين فرقة ولاصحاب كتب المقالات طريقان في الترتيب احدهما انهم وضعوا المسائل اصولاً ثم اوردوا في كل مسئلة مذهب طائفة طائفة وفرقة وفرقة والثاني انهم وضعوا الرجال واصحاب المقالات اصولاً ثم اوردوا مذاهبهم في مسئلة مسئلة وترتيب هذا المختصر علي الطريقة الاخيرة لاني وجدتها اضبط للاقسام واليق بابواب الحساب وشرطي علي نفسي ان اورد مذهب كل فرقة علي ما وجدته في كتبهم من غير تعصب لهم ولا كسر عليهم دون ان ابيّن صحيحه من فاسده واعيّن حقه من باطله وان كان لا يخفي علي الافهام الذكية في مدارج الدلائل العقلية لمحات الحق ونفحات الباطل

المقدمة الثالثة في بيان اول شبهة وقعت في الخليقة ومن مصدرها في الاول ومن مظهرها في الاخر اعلم ان اول شبهة وقعت في الخليقة شبهة ابليس لعنه الله ومصدرها استبداده بالراي في مقابلة النص واختياره الهوي في معارضة الامر واستكباره بالمادة التي خُلق منها وهي النار علي مادة آدم عليه السلم وهي الطين وانشعبت (من) هذه الشبهة سبع شبهات وسارت في الخليقة وسرت في اذهان الناس حتي صارت مذاهب بدعة وضلال وتلك الشبهات مسطورة في شرح الاناجيل الاربعة انجيل لوقا ومارقوس ويوحنا

Digitized by Google

ومتي ومذكورة في التورية متفرقة علي شكل مناظرة بينه وبين الملائكة بعد الامر بالسجود والامتناع منه قال كما نقل عنه اني سلمت ان الباري تعالي الهي واله الخلق عالم قادر ولا يسأل عن قدرته ومشيئته فانه مهما اراد شيأً قال له كن فيكون وهو حكيم الا انه يتوجه علي مساق حكمته اسولة قالت الملائكة ما هي وكم هي قال لعنه الله سبع الاول منها انه علم قبل خلقي اي شي يصدر عني ويحصل مني فلِمَ خلقني اولاً وما الحكمة في خلقه اياي والثاني اذ خلقني علي مقتضي ارادته ومشيئته فلِمَ كلّفني بمعرفته وطاعته وما الحكمة في التكليف بعد ان لا ينتفع بطاعة ولا يتضرر بمعصية والثالث اذ خلقني وكلفني فالتزمت تكليفه بالمعرفة والطاعة فعرفتُ واطعتُ فلِمَ كلفني بطاعة آدم والسجود له وما الحكمة في هذا التكليف علي الخصوص بعد ان لا يزيد ذلك في معرفتي وطاعتي والرابع اذ خلقني وكلفني علي الاطلاق وكلفني بهذا التكليف علي الخصوص فاذا لم اسجد فلِمَ لعنني واخرجني من الجنة وما الحكمة في ذلك بعد ان لم ارتكب قبيحاً الا قولي لا اسجد الا لك والخامس اذ خلقني وكلفني مطلقاً وخصوصاً فلم أُطِع فلعنني وطردني فلِمَ طرّقني الي آدم حتي دخلت الجنة ثانياً وغررته بوسوستي فاكل من الشجرة المنهي عنها واخرجه من الجنة معي وما الحكمة في ذلك بعد ان لو منعني من دخول الجنة استراح مني آدم وبقي خالداً فيها والسادس اذ خلقني وكلفني عموماً وخصوصاً ولعنني ثم طرقني الي الجنة وكانت الخصومة بيني وبين آدم فلِمَ سلّطني علي اولاده حتي اراهم من حيث لا يرونني وتؤثر فيهم وسوستي ولا يؤثر فيّ حولهم وقوتهم وقدرتهم واستطاعتهم وما الحكمة في ذلك بعد ان لو خلقهم علي الفطرة دون من

Digitized by Google

يحتالهم عنها فيعيشوا طاهرين سامعين مطيعين كان احري بهم واليق بالحكمة والسابع سلمت هذا كله خلقني وكلفني مطلقاً ومقيداً واذ لم اطع لعنني وطردني واذا اردت دخول الجنة مكّنني وطرقني واذ عملت عملي اخرجني ثم سلطني علي بني آدم فلِمَ اذا استمهلته أمهلني فقلتُ انظرني الي يوم يُبعَثون قال انك من المنظرين الي يوم الوقت المعلوم وما الحكمة في ذلك بعد ان لو اهلكني في الحال استراح آدم والخلق مني وما بقي شر ما في العالم اليس بقاء العالم علي نظام الخير خيراً من امتزاجه بالشر قال فهذه حجتي علي ما ادعيته في كل مسئلة قال شارح الانجيل فاوحي الله تعالي الي الملائكة عليهم السلم قالوا له انك في تسليمك الاول اني الهك والله الخلق غير صادق ولا مخلص اذ لو صدقت اني اله العالمين ما احتكمت عليّ بِلِمَ فانا الله الذي لا اله الا انا لا اسئل عما افعل والخلق مسئولون هذا الذي ذكرته مذكور في التورية ومسطور في الانجيل علي الوجه الذي ذكرته وكنت برهة من الزمان اتفكر واقول ان من المعلوم الذي لا مِراء فيه ان كل شبهة وقعت لبني آدم فانما وقعت من اضلال الشيطان الرجيم ووساوسه نشأت من شبهاته واذا كانت الشبهات محصورة في سبع عادت كبار البدع والضلالات الي سبع ولا يجوز ان يعدو شبهات فرق الزيغ والكفر هذه الشبهات وان اختلفت العبارات وتباينت الطرق فانها بالنسبة الي انواع الضلالات كالبذور ويرجع جملتها الي انكار الامر بعد الاعتراف بالحق والي الجنوح الي الهوي في مقابلة النص هذا ومن جادل نوحاً وهوداً وصالحاً وابرهيم ولوطاً وشعيباً وموسي وعيسي ومحمداً صلوات الله عليهم اجمعين كلهم نسجوا علي

Digitized by Google

منوال اللعين الاول في اظهار شبهاته وحاصلها يرجع الي دفع التكليف عن نفسهم وجحد اصحاب الشرائع والتكاليف باسرهم اذ لا فرق بين قولهم أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا وبين قوله أَأَسْجد لمن خلقت طينًا وعن هذا صار مفصل الخلاف ومحزّ الافتراق ما هو في قوله تعالي وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا فبيّن ان المانع من الايمان هو هذا المعني كما قال في الاول ما منعك ان لا تسجد اذ امرتك قال انا خير منه وقال المتاخر من ذريته كما قال المتقدم انا خير من هذا الذي هو مهين وكذلك لو تعقبنا احوال المتقدمين منهم وجدناها مطابقة لاقوال المتاخرين كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل فاللعين الاول لما ان حكّم العقلَ علي من لا يحتكم عليه العقلُ لزمه ان يجري حكم الخالق في الخلق او حكم الخلق في الخالق والاول غُلُوّ والثاني تقصير فثار من الشبهة الاولي مذاهب الحلولية والتناسخية والمشبهة والغلاة من الروافض حيث غلوا في حق شخص من الاشخاص حتي وصفوه بصفات الجلال وثار من الشبهة الثانية مذاهب القدرية والجبرية والمجسمة حيث قصروا في وصفه تعالي بصفات المخلوقين فالمعتزلة مشبهة الافعال والمشبهة حلولية الصفات وكل واحد منهم اعور باي عينيه شاء فان من قال انما يحسن منه ما يحسن منّا ويقبح منه ما يقبح منّا فقد شبه الخالق بالخلق ومن قال يوصف الباري تعالي بما يوصف به الخلق او يوصف الخلق بما يوصف به الباري تعالي عز اسمه فقد اعتزل عن الحق وسنخ القدرية طلب العلة في كل شي وذاك من سنخ اللعين الاول اذ طلب العلة في الخلق اولاً والحكمة

Digitized by Google

في التكليف ثانياً والفائدة في تكليف السجود لادم عليه السلم ثالثاً وعنه نشأ مذهب الخوارج اذ لا فرق بين قولهم لا حكم الا لله ولا يحكم الرجال وبين قوله لا اسجد الا لك أأسجد لبشر خلقته من صلصال وبالجملة كلا طرفي قصد الامور ذميم فالمعتزلة غلوا في التوحيد بزعمهم حتي وصلوا الي التعطيل بنفي الصفات والمشبهة قصروا حتي وصفوا الخالق بصفات الاجسام والروافض غلوا في النبوة والامامة حتي وصلوا الي الحلول والخوارج قصروا حيث نفوا تحكيم الرجال وانت تري ان هذه الشبهات كلها ناشئة من شبهات اللعين الاول وتلك في الاول مصدرها وهذه في الاخر مظهرها واليه اشار التنزيل في قوله تعالي وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ ٱلشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وشبه النبي صلي الله عليه وسلم كل فرقة ضالة من هذه الامة بامة ضالة من الامم السالفة فقال القدرية مجوس هذه الامة وقال المشبهة يهود هذه الامة والرافضة نصاراها وقال عليه السلم جملة لتسلكنّ سبل الامم قبلكم حَذْوَ القذّة بالقذّة والنعل بالنعل حتي لو دخلوا جحر ضبّ لدخلتموه

المقدمة الرابعة في بيان اول شبهة وقعت في الملة الاسلامية وكيف انشعابها ومن مصدرها ومن مظهرها وكما قررنا ان الشبهات التي في اخر الزمان هي بعينها تلك الشبهات التي وقعت في اول الزمان كذلك يمكن ان يقرر في زمان كل نبي ودور كل صاحب ملة وشريعة ان شبهات امته في اخر زمانه ناشئة من شبهات خصماء اول زمانه من الكفّار والمنافقين واكثرها من المنافقين وان خفي علينا ذلك في الامم السالفة لتمادي الزمان فلم يخف في هذه الامة ان شبهاتها نشاءت كلها من شبهات

Digitized by Google

منافقي زمن النبي عليه السلم اذ لم يرضوا بحكمه فيما كان يامر وينهي وشرعوا فيما لا مسرح للفكر فيه ولا مسرى وسألوا عمّا منعوا من الخوض فيه والسؤال عنه وجادلوا بالباطل فيما لا يجوز الجدال فيه اعتبر حديث ذي الخُوَيصرة التميمي اذ قال اعدل يا محمد فانك لم تعدل حتي قال عليه السلم ان لم اعدل فمن يعدل فعاود اللعين وقال هذه قسمة ما اريد بها وجه الله تعالي وذلك خروج صريح علي النبي عليه السلم ولو صار من اعترض علي الامام الحق خارجيًا فمن اعترض علي الرسول الحق اولي ان يصير خارجيًا أوَليس ذلك قولاً بتحسين العقل وتقبيحه وحكمًا بالهوي في مقابلة النص واستكبارًا علي الامر بقياس العقل حتي قال عليه السلم سيخرج من ضئضيُ هذا الرجل قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية الخبر بتمامه واعتبر حال طائفة من المنافقين يوم أُحُد اذ قالوا هل لنا من الامر من شيُ وقولهم لو كان لنا من الامر شيُ ما قُتلنا هاهنا وقولهم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قُتِلوا فهل ذلك الا تصريح بالقدر وقول طائفة من المشركين لو شاء الله ما عبَدنا من دونه من شيُ وقول طائفة أنُطعم من لو يشاء الله اطعمه تصريح بالجبر واعتبر حال طائفة اخري حيث جادلوا في ذات الله تفكرًا في جلاله وتصرفًا في افعاله حتي منعهم وخوّفهم بقوله تعالي وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَآءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ فهذا ما كان في زمانه عليه السلم وهو علي شوكته وقوته وصحة بدنه والمنافقون يخادعون فيظهرون الاسلام ويبطنون النفاق وانما يظهر نفاقهم في كل وقت بالاعتراض علي حركاته وسكناته فصارت الاعتراضات كالبذور وظهر منها الشبهات كالزروع واما الاختلافات الواقعة في حال مرضه وبعد وفاته بين الصحابة رضي

Digitized by Google

الله عنهم فهي اختلافات اجتهادية كما قيل كان غرضهم فيها اقامة مراسم الشرع وادامة مناهج الدين فاول تنازع وقع في مرضه عليه السلم فيما رواه محمد بن اسمعيل البخاري باسناده عن عبد الله بن عباس قال لما اشتدّ بالنبيّ صلي الله عليه وسلم مرضه الذي مات فيه قال ايتوني بدواة وقرطاس اكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعدي فقال عمر ان رسول الله قد غلبه الوجع حسبنا كتاب الله وكثر اللغط فقال النبي عليه السلم قوموا عنّي لا ينبغي عندي التنازع قال ابن عباس الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله الخلاف الثاني في مرضه انه قال جهزوا جيش أُسامة لعن الله من تخلف عنها فقال قوم يجب علينا امتثال امره وأُسامة قد برز من المدينة وقال قوم قد اشتد مرض النبي عليه السلم فلا تسع قلوبنا لمفارقته والحالة هذه فنصبر حتي نبصر ايش يكون من امره وانما اوردت هذين التنازعين لان المخالفين ربما عدّوا ذلك من الخلافات المؤثرة في امر الدين وهو كذلك وان كان الغرض كله اقامة مراسم الشرع في حال تزلزل القلوب وتسكين نائرة الفتنة المؤثرة عند تقلّب الامور الخلاف الثالث في موته عليه السلم قال عمر بن الخطاب من قال انّ محمداً مات قتلتُه بسيفي هذا وانما رُفع الي السماء كما رُفع عيسي بن مريم عليه السلم وقال ابو بكر بن ابي قحافة من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ومن كان يعبد الله محمد فانه حي لا يموت وقرأ هذه الاية وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَابِكُمْ فرجع القوم الي قوله وقال عمر كاني ما سمعت هذه الاية حتي قرأها ابو بكر الخلاف الرابع في موضع دفنه عليه السلم اراد اهل مكة من المهاجرين ردّه

الي مكة لانها مسقط راسه ومأنس نفسه وموطئ قدمه وموطن اهله وموقع رحله وارادت اهل المدينة من الانصار دفنه بالمدينة لانها دار هجرته ومدار نصرته وارادت جماعة نقله الي بيت المقدس لانه موضع دفن الانبياء ومنه معراجه الي السماء ثم اتفقوا علي دفنه بالمدينة لما روي عنه عليه السلم الانبيا يُدفنون حيث يموتون الخلاف الخامس في الامامة واعظم خلاف بين الامة خلاف الامامة اذ ما سلّ سيف في الاسلام علي قاعدة دينية مثل ما سلّ علي الامامة في كل زمان وقد سهّل الله تعالي ذلك في الصدر الاول فاختلف المهاجرون والانصار فيها وقالت الانصار منّا امير ومنكم امير واتفقوا علي رئيسهم سعد بن عبادة الانصاري فاستدركه ابو بكر وعمر في الحال بان حضرا سقيفة بني ساعدة وقال عمر كنت ازوّر في نفسي كلامًا في الطريق فلما وصلنا الي السقيفة اردت ان اتكلم فقال ابو بكر مه يا عمر فحمد الله واثني عليه وذكر ما كنت اقدره في نفسي كانه يخبر عن غيب فقبل ان يشتغل الانصار بالكلام مددت يدي اليه فبايعته وبايعه الناس وسكنت النائرة الا ان بيعة ابي بكر كانت فلتة وقي الله شرّها فمن عاد الي مثلها فاقتلوه فايما رجل بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين فانهما تَغِرَّة ان يُقتَلا وانما سكنت الانصار عن دعويهم لرواية ابي بكر عن النبي عليه السلم الائمة من قريش وهذه البيعة هي التي جرت في السقيفة ثم لما عاد الي المسجد انثال الناس عليه وبايعوه عن رغبة سوي جماعة من بني هاشم وابي سفيان من بني امية وامير المومنين علي كرم الله وجهه كان مشغولاً بما امره النبي عليه السلم من تجهيزه ودفنه وملازمة قبره من غير منازعة ولا مدافعة الخلاف السادس في امر فدك والتوارث عن النبي عليه

Digitized by Google

السلم ودعوي فاطمة عليها السلم وراثة تارة وتمليكاً اخري حتي دفعت عن ذلك بالرواية المشهورة عن النبي عليه السلم نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه (فهو) صدقة الخلاف السابع في قتال مانعي الزكوة فقال قوم لا نقاتلهم قتال الكفرة وقال قوم بل نقاتلهم حتي قال ابو بكر لو منعوني عقالاً ممّا اعطوا رسول الله لقاتلتهم عليه ومضي بنفسه الي قتالهم ووافقه الصحابة باسرهم وقد ادّي اجتهاد عمر في ايام خلافته الي رد السبايا والاموال اليهم واطلاق المحبوسين منهم الخلاف الثامن في تنصيص ابي بكر علي عمر بالخلافة وقت الوفاة فمن الناس من قال قد ولّيتَ علينا فَظّاً غليظاً وارتفع الخلاف بقول ابي بكر لو سألني ربي يوم القيمة فقلت ولّيتُ عليهم خير اهلهم وقد وقع في زمانهم اختلافات كثيرة في مسائل ميراث الجد والاخوة والكلالة وفي عقل الاصابع وديات الاسنان وحدود بعض الجرائم التي لم يرد فيها نص وانما اهمّ امورهم الاشتغال بقتال الروم وغزو العجم وفتح الله تعالي الفتوح علي المسلمين وكثرت السبايا والغنائم وكانوا كلهم يصدرون عن راي عمر وانتشرت الدعوة وظهرت الكلمة ودانت العرب ولانت العجم الخلاف التاسع في امر الشوري واختلاف الاراء فيها حتي اتفقوا كلهم علي بيعة عثمان رضي الله عنه وانتظم الملك واستقرت الدعوة في زمانه وكثرت الفتوح وامتلأ بيت المال وعاشر الخلق علي احسن خلق وعامَلهم بابسط يد غير ان اقاربه من بني امية قد ركبوا نهابر فركبته وجاروا فجير عليه ووقعت اختلافات كثيرة واخذوا عليه احداثاً كلها محالة علي بني امية منها ردّه الحكم بن امية الي المدينة بعد ان طرده النبي عليه السلم وكان يسمّي طريد رسول الله وبعد ان تشفّع الي

وعاش

ابي بكر وعمر رضي الله عنهما ايام خلافتهما فما اجابا الي ذلك ونفاه عمر من مقامه باليمن اربعين فرسخاً ومنها نفيه ابا ذرّ الي الربذة وتزويجه مروان بن الحكم بنته وتسليمه خمس غنائم افريقية له وقد بلغت مايتي الف دينار ومنها ايواؤه عبد الله بن سعد بن ابي سرح بعد ان اهدر النبي عليه السلم دمه وتوليته اياه مصر باعمالها وتوليته عبد الله بن عامر البصرة حتي احدث فيها ما احدث الي غير ذلك مما نقموا عليه وكان امراء جنوده معاوية بن ابي سفيان عامل الشام وسعد بن ابي وقاص عامل الكوفة وبعده الوليد ابن عقبة وعبد الله بن عامر عامل البصرة وعبد الله بن سعد بن ابي سرح عامل مصر وكلهم خذلوه ورفضوه حتي اتي قدره عليه وقتل مظلومًا في داره وثارت الفتنة من الظلم الذي جري عليه ولم تسكن بعد الخلاف العاشر في زمان امير المؤمنين علي كرم الله وجهه بعد الاتفاق عليه وعقد البيعة له فاولاً خروج طلحة والزبير الي مكة ثم حمل عائشة الي البصرة ثم نصب القتال معه ويعرف ذلك بحرب الجمل والحق انهما رجعا وتابا اذ ذكرهما امرًا فتذكرا فاما الزبير فقتله ابن الجرموز وقت الانصراف وهو في النار لقول النبي صلي الله عليه وسلم بشّر قاتل ابن صفية بالنار واما طلحة فرماه مروان بن الحكم بسهم وقت الاعراض فخرّ ميّتاً واما عائشة وكانت محمولة علي ما فعلت ثم تابت بعد ذلك ورجعت . والخلاف بينه وبين معاوية وحرب صفّين ومخالفة الخوارج وحمله علي التحكيم ومغادرة عمرو بن العاص ابا موسي الاشعري وبقاء الخلافة الي وقت الوفاة مشهور وكذلك الخلاف بينه وبين الشراة المارقين بالنهروان عقداً وقولاً ونصب القتال معه فعلاً ظاهراً معروف وبالجملة

Digitized by Google

كان علي مع الحق والحق معه وظهر في زمانه الخوارج عليه مثل الاشعث بن قيس ومسعود بن فدكي التميمي وزيد بن حصين الطايي وغيرهم وكذلك ظهر في زمانه الغلاة في حقه مثل عبد الله بن سبا وجماعة معه ومن الفريقين ابتدأت البدعة والضلالة وصدق فيه قول النبي صلي الله عليه وسلم يهلك فيك اثنان محبّ غالٍ ومبغض قالٍ وانقسمت الاختلافات بعده الي قسمين احدهما الاختلاف في الامامة والثاني الاختلاف في الاصول والاختلاف في الامامة علي وجهين احدهما القول بان الامامة تثبت بالاتفاق والاختيار والثاني القول بان الامامة تثبت بالنص والتعيين فمن قال ان الامامة تثبت بالاتفاق والاختيار قال بامامة كل من اتفقت عليه الامة او جماعة معتبرة من الامة اما مطلقاً واما بشرط ان يكون قرشياً علي مذهب قوم وبشرط ان يكون هاشمياً علي مذهب قوم الي شرائط اخر كما سياتي ومن قال بالاول فقال بامامة معاوية واولاده وبعدهم بخلافة مروان واولاده والخوارج اجتمعوا في كل زمان علي واحد منهم بشرط ان يبقي علي مقتضي اعتقادهم ويجري علي سنن العدل في معاملاتهم والا خذلوه وخلعوه وربما قتلوه ومن قال ان الامامة تثبت بالنص اختلفوا بعد علي عليه السلم فمنهم من قال انما نص علي ابنه محمد بن الحنفية وهولاء هم الكيسانية ثم اختلفوا بعده فمنهم من قال انه لم يمت ويرجع فيملأ الارض عدلاً ومنهم من قال انه مات وانتقلت الامامة بعده الي ابنه ابي هاشم وافترقت هولاء فمنهم من قال الامامة بقيت في عقبه وصية بعد وصية ومنهم من قال انتقلت الي غيره واختلفوا في ذلك الغير فمنهم من قال هو بنان بن سمعان النهدي ومنهم من قال هو علي بن عبد الله بن عباس

Digitized by Google

ومنهم من قال هو عبد الله بن حرب الكندي ومنهم من قال هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب وهولاء كلهم يقولون ان الدين طاعة رجل ويتاوّلون احكام الشرع كلها علي شخص معيّن كما سيأتي مذاهبهم واما من لم يقل بالنص علي محمد بن الحنفية قال بالنص علي الحسن والحسين وقال لا امامة في الاخوين الا الحسن والحسين ثم هولاء اختلفوا فمنهم من اجري الامامة في اولاد الحسن فقال بعده بامامة ابنه الحسن ثم ابنه عبد الله ثم ابنه محمد ثم اخيه ابرهيم الامامين وقد خرجا في ايام المنصور فقُتلا في ايامه ومن هولاء من يقول برجعة محمد الامام ومنهم من اجري الوصية في اولاد الحسين وقال بعده بامامة ابنه علي زين العابدين نصا عليه ثم اختلفوا بعده فقالت الزيدية بامامة ابنه زيد ومذهبهم ان كل فاطمي خرج وهو عالم زاهد شجاع سخي كان اماماً واجب الاتّباع وجوّزوا رجوع الامامة الي اولاد الحسن ثم منهم من وقف وقال بالرجعة ومنهم من ساق وقال بامامة كل من هذا حاله في كل زمان وسيأتي تفصيل مذاهبهم واما الامامية فقالوا بامامة محمد بن علي الباقر نصًا عليه ثم بامامة جعفر بن محمد وصية اليه ثم اختلفوا بعده في اولاده من المنصوص عليه وهم خمسة محمد واسمعيل وعبد الله وموسي وعلي فمنهم من قال بامامة محمد وهم العمارية ومنهم من قال بامامة اسمعيل وانكر موته في حيوة ابيه وهم المباركية ومن هولاء من وقف عليه وقال برجعته ومنهم من ساق الامامة في اولاده نصاً بعد نص الي يومنا هذا وهم الاسمعيلية ومنهم من قال بامامة عبد الله الافطح وقال برجعته بعد موته لانه مات ولم يعقب ومنهم من قال بامامة

Digitized by Google

موسي نصاً عليه اذ قال والده سابعكم قائمكم الا وهو سمّي صاحب التورية ثم هولاء اختلفوا فمنهم من اقتصر عليه وقال برجعته اذ قال لم يمت هو ومنهم من توقف في موته وهم الممطورة ومنهم من قطع بموته وساق الامامة الي ابنه علي بن موسي الرضا وهم القطعية ثم هولاء اختلفوا في كل ولد بعده فالاثنا عشرية ساقوا الامامة من علي الرضا الي ابنه محمد ثم الي ابنه علي ثم الي ابنه الحسن ثم الي ابنه محمد القائم المنتظر الثاني عشر وقال هو حي لم يمت ويرجع فيملأ الارض عدلاً كما مليُت جوراً وغيرهم ساقوا الامامة الي الحسن العسكري ثم قالوا بامامة اخيه جعفر وقالوا بالتوقف عليه او قالوا بالشك في حال محمد ولهم خبط طويل في سوق الامامة والتوقف والقول بالرجعة بعد الموت والقول بالغيبة ثم بالرجعة بعد الغيبة فهذه جملة الاختلافات في الامامة وسيأتي تفصيل ذلك عند ذكر المذاهب واما الاختلافات في الاصول فحدثت في اخر ايام الصحابة بدعة معبد الجهني وغيلان الدمشقي ويونس الاسواري في القول بالقدر وانكار اضافة الخير والشر الي القدر ونسج علي منوالهم واصل بن عطاء الغزّال وكان تلميذ الحسن البصري وتلمذ له عمرو بن عبيد وزاد عليه في مسائل القدر وكان عمرو من دعاة يزيد الناقص ايام بني امية ثم والي المنصور وقال بامامته ومدحه المنصور يوماً فقال نثرت الحب للناس فلقطوا غير عمرو والوعيدية من الخوارج والمرجية من الجبرية والقدرية ابتدأت بدعتهم في زمان الحسن واعتزل واصل عنهم وعن استاذه بالقول بالمنزلة بين المنزلتين فسمّي هو واصحابه معتزلة وقد تلمذ له زيد بن علي واخذ الاصول منه فلذلك صارت الزيدية كلهم معتزلة ومن رفض زيد بن

Digitized by Google

علي بانه خالف مذهب ابائه في الاصول وفي التبرّي والتولّي وهم من اهل الكوفة وكانوا جماعة سميت رافضة ثم طالع بعد ذلك شيوخ المعتزلة كتب الفلاسفة حين فسرت ايام المامون فخلطت مناهجها بمناهج الكلام وافردتها فنًا من فنون العلم وسمّتها باسم الكلام اما لان اظهر مسئلة تكلموا فيها وتقاتلوا عليها هي مسئلة الكلام فسمّي النوع باسمها واما لمقابلتهم الفلاسفة في تسميتهم فنًا من فنون علمهم بالمنطق والمنطق والكلام مترادفان فكان ابو الهذيل العلاف شيخهم الاكبر وافق الفلاسفة في ان الباري تعالي عالم بعلم وعلمه ذاته وكذلك قادر بقدرته وقدرته ذاته وابدع بدعاً في الكلام والارادة وافعال العباد والقول بالقدر والآجال والارزاق كما سيأتي في حكاية مذهبه وجرت بينه وبين هشام بن الحكم مناظرات في احكام التشبيه وابو يعقوب الشحام والادمي صاحبا ابي الهذيل وافقاه في ذلك كله ثم ابرهيم بن سيار النظام في ايام المعتصم كان اعلي في تقرير مذاهب الفلاسفة وانفرد عن السلف ببدع في الرفض والقدر وعن اصحابه بمسائل نذكرها ومن اصحابه محمد بن شبيب وابو شمر وموسي بن عمران والفضل الحدثي واحمد بن حايط ووافقه الاسواري في جميع ما ذهب اليه من البدع وكذلك الاسكافية اصحاب ابي جعفر الاسكافي والجعفرية اصحاب الجعفرين جعفر بن مبشر وجعفر بن حرب ثم ظهرت بدع بشر بن المعتمر من القول بالتولد والافراط فيه والميل الي الطبيعيين من الفلاسفة والقول بان الله تعالي قادر علي تعذيب الطفل واذا فعل ذلك فهو ظالم الي غير ذلك ممّا تفرد به عن اصحابه وتلمذ له ابو موسي المزدار راهب المعتزلة وانفرد عنه بابطال اعجاز القران من جهة الفصاحة والبلاغة وفي ايامه

Digitized by Google

جرت اكثر التشديدات علي السلف لقولهم بقدم القران وتلمذ له الجعفران ابو زفر ومحمد بن سويد صاحبا المزدار وابو جعفر الاسكافي وعيسي بن الهيثم صاحبا جعفر بن حرب الاشج وممن بالغ في القول بالقدر هشام بن عمرو الفوطي والاصمّ من اصحابه وقدحا في امامة علي بقولهما ان الامامة لا تنعقد الا باجماع الامة عن بكرة ابيهم والفوطي والاصمّ اتّفقا علي ان الله تعالي يستحيل ان يكون عالماً بالاشياء قبل كونها ومنعا كون المعدوم شيئًا وابو الحسن الخيّاط واحمد بن علي الشطوي صحبا عيسي الصوفي ثم لزما ابا مخالد وتلمذ الكعبي لابي الحسن الخيّاط ومذهبه بعينه مذهبه واما معمر بن عبّاد السلمي وثمامة ابن اشرس النميري وعمرو بن بحر الجاحظ كانوا في زمان واحد متقاربين في الراي والاعتقاد منفردين عن اصحابهم بمسائل نذكرها والمتاخرون منهم ابو علي الجباي وابنه ابو هاشم والقاضي عبد الجبّار وابو الحسين البصري قد لخصوا طرق اصحابهم وانفردوا عنهم بمسائل كما سيأتي ورونق علم الكلام ابتداؤه فمن الخلفاء العباسية هرون والمامون والمعتصم والواثق والمتوكل وانتهاؤه فمن الصاحب ابن عبّاد وجماعة من الديالمة وظهرت جماعة من المعتزلة متوسطين مثل ضرار بن عمرو وحفص الفرد والحسين النجار من المتاخرين خالفوا الشيوخ في مسائل ونبغ جهم بن صفوان في ايام نصر بن سيار واظهر بدعته في الجبر بترمذ وقتله سالم بن احوز المازني في اخر ملك بني امية بمرو وكانت بين المعتزلة وبين السلف في كل زمان اختلافات في الصفات وكانت السلف يناظرونهم عليها لا علي قانون كلامي بل علي قول اقناعي ويسمّون الصفاتية فمن مثبت صفات الباري تعالي معاني قائمة بذاته ومن مشبه صفاته بصفات الخلق وكلهم يتعلقون

وقد جاء

بظواهر الكتاب والسنة ويناضلون المعتزلة في قدم الكلام علي قول ظاهر وكان عبد الله بن سعيد الكلابي وابو العباس القلانسي والحارث المحاسبي اشبههم اتقاناً وامتنهم كلاماً وجرت مناظرة بين ابي الحسن علي بن اسمعيل الاشعري وبين استاذه ابي علي الجبائي في بعض مسائل والزمه اموراً لم يخرج عنها بجواب فاعرض عنه وانحاز الي طائفة السلف ونصر مذهبهم علي قاعدة كلامية فصار ذلك مذهباً منفرداً وقرر طريقته جماعة من المحققين مثل القاضي ابي بكر الباقلاني والاستاذ ابي اسحق الاسفرايني والاستاذ ابي بكر بن فورك وليس بينهم كثير اختلاف ونبغ رجل متنمس بالزهد من سجستان يقال له ابو عبد الله (بن) الكرّام قليل العلم قد قمش من كل مذهب ضِغْثاً واثبته في كتابه وروّجه علي اغتام غرجة وغور وسواد بلاد خراسان فانتظم ناموسه وصار ذلك مذهباً قد نصره محمود بن سبكتكين السلطان وصب البلاء علي اصحاب الحديث والشيعة من جهتهم وهو اقرب مذهب الي مذهب الخوارج وهم مجسمة وحاش غير محمد بن الهيصم فانه مقارب

وزوجه على

الهيصم

المقدمة الخامسة في السبب الذي اوجب ترتيب هذا الكتاب علي طريق الحساب وفيها اشارة الي مناهج الحساب لما كان مبني الحساب علي الحصر والاختصار وكان غرضي من تاليف هذ الكتاب حصر المذاهب مع الاختصار اخترت طريق الاستيفاء ترتيباً وقدّرت اغراضي علي مناهجه تقسيماً وتبويباً واردت ان ابين كيفية طرق هذا العلم وكمية اقسامه لئلا يظن بي انّي من حيث انا فقيه ومتكلم اجنبي النظر في مسالكه ومراسمه اعجمي القلم بمداركه ومعالمه فاثرت من طريق الحساب احكمها واحسنها واقمت عليه من

Digitized by Google

حجج البرهان اوضحها وامتنها وقدرتها علي علم العدد وكان الواضع الاول منه استمد المدد فاقول مراتب الحساب تبتدي من واحد وتنتهي الي سبع ولا تجاوزها البتة المرتبة الاولي صدر الحساب وهو الموضوع الاول الذي يرد عليه التقسيم الاول وهو فرد لا زوج له باعتبار وجملة يقبل التقسيم والتفصيل باعتبار فمن حيث انه فرد فهو لا يستدعي اختًا تساويه في الصورة والمدة ومن حيث هو جملة فهو قابل للتفصيل حتي ينقسم الي قسمين وصورة المدة يجب ان يكون من الطرف الي الطرف ويكتب تحتها حشواً مجملات التفاصيل ومرسلات التقدير والتقرير والنقل والتحويل وكليات وجوه المجموع وحكايات الالحاق والموضوع بارزًا من الطرف الايسر كميات مبالغ المجموع والمرتبة الثانية منها الاصل وشكلها محقق وهو التقسيم الاول الذي ورد علي المجموع الاول وهو زوج ليس بفرد ويجب حصره في قسمين لا يعدوان الي ثالث وصورة المدة يجب ان يكون اقصر من الصدر بقليل اذ الجزء اقل من الكل ويكتب تحتها حشواً ما يخصها من التوجيه والتنويع والتفصيل ولها اخت تساويها في المدة وان لم يجب ان تساويها في المقدار المرتبة الثالثة من ذلك الاصل وشكله ايضاً محقق وهو التقسيم الثاني الذي ورد علي الموضوع الاول والثاني وذلك لا يجوز ان ينقص من قسمين ولا يجوز ان يزيد علي اربعة اقسام ومن جاوز من اهل الصنعة فقد اخطأ وما علم وضع الحساب وسنذكر السبب فيه وصورة مدته اقصر من مدة منها الاصل بقليل وكذلك يكتب تحتها ما يليق بها حشواً وبارزًا المرتبة الرابعة منها المطموس وشكلها هكذا وذلك يجوز ان يجاوز الاربعة واحسن الطرق ان يقتصر علي الاقل

ويكتب تحتها

ومدتها اقصر مما مضي المرتبة الخامسة من ذلك الصغير وشكله هكذا ⟨ وذلك يجوز الي حيث ينتهي التقسيم والتبويب والمدة اقصر مما مضي المرتبة السادسة منها المعوّج وشكله هكذا ⟨ وذلك ايضاً يجوز الي حيث ينتهي التفصيل المرتبة السابعة من ذلك المعقد وشكله هكذا ⟨ ولكن يمد من الطرف الي الطرف لا علي انه اخت صدر الحساب بل من حيث انه النهاية التي تشاكل البداية فهذه كيفية صورة الحساب نقشاً وكمية ابوابها جملة ولكل قسم من الابواب اخت تقابله وزوج يساويه في المدة لا يجوز اغفال ذلك بحال والحساب تاريخ وتوجيه والان نذكر كمية هذه الصورة وانحصار الاقسام في سبع ولِمَ صار الصدر الاول فرداً لا زوج له في الصورة ولِمَ انحصرت منها الاصل في قسمين لا يعدوان الي ثالث ولِمَ انحصرت من ذلك الاصل في اربعة ولِمَ خرجت الاقسام الاخر عن الحصر فاقول ان العقلاء الذين تكلموا في علم العدد والحساب اختلفوا في الواحد اهو من العدد ام هو مبدأ العدد وليس داخلاً في العدد وهذا الاختلاف انما ينشأ من اشتراك لفظ الواحد فالواحد يطلق ويراد به ما يتركب منه العدد فان الاثنين لا معني له الا واحد مكرر اول تكرير وكذلك الثلثة والاربعة ويطلق ويراد به ما يحصل منه العدد اي هو علته ولا يدخل في العدد اي لا يتركب منه العدد وقد تلازم الواحدية جميع الاعداد لا علي ان العدد تركب منها بل كل موجود فهو في جنسه او نوعه او شخصه واحد يقال انسان واحد وشخص واحد وفي العدد كذلك فان الثلثة في انها ثلثة واحدة فالوحدة بالمعني الاول داخلة في العدد وبالمعني الثاني علة للعدد وبالمعني الثالث ملازمة للعدد وليس من الاقسام الثلثة قسم يطلق

Digitized by Google

علي الباري تعالي معناه فهو واحد لا كالاحاد اي هذه الوحدات والكثرة منه وجدت ويستحيل عليه الانقسام بوجه من وجوه القسمة واكثر اصحاب العدد علي ان الواحد لا يدخل في العدد فالعدد مصدره الاول اثنان وهو ينقسم الي زوج وفرد فالفرد الاول ثلثة والزوج الاول اربعة وما وراء الاربعة فهو مكرر كالخمسة فانها مركبة من عدد وفرد ويسمّي العدد الدائر والستة مركبة من فردين ويسمّي العدد التام والسبعة مركبة من فرد وزوج ويسمّي العدد الكامل والثمانية مركبة من زوجين وهي بداية اخري وليس ذلك من غرضنا فصدر الحساب في مقابلة الواحد الذي هو علة العدد وليس يدخل فيه ولذلك هو فرد لا اخت له ولما كان العدد مصدره من اثنين صار منها المحقق محصورًا في قسمين ولما كان العدد منقسماً الي فرد وزوج صار من ذلك الاصل محصوراً في اربعة فان الفرد الاول ثلثة والزوج الاول اربعة وهي النهاية وما عداها مركب منها فكان البسائط العامة الكلية في العدد واحد واثنان وثلثة واربعة وهي الكمال وما زاد عليها فمركبات كلها ولا حصر لها فلذلك لا تنحصر الابواب الاخر في عدد معلوم بل تتناهي بما يتناهي به الحساب ثم تركيب العدد علي المعدود وتقدير البسيط علي المركب فمن علم اخر وسنذكر ذلك عند ذكرنا مذاهب قدماء الفلاسفة فاذ نجزت المقدمات علي اوفي تقرير واحسن تحرير شرعنا في ذكر مقالات اهل العالم من لدن ادم عليه السلم الي يومنا هذا لعلة لا يشذ من اقسامها مذهب ونكتب تحت كل باب وقسم ما يليق به ذكرًا حتي يعرف لِمَ وضع ذلك اللفظ لذلك الباب ونكتب تحت ذكر الفرقة المذكورة ما يعم اصنافها مذهبًا واعتقادًا وتحت كل صنف ما خصه وانفرد به عن اصحابه

Digitized by Google

ونستوفي اقسام الفرق الاسلامية ثلثاً وسبعين فرقة ونقتصر في اقسام الفرق الخارجة عن الملة الحنيفية علي ما هو اشهر واعرف اصلاً وقاعدةً فنقدّم ما هو اولي بالتقديم ونؤخر ما هو اجدر بالتاخير وشرط الصناعة الحسابية ان يكتب بازاء الممدود من الخطوط ما يكتب حشواً وشرط الصناعة الكتابية ان يترك الحواشي علي الرسم المعهود عفوًا فراعيت شرط الصناعتين ومددت الابواب علي شرط الحساب وتركت الحواشي علي رسم الكتاب وبالله استعين وعليه اتوكل وهو حسبنا ونعم الوكيل

مذاهب اهل العالم من ارباب الديانات والملل واهل الاهواء والنحل من الفرق الاسلامية وغيرهم ممن له كتاب منزل محقق مثل اليهود والنصاري وممن له شبهة كتاب مثل المجوس والمانوية وممن له حدود واحكام دون كتاب مثل الصابية الاولي وممن ليس له كتاب ولا حدود واحكام شرعية مثل الفلاسفة الاولي والدهرية وعبدة الكواكب والاوثان والبراهمة نذكر اربابها واصحابها ونقل مآخذها ومصادرها عن كتب طائفة طائفة علي موجب اصطلاحها بعد الوقوف علي مناهجها والفحص الشديد عن مباديها وعواقبها

ثم ان التقسيم الصحيح الدائر بين النفي والاثبات هو قولنا ان اهل العالم انقسموا من حيث المذاهب الي اهل الديانات والي اهل الاهواء فان الانسان اذا اعتقد عقدًا او قال قولًا فاما ان يكون فيه مستفيدًا من غيره او مستبدًّا برايه فالمستفيد من غيره مسلم مطيع والدين هو الطاعة والتسليم والمطيع هو المتديّن والمستبدّ برايه محدث مبتدع وفي الخبر عن النبي عليه السلم ما شقي امرء عن مشورة ولا سعد باستبداد براي وربما يكون

Digitized by Google

المستفيد من غيره مقلّدًا قد وجد مذهبًا اتّفاقيًا بان كان ابواه او معلّمه علي اعتقاد باطل فيتقلده منه دون ان يتفكر في حقه وباطله وصواب القول فيه وخطائه فحينئذ لا يكون مستفيدًا لانه ماحصل علي فائدة وعلم ولا اتّبع الاستاذ علي بصيرة ويقين الا من شهد بالحق وهم يعلمون شرط عظيم فليعتبر وربما يكون المستبدّ برايه مستنبطًا مما استفاده علي شرط ان يعلم موضع الاستنباط وكيفيته فحينئذ لا يكون مستبدًّا حقيقةً لانه حصل العلم بقوة تلك الفائدة لعلمه الذين يستنبطونه منهم ركن عظيم فلا تغفل فالمستبدّون بالراي مطلقًا هم المنكرون للنبوات مثل الفلاسفة والصابية والبراهمة وهم لا يقولون بشرائع واحكام امرية بل يضعون حدودًا عقلية حتي يمكنهم التعايش عليها والمستفيدون هم القائلون بالنبوات ومن قال بالاحكام الشرعية فقد قال بالحدود العقلية ولا ينعكس

ارباب الديانات والملل من المسلمين واهل الكتاب وممن له شبهة كتاب نتكلم هاهنا في معني الدين والملة والشرعة والمنهاج والاسلام والحنيفية والسنة والجماعة فانها عبارات وردت في التنزيل ولكل واحدة منها معني يخصّها وحقيقة توافقها لغةً واصطلاحًا وقد بيّنّا معني الدين انه الطاعة والانقياد وقد قال تعالي إِنَّ ٱلدِّينَ عِنْدَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَامُ وقد يرد بمعني الجزاء يقال كما تدين تدان وقد يرد بمعني الحساب يوم المعاد والتنادِ قال تعالي ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فالمتديّن هو المسلم المطيع المقرّ بالجزاء والحساب يوم التنادِ والمعاد قال الله تعالي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَامَ دِينًا ولما كان نوع الانسان محتاجًا الي اجتماع مع اخر من بني جنسه في اقامة معاشه والاستعداد لمعاده وذلك الاجتماع يجب ان يكون علي شكل يحصل به التمانع والتعاون حتي

يحفظ بالتمانع ما هو له ويحصل بالتعاون ما ليس له فصورة الاجتماع علي هذه الهيئة هي الملة والطريق الخاص الذي يوصل الي هذه الهيئة هو المنهاج والشرعة والسنة والاتفاق علي تلك السنة هي الجماعة قال الله تعالي لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ولن يتصوّر وضع الملة وشرع الشرعة الا بواضع شارع يكون مخصوصًا من عند الله بايات تدل علي صدقه وربما يكون الاية مضمنة في نفس الدعوي وربما تكون ملازمة وربما تكون متاخرة ثم اعلم ان الملة الكبري هي ملة ابرهيم عليه السلم وهي الحنيفية التي تقابل الصبوة تقابل التضادّ وسنذكر كيفية ذلك ان شاء الله تعالي قال الله تعالي مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَهِيمَ والشريعة ابتدأت من نوح عليه السلم قال الله تعالي شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِينِ مَا وَصَّي بِهِ نُوحًا والحدود والاحكام ابتدأت من ادم وشيث وادريس عليهم السلم وختمت الشرائع والملل والمناهج والسنن باكملها واتمّها حسناً وجمالاً بمحمد عليه السلم قال الله تعالي أَلْيَومَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا وقد قيل خص ادم بالاسماء وخص نوح بمعاني تلك الاسماء وخص ابرهيم بالجمع بينها ثم خص موسي بالتنزيل وخص عيسي بالتاويل وخص المصطفي بالجمع بينهما علي ملة ابيكم ابرهيم ثم كيفية التقرير الاول والتكميل بالتقرير الثاني بحيث يكون مصدّقاً كل واحد ما بين يديه من الشرائع الماضية والسنن السالفة تقديراً للامر علي الخلق وتوفيقًا للدين علي الفطرة فمن خاصّية النبوة ان لا يشاركهم فيها غيرهم وقد قيل ان الله عز وجل اسّس دينه علي مثال خلقه ليستدل بخلقه علي دينه وبدينه علي وحدانيته

المسلمون قد ذكرنا معني الاسلام ونفرق هاهنا بينه وبين الايمان والاحسان

Digitized by Google

ونبيّن ما المبدأ وما الوسط وما الكمال والخبر المعروف في دعوة جبريل عليه السلم حيث جاء علي صورة اعرابي وجلس حتي الصق ركبته بركبة النبي صلي الله عليه وسلم وقال يا رسول الله ما الاسلام فقال ان تشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله وان تقيم الصلوة وتؤتي الزكوة وتصوم شهر رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلاً قال صدقت ثم قال ما الايمان قال عليه السلم ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وان تؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت ثم قال ما الاحسان قال عليه السلم ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال صدقت ثم قال متي الساعة قال عليه السلم ما المسئول عنها باعلم من السائل ثم قام وخرج فقال النبي عليه السلم هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم ففرق في التفسير بين الاسلام والايمان اذ الاسلام قد يرد بمعني الاستسلام ظاهراً ويشترك فيه المؤمن والمنافق قال الله تعالي قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ففرق التنزيل بينهما فكان الاسلام بمعني التسليم والانقياد ظاهرًا موضع الاشتراك فهو المبدأ ثم اذا كان الاخلاص معه بان يصدق الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر ويقرّ عقداً بان القدر خيره وشره من الله تعالي بمعني ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطأه لم يكن ليصيبه كان مؤمنًا حقاً ثم اذا جمع بين الاسلام والتصديق وقرن المجاهدة بالمشاهدة وصار غيبه شهادة فهو الكمال فكان الاسلام مبدأً والايمان وسطاً والاحسان كمالاً وعلي هذا شمل لفظ المسلمين الناجي والهالك وقد يرد الاسلام قرينة الاحسان قال الله تعالي بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وعليه يحمل قوله تعالي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَامَ دِينًا وقوله

Digitized by Google

إِنَّ ٱلدِينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلإِسْلَامُ وقوله إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلعَالَمِينَ وقوله فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ وعلي هذا خصّ الاسلام بالفرقة الناجية

اهل الاصول المختلفون في التوحيد والعدل والوعد والوعيد والسمع والعقل نتكلم هاهنا في معني الاصول والفروع وسائر الكلمات قال بعض المتكلمين الاصول معرفة الباري تعالي بوحدانيته وصفاته ومعرفة الرسل باياتهم وبيّناتهم وبالجملة كل مسئلة يتعين الحق فيها بين المتخاصمين فهي من الاصول ومن المعلوم ان الدين اذا كان منقسماً الي معرفة وطاعة والمعرفة اصل والطاعة فرع فمن تكلم في المعرفة والتوحيد كان اصولياً ومن تكلم في الطاعة والشريعة كان فروعياً والاصول هو موضوع علم الكلام والفروع هو موضوع علم الفقه وقال بعض العقلاء كل ما هو معقول ويتوصل اليه بالنظر والاستدلال فهو من الاصول وكل ما هو مظنون ويتوصل اليه بالقياس والاجتهاد فهو من الفروع واما التوحيد فقد قال اهل السنة وجميع الصفاتية ان الله تعالي واحد في ذاته لا قسيم له وواحد في صفاته الازلية لا نظير له وواحد في افعاله لا شريك له وقال اهل العدل ان الله تعالي واحد في ذاته لا قسمة ولا صفة له وواحد في افعاله لا شريك له فلا قديم غير ذاته ولا قسيم له في افعاله ومحال وجود قديمين ومقدور بين قادرين وذلك هو التوحيد والعدل وعلي مذهب اهل السنة ان الله تعالي عدل في افعاله بمعني انه متصرف في مِلكه ومُلكه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فالعدل وضع الشيء موضعه وهو التصرف في الملك علي مقتضي المشيّة والعلم والظلم بضدّه فلا يتصوّر منه جور في الحكم وظلم في التصرف وعلي

Digitized by Google

مذهب اهل الاعتزال العدل ما يقتضيه العقل من الحكمة وهو اصدار الفعل علي وجه الصواب والمصلحة واما الوعد والوعيد فقال اهل السنة الوعد والوعيد كلامه الازلي وعد علي ما امر واوعد علي ما نهي فكل من نجا واستوجب الثواب فبوعده وكل من هلك واستوجب العقاب فبوعيده فلا يجب عليه شيءٌ من قضية العقل وقال اهل العدل لا كلام في الازل وانما امر ونهي ووعد واوعد بكلام محدث فمن نجا فبفعله استحق الثواب ومن خسر فبفعله استوجب العقاب والعقل من حيث الحكمة يقتضي ذلك واما السمع والعقل فقال اهل السنة الواجبات كلها بالسمع والمعارف كلها بالعقل فالعقل لا يحسّن ولا يقبّح ولا يقتضي ولا يوجب والسمع لا يعرّف اي لا يوجد المعرفة بل يوجب وقال اهل العدل المعارف كلها معقولة بالعقل واجبة بنظر العقل وشكر المنعم واجب قبل ورود السمع والحُسن والقبح صفتان ذاتيتان للحَسن والقبيح فهذه القواعد هي المسائل التي تكلم فيها اهل الاصول وسنذكر مذهب كل طائفة مفصّلاً ان شاء الله تعالي ولكل علم موضوع ومسائل قد ذكرناهما باقصي الامكان

المعتزلة وغيرهم من الجبرية والصفاتية والمختلطة منهم الفريقان من المعتزلة والصفاتية متقابلتان تقابل التضادّ وكذلك القدرية والجبرية والمرجئة والوعيدية والشيعة والخوارج وهذا التضادّ بين كل فريق وفريق كان حاصلاً في كل زمان ولكل فرقة مقالة علي حيالها وكتب صنفوها ودولة عاونتهم وصولة طاوعتهم

المعتزلة ويسمون اصحاب العدل والتوحيد ويلقبون بالقدرية وهم قد جعلوا لفظ القدرية مشتركاً وقالوا لفظ القدرية يطلق علي من يقول بالقدر خيره وشره من الله تعالي احترازاً عن وصمة اللقب اذ كان الذم به متفقاً عليه لقول

النبي عليه السلم القدرية مجوس هذه الامة وكانت الصفاتية تعارضهم بالاتفاق علي ان الجبرية والقدرية متقابلتان تقابل التضادّ فكيف يطلق لفظ الضدّ علي الضدّ وقد قال النبي عليه السلم القدرية خصماء الله في القدر والخصومة في القدر وانقسام الخير والشر علي فعل الله وفعل العبد لن يتصوّر علي مذهب من يقول بالتسليمَ والتوكل واحالة الاحوال كلها علي القدر المحتوم والحكم المحكوم فالذي يعمّ طائفة المعتزلة من الاعتقاد القول بان الله تعالي قديم والقدم اخص وصف ذاته ونفوا الصفات القديمة اصلاً فقالوا هو عالم لذاته قادر لذاته حي لذاته لا بعلم وقدرة وحيوة هي صفات قديمة ومعاني قائمة به لانه لو شاركته الصفات في القدم الذي هو اخص الوصف لشاركته في الالهية واتفقوا علي ان كلامه محدث مخلوق في محل وهو حرف وصوت كتب امثاله في المصاحف حكايات عنه فان ما وجد في المحل عرض فقد فني في الحال واتفقوا علي ان الارادة والسمع والبصر ليست معانٍ قائمة بذاته لكن اختلفوا في وجوه وجودها ومحامل معانيها كما سيأتي واتفقوا علي نفي رؤية الله تعالي بالابصار في دار القرار ونفي التشبيه عنه من كل وجه جهةً ومكانًا وصورةً وجسمًا وتحيّزًا وانتقالاً وزوالاً وتغيّرًا وتأثّرًا واوجبوا تاويل الايات المتشابهة فيها وسموا هذا النمط توحيداً واتفقوا علي ان العبد قادر خالق لافعاله خيرها وشرها مستحق علي ما يفعله ثواباً وعقاباً في الدار الاخرة والرب تعالي منزّه ان يضاف اليه شر وظلم وفعل هو كفر ومعصية لانه لو خلق الظلم كان ظالماً كما لو خلق العدل كان عادلاً واتفقوا علي ان الحكيم لا يفعل الا الصلاح والخير ويجب من حيث الحكمة رعاية مصالح العباد واما الاصلح

Digitized by Google

واللطف ففي وجوبه خلاف عندهم وسموا هذا النمط عدلاً واتفقوا علي ان المؤمن اذا خرج من الدنيا علي طاعة وتوبة استحق الثواب والعوض والتفضّل معني اخر وراء الثواب واذا خرج من غير توبة عن كبيرة ارتكبها استحق الخلود في النار لكن يكون عقابه اخفّ من عقاب الكفّار وسموا هذا النمط وعدً ووعيداً واتفقوا علي ان اصول المعرفة وشكر النعمة واجب قبل ورود السمع والحسن والقبيح يجب معرفتهما بالعقل واعتناق الحسن واجتناب القبيح واجب كذلك وورود التكاليف الطاف للبَاري تعالي ارسلها الي العباد بتوسط الانبياء عليهم السلم امتحانًا واختبارًا ليهلك من هلك عن بيّنة ويحي من حي عن بيّنة واختلفوا في الامامة والقول فيها نصًا واختيارًا كما سيأتي عند مقالة كل طائفة طائفة والان نذكر ما يختص بطائفة طائفة من المقالة التي تميّزت بها عن اصحابها

الواصلية اصحاب ابي حذيفة واصل بن عطاء الغزال كان تلميذ الحسن البصري يقرأ عليه العلوم والاخبار وكانا في ايام عبد الملك وهشام بن عبد الملك وبالمغرب الان منهم شرذمة قليلة في بلد ادريس بن عبد الله الحسني الذي خرج بالمغرب في ايام ابي جعفر المنصور ويقال لهم الواصلية واعتزالهم يدور علي اربع قواعد القاعدة الاولي القول بنفي صفات الباري تعالي من العلم والقدرة والارادة والحيوة وكانت هذه المقالة في بدوها غير نضيجة وكان واصل بن عطاء يشرع فيها علي قول ظاهر وهو الاتفاق علي استحالة وجود الهين قديمين ازليين قال من اثبت معني وصفة قديمة فقد اثبت الهين وانما شرعت اصحابه فيها بعد مطالعة كتب الفلاسفة وانتهي نظرهم فيها الي رد

Digitized by Google

جميع الصفات الي كونه عالماً قادراً ثم الحكم بانهما صفتان ذاتيتان هما اعتباران للذات القديمة كما قاله الجبّائي او حالتان كما قاله ابو هاشم وميل ابي الحسين البصري الي ردهما الي صفة واحدة وهي العالمية وذلك عين مذهب الفلاسفة وسنذكر تفصيل ذلك وكانت السلف يخالفهم في ذلك اذا وجدوا الصفات مذكورة في الكتاب والسنة القاعدة الثانية القول بالقدر وانما سلك في ذلك مسلك معبد الجهني وغيلان الدمشقي وقرر واصل ابن عطاء هذه القاعدة اكثر ما كان يقرر قاعدة الصفات فقال ان الباري تعالي حكيم عادل لا يجوز ان يضاف اليه شر وظلم ولا يجوز ان يريد من العباد خلاف ما يأمر ويحكم عليهم شيأً ثم يجازيهم عليه فالعبد هو الفاعل للخير والشر والايمان والكفر والطاعة والمعصية وهو المجازي علي فعله والرب تعالي اقدره علي ذلك كله وافعال العباد محصورة في الحركات والسكنات والاعتمادات والنظر والعلم قال يستحيل ان يخاطب العبد بافعَل وهو لا يمكنه ان يفعل وهو يحسّ من نفسه الاقتدار والفعل ومن انكره فقد انكر الضرورة واستدل بايات علي هذه الكلمات ورايت رسالة نسبت الي الحسن البصري كتبها الي عبد الملك بن مروان وقد ساله عن القول بالقدر والجبر فاجابه بما يوافق مذهب القدرية واستدل فيها بايات من الكتاب ودلائل من العقل ولعلّها لواصل بن عطاء فما كان الحسن ممن يخالف السلف في ان القدر خيره وشره من الله تعالي فان هذه الكلمة كالمجمع عليها عندهم والعجب انه حمل هذا اللفظ الوارد في الخير علي البلاء والعافية والشدة والراحة والمرض والشفاء والموت والحيوة الي غير ذلك من افعال الله تعالي دون الخير والشر والحسن والقبيح الصادرين من اكساب

Digitized by Google

العباد وكذلك اورده جماعة المعتزلة في المقالات من اصحابهم القاعدة الثالثة القول بالمنزلة بين المنزلتين والسبب فيه انه دخل واحد علي الحسن البصري فقال يا امام الدين لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفّرون اصحاب الكبائر والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة وهم وعيدية الخوارج وجماعة يرجون اصحاب الكبائر والكبيرة عندهم لا تضر مع الايمان بل العمل علي مذهبهم ليس ركناً من الايمان ولا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة وهم مرجية الامة فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقاداً فتفكر الحسن في ذلك وقبل ان يجيب قال واصل بن عطاء انا لا اقول ان صاحب الكبيرة مؤمن مطلق ولا كافر مطلق بل هو في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر ثم قام واعتزل الي اسطوانة من اسطوانات المسجد يقرر ما اجاب به علي جماعة من اصحاب الحسن فقال الحسن اعتزل عنّا واصل فسمّي هو واصحابه معتزلة ووجه تقريره انه قال ان الايمان عبارة عن خصال خير اذا اجتمعت سمّي المرء مؤمناً وهو اسم مدح والفاسق لم يستجمع خصال الخير ولا استحق اسم المدح فلا يسمّي مؤمناً وليس هو بكافر مطلق ايضاً لان الشهادة وسائر اعمال الخير موجودة فيه لا وجه لانكارها لكنه اذا خرج من الدنيا علي كبيرة من غير توبة فهو من اهل النار خالداً فيها اذ ليس في الاخرة الا الفريقان فريق في الجنة وفريق في السعير لكنه يخفف عنه العذاب ويكون دركته فوق دركة الكفّار وتابعه علي ذلك عمرو بن عبيد بعد ان كان موافقاً له في القدر وانكار الصفات القاعدة الرابعة قوله في الفريقين من اصحاب الجمل واصحاب صفين ان احدهما مخطئ لا بعينه وكذلك قوله في عثمان وقاتليه وخاذليه قال احد الفريقين فاسق

Digitized by Google

لا محالة كما ان احد المتلاعنين فاسق لا بعينه وقد عرفت قوله في الفاسق واقل درجات الفريقين انه لا يقبل شهادتهما كما لا يقبل شهادة المتلاعنين فلم يجوّز قبول شهادة علي وطلحة والزبير علي باقة بقل وجوّز ان يكون عثمان وعلي علي الخطاء هذا قول رئيس المعتزلة ومبدأ الطريقة في اعلام الصحابة وائمة العترة ووافقه عمرو بن عبيد علي مذهبه وزاد عليه في تفسيق احد الفريقين لا بعينه بان قال لو شهد رجلان من احد الفريقين مثل علي ورجل من عسكره او طلحة والزبير لم يقبل شهادتهما وفيه تفسيق الفريقين وكونهما من اهل النار وكان عمرو من رواة الحديث معروفاً بالزهد وواصل مشهوراً بالفضل والادب عندهم

الهذيلية اصحاب ابي الهذيل حمدان بن ابي الهذيل العلّاف شيخ المعتزلة ومقدم الطائفة ومقرر الطريقة والمناظر عليها اخذ الاعتزال عن عثمان بن خالد الطويل عن واصل بن عطاء ويقال اخذ واصل عن ابي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ويقال اخذه عن الحسن بن ابي الحسن البصري وانما انفرد عن اصحابه بعشر قواعد الاولي ان الباري تعالي عالم بعلم وعلمه ذاته قادر بقدرة وقدرته ذاته حي بحيوة وحيوته ذاته وانما اقتبس هذا الراي من الفلاسفة الذين اعتقدوا ان ذاته واحدة لا كثرة فيها بوجه وانما الصفات ليست وراء الذات معانٍ قايمة بذاته بل هي ذاته وترجع الي السلوب او اللوازم كما سيأتي والفرق بين قول القائل عالم لذاته لا بعلم وبين قول القائل عالم بعلم هو ذاته ان الاول نفي الصفة والثاني اثبات ذات هو بعينه صفة او اثبات صفة هي بعينها ذات وان اثبت ابو الهذيل هذه الصفات وجوهًا للذات فهي بعينها اقانيم النصاري او احوال ابي هاشم الثانية انه اثبت ارادات لا محل لها

Digitized by Google

يكون الباري تعالي مريداً بها وهو اول من احدث هذه المقالة وتابعه عليها المتاخرون الثالثة قال في كلام الباري تعالي ان بعضه لا في محل وهو قوله كن وبعضه في محل كالامر والنهي والخبر والاستخبار وكان امر التكوين عنده غير وامر التكليف غير الرابعة قوله في القدر مثل ما قاله اصحابه الا انه قدري الاولي جبري الاخرة فان مذهبه في حركات اهل الخلدين في الاخرة انها كلها ضرورية لا قدرة للعباد عليها وكلها مخلوقة للباري تعالي اذ لو كانت مكتسبة للعباد لكانوا مكلّفين بها الخامسة قوله ان حركات اهل الخلدين تنقطع وانهم يصيرون الي سكون دائم جموداً ويجتمع اللذات في ذلك السكون لاهل الجنة ويجتمع الالام في ذلك السكون لاهل النار وهذا قريب من مذهب جهم اذ حكم بفناء الجنة والنار وانما التزم ابو الهذيل هذا المذهب لانه لما التزم في مسئلة حدوث العالم ان الحوادث التي لا اول لها كالحوادث التي لا اخر لها اذ كل واحدة لا تتناهي قال اني لا اقول بحركات لا تتناهي اخراً كما لا اقول بحركات لا تتناهي اولاً بل يصيرون الي سكون دائم وكانه ظنّ ان ما التزم في الحركة لا يلزمه في السكون السادسة قوله في الاستطاعة انها عرض من الاعراض غير السلامة والصحة وفرق بين افعال القلوب وافعال الجوارح فقال لا يصح وجود افعال القلوب منه مع عدم القدرة والاستطاعة معها في حال الفعل وجوّز ذلك في افعال الجوارح وقال بتقدمها فيفعل بها في الحال الاولي وان لم يوجد الفعل الا في الحالة الثانية قال فحال يفعل غير حال فعل ثم ما تولد من فعل العبد فهو فعله غير اللون والطعم والرائحة وكل ما لا يعرف كيفيته وقال في الادراك والعلم الحادثين في غيره عند اسماعه وتعليمه ان الله تعالي

Digitized by Google

يبدعهما فيه وليسا من افعال العباد السابعة قوله في المفكر قبل ورود السمع انه يجب عليه ان يعرف الله تعالي بالدليل من غير خاطر وان قصر في المعرفة استوجب العقوبة ابداً ويعلم ايضاً حُسْن الحَسَن وقبح القبيح فيجب عليه الاقدام علي الحسن كالصدق والعدل والاعراض عن القبيح كالكذب والجور وقال ايضاً بطاعات لا يراد بها الله تعالي ولا يقصد بها التقرب اليه كالقصد الي النظر الاول والنظر الاول فانه لم يعرف الله تعالي بعد والفعل عبادة وقال في المكره اذا لم يعرف التعريض والتورية فيما اكره عليه فله ان يكذب ويكون وزره موضوعاً عنه الثامنة قوله في الاجال والارزاق/ان الرجل ان لم يقتل مات في ذلك الوقت ولا يجوز ان يزاد في العمر او ينقص والارزاق علي وجهين احدهما ماخلق الله تعالي من الامور المنتفع بها يجوز ان يقال خلقها رزقاً للعباد فعلي هذا من قال ان احداً اكل وانتفع بما لم يخلقه الله رزقاً فقد اخطأ لما فيه ان في الاجسام ما لم يخلقه الله والثاني ما حكم الله به من هذه الارزاق للعباد فما احلّ منها فهو رزقه وما حرّم فليس رزقاً اي ليس مأموراً بتناوله والتاسعة حكي الكعبي عنه انه قال ارادة الله غير المراد فارادته لما خلق هي خلقه له وخلقه للشيءِ عنده غير الشيءِ بل الخلق عنده قول لا في محل وقال انه تعالي لم يزل سميعاً بصيراً بمعني سيسمع وسيبصر وكذلك لم يزل غفوراً رحيماً محسناً خالقاً رازقاً مثيباً معاقباً موالياً معادياً آمراً ناهياً بمعني ان ذلك سيكون العاشرة حكي عنه جماعة انه قال الحجة لا تقوم فيما غاب الا بخبر عشرين فيهم واحد من اهل الجنة او اكثر ولا يخلوا الارض عن جماعة هم اولياء الله معصومين لا يكذبون ولا يرتكبون الكبائر فهم الحجة لا التواتر

Digitized by Google

اذ يجوز ان يكذب جماعة ممن لا يحصون عدداً اذا لم يكونوا اولياء الله ولم يكن فيهم واحد معصوم وصحب ابا الهذيل ابو يعقوب الشحام والادمي وهما علي مقالته وكان سنه مائة سنة توفي في اول خلافة المتوكل سنة خمس وثلثين ومايتين

النظامية اصحاب ابرهيم بن سيار النظّام وقد طالع كثيراً من كتب الفلاسفة وخلط كلامهم بكلام المعتزلة وانفرد عن اصحابه بمسائل الاولي منها انه زاد علي القول بالقدر خيره وشره منا قوله ان الله تعالي لا يوصف بالقدرة علي الشرور والمعاصي وليست هي مقدورة للباري تعالي خلافاً لاصحابه فانهم قضوا بانه قادر عليها لكنه لا يفعلها لانها قبيحة ومذهب النظام ان القبح اذا كانت صفة ذاتية للقبيح وهو المانع من الاضافة اليه فعلاً ففي تجويز وقوع القبيح منه قبح ايضاً فيجب ان يكون مانعاً ففاعل العدل لا يوصف بالقدرة علي الظلم وزاد ايضاً علي هذا الاختيار فقال انما يقدر علي فعل ما يعلم ان فيه صلاحاً لعباده ولا يقدر علي ان يفعل بعباده في الدنيا ما ليس فيه صلاحهم هذا في تعلق قدرته بما يتعلق بامور الدنيا واما امور الاخرة فقال لا يوصف الباري تعالي بالقدرة علي ان يزيد في عذاب اهل النار شيئاً ولا علي ان ينقص منه شيئاً وكذلك لا ينقص من نعيم اهل الجنة ولا ان يخرج احداً من اهل الجنة وليس ذلك مقدوراً له وقد الزم عليه ان يكون الباري تعالي مطبوعاً مجبوراً علي ما يفعله فان القادر علي الحقيقة من يتخير بين الفعل والترك فاجاب ان الذي الزمتموني في القدرة يلزمكم في الفعل فان عندكم يستحيل ان يفعله وان كان مقدوراً فلا فرق وانما اخذ هذه المقالة من قدماء الفلاسفة

Digitized by Google

حيث قضوا بان الجواد لا يجوز ان يدّخر شيأً لا يفعله فما ابدعه واوجده هو المقدور ولو كان في علمه ومقدوره ماهو احسن واكمل مما ابدعه نظاماً وترتيباً وصلاحاً لفعل الثانية قوله في الارادة ان الباري تعالي ليس موصوفاً بها علي الحقيقة فاذا وصف بها شرعاً في افعاله فالمراد بذلك انه خالقها ومنشيئها علي حسب ما علم واذا وصف بكونه مريداً لافعال العباد فالمعني به انه امر بها وعنه اخذ الكعبي مذهبه في الارادة الثالثة قوله ان افعال العباد كلها حركات فحسب والسكون حركة اعتماد والعلوم والارادات حركات النفس ولم يرد بهذه الحركة حركة النقلة وانما الحركة عنده مبدأ تغيّر ما كما قالت الفلاسفة مثن اثبات حركات في الكيف والكم والوضع والاين ومتي الي اخواتها الرابعة ووافقهم ايضاً في قولهم ان الانسان في الحقيقة هو النفس والروح والبدن آلتها وقالبها غير انه تقاصر عن ادراك مذهبهم فمال الي قول الطبيعية منهم ان الروح جسم لطيف مشابك للبدن مداخل للقالب باجزائه مداخلة المائية في الورد والدهنية في السمسم والسمنية في اللبن وقال ان الروح هي التي لها قوة واستطاعة وحيوة ومشيئة وهي مستطيعة بنفسها والاستطاعة قبل الفعل الخامسة حكي الكعبي عنه انه قال ان كل ما جاوز محل القدرة من الفعل فهو من فعل الله تعالي بايجاب الخلقة اي ان الله تعالي طبع الحجر طبعاً وخلقه خلقةً اذا دفعته اندفع واذا بلغ قوة الدفع مبلغها عاد الحجر الي مكانه طبعاً وله في الجواهر واحكامها خبط مذهب يخالف المتكلمين والفلاسفة السادسة وافق الفلاسفة في نفي الجزو الذي لا يتجزي واحدث القول بالطفرة لما الزم مشي نملة علي صخرة من طرف الي طرف انها قطعت ما لا يتناهي وكيف

Digitized by Google

يقطع ما يتناهي ما لا يتناهي قال يقطع بعضها بالمشي وبعضها بالطفرة وشبّه ذلك بحبل شُدّ علي خشبة معترضة وسط البئر طوله خمسون ذراعاً وعليه دلو معلّق وحبل طوله خمسون ذراعاً علّق عليه معلاق فيجريه الحبل المتوسط فان الدلو يصل الي راس البئر وقد قطع ماية ذراع بحبل طوله خمسون ذراعاً في زمان واحد وليس ذلك الا ان بعض القطع بالطفرة ولم يعلم ان الطفرة قطع مسافة ايضاً موازية لمسافة فالالزام لا يندفع عنه وانما الفرق بين المشي والطفرة يرجع الي سرعة الزمان وبطيئه السابعة قال ان الجوهر مؤلف من اعراض اجتمعت ووافق هشام بن الحكم في قوله ان الالوان والطعوم والروائح اجسام فتارة يقضي بكون اجسام اعراضاً وتارة يقضي بكون الاعراض اجساماً الثامنة من مذهبه ان الله تعالي خلق الموجودات دفعة واحدة علي ما هي عليها الان معادن ونباتاً وحيواناً وانساناً ولم يتقدم خلق ادم عليه السلم خلق اولاده غير ان الله تعالي اكمن بعضها في بعض فالتقدم والتاخر انما يقع في ظهورها من مكامنها دون حدوثها ووجودها وانما اخذ هذه المقالة من اصحاب الكمون والظهور من الفلاسفة واكثر ميله ابداً الي تقرير مذاهب الطبيعيين منهم دون الالهيين التاسعة قوله في اعجاز القران انه من حيث الاخبار عن الامور الماضية والاتية ومن جهة صرف الدواعي عن المعارضة ومنع العرب عن الاهتمام به جبراً وتعجيزاً حتي لو خلاهم لكانوا قادرين علي ان ياتوا بسورة من مثله بلاغة وفصاحة ونظماً العاشرة قوله في الاجماع انه ليس بحجة في الشرع وكذلك القياس في الاحكام الشرعية لا يجوز ان يكون حجة وانما الحجة في قول الامام المعصوم الحادية عشر ميله الي الرفض ووقيعته في كبار الصحابة قال

Digitized by Google

اولاً لا امامة الا بالنص والتعيين ظاهراً مكشوفاً وقد نص النبي صلي الله عليه وآله وسلم علي علي كرم الله وجهه في مواضع واظهره اظهاراً لم يشتبه علي الجماعة الا ان عمر كتم ذلك وهو الذي تولّي بيعة ابي بكر يوم السقيفة ونسبه الي الشك يوم الحديبية في سؤاله عن الرسول عليه السلم حين قال السنا علي الحق اليسوا علي الباطل قال نعم قال عمر فلم نعطي الدنية في ديننا قال هذا شك في الدين ووجد ان خرج في النفس مما قضي وحكم وزاد في الفرية فقال ان عمر ضرب بطن فاطمة عليها السلم يوم البيعة حتي القت المحسن من بطنها وكان يصيح احرقوها بمن فيها وما كان في الدار غير علي وفاطمة والحسن والحسين وقال تغريبه نصر بن الحجاج من المدينة الي البصرة وابداعه التراويح ونهيه عن متعة الحج ومصادرته العمّال كل ذلك احداث ثم وقع في عثمان وذكر احداثه من ردّه الحكم بن امية الي المدينة وهو طريد رسول الله ونفيه ابا ذرّ وهو صديق رسول الله وتقليده الوليد بن عقبة الكوفة وهو من افسد الناس ومعاوية الشام وعبد الله بن عامر البصرة وتزويجه مروان بن الحكم ابنته وهم افسدوا عليه امره وضربه عبد الله بن مسعود علي احضار المصحف وعلي القول الذي شافهه به كل ذلك احداثه ثم زاد علي خزيه ذلك بان عاب علياً وعبد الله بن مسعود لقولهما اقول فيها براي وكذّب ابن مسعود في روايته السعيد من سعد في بطن امه والشقي من شقي في بطن امه وفي روايته انشقاق القمر وفي تشبيهه الجن بالبط وقد انكر الجن راساً الي غير ذلك من الوقيعة الفاحشة في الصحابة رضي الله عنهم اجمعين الثانية عشر قوله في المفكر قبل ورود السمع انه اذا كان عاقلاً متمكناً من النظر يجب عليه تحصيل معرفة الباري

Digitized by Google

تعالي بالنظر والاستدلال وقال بتحسين العقل وتقبيحه في جميع ما يتصرف فيه من افعاله وقال لا بد من خاطرين احدهما يامر بالاقدام والاخر بالكفّ ليصحّ الاختيار الثالثة عشر تكلم في مسائل الوعد والوعيد وزعم ان من خان في ماية وتسعة وتسعين درهماً بالسرقة او الظلم لم يفسق بذلك حتي بلغ خيانته نصاب الزكوة وهو مايتا درهم فصاعداً فحينئذ يفسق وكذلك في سائر نصب الزكوة وقال في المعاد ان الفضل علي الاطفال كالفضل علي البهائم ووافقه الاسواري في جميع ما ذهب اليه وزاد عليه بان قال ان الله تعالي لا يوصف بالقدرة علي ما علم انه لا يفعله ولا علي ما اخبر انه لا يفعله مع ان الانسان قادر علي ذلك لان قدرة العبد صالحة للضدين ومن المعلوم ان احد الضدين واقع في المعلوم انه سيوجد دون الثاني والمخطاب لا ينقطع عن ابي لهب وان اخبر الرب تعالي بانه سيصلي ناراً ذات لهب ووافقه ابو جعفر الاسكافي واصحابه من المعتزلة وزاد عليه بان قال ان الله تعالي لا يقدر علي ظلم العقلاء وانما يوصف بالقدرة علي ظلم الاطفال والمجانين وكذلك الجعفران جعفر بن مبشر وجعفر بن حرب وافقاه وما زادا عليه الا ان جعفر بن مبشر قال في فساق الامة من هو شر من الزنادقة والمجوس وزعم ان اجماع الصحابة علي حد شارب الخمر كان خطاءً اذا المعتبر في الحدود النص والتوقيف وزعم ان سارق الحبّة الواحدة فاسق منخلع من الايمان وكان محمد بن شبيب وابو شمر وموسي بن عمران من اصحاب النظام الا انهم خالفوه في الوعيد وفي المنزلة بين المنزلتين وقالوا صاحب الكبيرة لا يخرج من الايمان بمجرد ارتكاب الكبيرة وكان ابن مبشر يقول في الوعيد ان استحقاق العقاب والخلود في النار

Digitized by Google

بالكفر يعرف قبل ورود السمع وسائر اصحابه يقولون التخليد لا يعرف الا بالسمع ومن اصحاب النظام الفضل الحدثي واحمد بن حايط قال ابن الروندي انهما كانا يزعمان ان للخلق خالقين احدهما قديم وهو الباري تعالي والثاني محدث وهو المسيح عليه السلم لقوله تعالي إِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْئَةِ ٱلطَّيْرِ وكذّبه الكعبي في رواية الحدثي خاصة لحسن اعتقاده فيه

الحايطية اصحاب احمد بن حايط وكذلك الحدثية اصحاب فضل بن الحدثي كانا من اصحاب النظام وطالعا كتب الفلاسفة ايضاً وضمّا الي مذهب النظام ثلث بدع الاولي اثبات حكم من احكام الالهية في المسيح عليه السلم موافقة للنصاري علي اعتقادهم ان المسيح عليه السلم هو الذي يحاسب الخلق في الاخرة وهو المراد بقوله تعالي وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا وهو الذي ياتي في ظلل من الغمام وهو المعني بقوله تعالي أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ وهو المراد بقول النبي عليه السلم ان الله تعالي خلق ادم علي صورة الرحمن وبقوله يضع الجبّار قدمه في النار وزعم احمد بن حايط ان المسيح تدرع بالجسد الجسماني وهو الكلمة القديمة المتجسدة كما قالت النصاري الثانية القول بالتناسخ زعما ان الله تعالي ابدع خلقه اصحّاء سالمين عقلاء بالغين في دار سوي هذه الدار التي هم فيها اليوم وخلق فيهم معرفته والعلم به واسبغ عليهم نعمه ولا يجوز ان يكون اول ما يخلقه الا عاقلاً ناظراً معتبراً فابتداهم بتكليف شكره فاطاعه بعضهم في جميع ما امرهم به وعصاه بعضهم في جميع ذلك واطاعه بعضهم في البعض دون البعض فمن اطاعه في الكل اقرّه في دار النعيم التي ابتداهم فيها ومن عصاه في الكل اخرجه من تلك الدار الي دار العذاب وهي النار ومن اطاعه في

Digitized by Google

البعض وعصاه في البعض اخرجه الي دار الدنيا فالبسه هذه الاجسام الكثيفة وابتلاه بالباساء والضراء والشدة والرخاء والالام واللذات علي صور مختلفة من صور الناس وسائر الحيوانات علي قدر ذنوبهم فمن كانت معاصيه اقل وطاعته اكثر كانت صورته احسن والامه اقل ومن كانت ذنوبه اكثر كانت صورته اقبح والامه اكثر ثم لا يزال يكون الحيوان في الدنيا كرة بعد كرة وصورة بعد اخري ما دامت معه ذنوبه وطاعاته وهذا عين القول بالتناسخ وكان في زمانهما شيخ المعتزلة احمد بن ايوب بن مانوس وهو ايضاً من تلامذة النظام قال مثل ما قال ابن حايط في التناسخ وخلق البرية دفعة واحدة الا انه متي صارت النوبة الي البهيمية ارتفعت التكاليف ومتي صارت النوبة الي رتبة النبوة والملك ارتفعت التكاليف ايضاً وصارت النوبتان عالم الجزاء ومن مذهبهما ان الديار خمس داران للثواب احديهما فيها اكل وشرب وبعال وجنات وانهار والثانية دار فوق هذه ليس فيها اكل وشرب وبعال بل ملاذّ روحانية وروح وريحان غير جسمانية والثالثة دار العقاب المحض وهي نار جهنم ليس فيها ترتيب بل علي نمط التساوي والرابعة دار الابتداء التي خلق الخلق فيها قبل ان يهبطوا الي الدنيا وهي الجنة الاولي والخامسة دار الابتلاء التي كلّف الخلق فيها بعد ان اجتُرحوا في الاولي وهذا التكوير والتكرير لا يزال في الدنيا حتي يمتلي المكيالان مكيال الخير ومكيال الشر فاذا امتلأ مكيال الخير صار العمل كله طاعة والمطيع خيراً خالصاً فيُنقل الي الجنة ولم يلبث طرفة عين فان مطل الغني ظلم وفي الخبر اعطوا الاجير اجرته قبل ان يجفّ عرقه واذا امتلأ مكيال الشر صار العمل كله معصية والعاصي شِرّيراً محضاً فيُنقل الي النار ولم يلبث

طرفة عين وذلك قوله تعالي فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ البدعة الثالثة حملهما كل ما ورد في الخبر من رؤية الباري تعالي مثل قوله عليه السلم انكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته علي رؤية العقل الاول الذي هو اول مبدع وهو العقل الفعّال الذي منه يفيض الصور علي الموجودات واياه عني النبي عليه السلم بقوله اول ما خلق الله تعالي العقل فقال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر فقال وعزّتي وجلالي ما خلقت خلقًا احسن منك بك أُعزّ وبك أُذلّ وبك اعطي وبك امنع فهو الذي يظهر يوم القيامة ويرتفع الحجاب بينه وبين الصور التي فاضت منه فيرونه كمثل القمر ليلة البدر فاما واهب العقل فلا يُري البتة ولا يشبه الا مبدع بمبدع وقال ابن حايط ان كل نوع من انواع الحيوانات امة علي حيالها لقوله تعالي وَلَا طَآئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ وفي كل امة رسول من نوعه لقوله وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ولهما طريقة اخري في التناسخ وكانهما مزجا كلام التناسخية والفلاسفة والمعتزلة بعضها ببعض

البشرية اصحاب بشر بن المعتمر كان من افضل علماء المعتزلة وهو الذي احدث القول بالتولد وافرط فيه وانفرد عن اصحابه بمسائل ست الاولي منها انه زعم ان اللون والطعم والرائحة والادراكات كلها من السمع والروية يجوز ان تحصل متولدة من فعل الغير في الغير اذا كانت اسبابها من فعله وانما اخذ هذا من الطبيعيين الا انهم لا يفرقون بين المتولد والمباشر بالقدرة وربما لا يثبتون القدرة علي منهاج المتكلمين وقوة الفعل وقوة الانفعال غير القدرة التي يثبتها المتكلم الثانية قوله ان الاستطاعة هي سلامة البنية وصحة الجوارح وتخلّيها من

Digitized by Google

الافات وقال لا اقول يفعل بها في الحالة الاولي ولا في الحالة الثانية لكني اقول الانسان يفعل والفعل لا يكون الا في الثانية الثالثة قوله ان الله تعالي قادر علي تعذيب الطفل ولو فعل كان ظالماً اياه الا انه لا يستحسن ان يقال في حقه بل يقال لو فعل ذلك كان الطفل بالغاً عاقلاً عاصياً بمعصية ارتكبها مستحقاً للعقاب وهذا كلام متناقض الرابعة حكي الكعبي عنه انه قال ارادة الله تعالي فعل من افعاله وهي علي وجهين صفة ذات وصفة فعل فاما صفة الذات فهو تعالي لم يزل مريداً لجميع افعاله ولجميع طاعات عباده فانه حكيم ولا يجوز ان يعلم الحكيم صلاحاً وخيراً الا يريده واما صفة الفعل فان اراد بها فعل نفسه في حال احداثه فهي خلق له وهي قبل الخلق لان ما به يكون الشي لا يجوز ان يكون معه وان اراد بها فعل عباده فهو الامر به الخامسة قال ان عند الله تعالي لطفاً لو اتي به لآمن جميع من في الارض ايماناً يستحقون عليه الثواب استحقاقهم لو امنوا من غير وجوده واكثر منه وليس علي الله تعالي ان يفعل ذلك بعباده ولا يجب عليه رعاية الاصلح لانه لا غاية لما يقدر عليه من الصلاح فما من اصلح الا وفوقه اصلح وانما عليه ان يمكن العبد بالقدرة والاستطاعة ويزيح العلل بالدعوة والرسالة والمفكر قبل ورود السمع يعلم الباري تعالي بالنظر والاستدلال واذا كان مختاراً في فعله فيستغني عن الخاطرين فان الخاطرين لا يكون من قبل الله تعالي وانما هما من الشيطان والمفكر الاول لم يتقدمه شيطان يخطر الشك بباله ولو تقدم فالكلام في الشيطان كالكلام فيه السادسة قال من تاب عن كبيرة ثم راجعها عاد استحقاقه العقوبة الاولي فانه قبل توبته بشرط ان لا يعود

Digitized by Google

المعمرية اصحاب معمّر بن عباد السلمي وهو اعظم القدرية فرية في تدقيق القول بنفي الصفات ونفي القدر خيره وشره من الله تعالي والتكفير والتضليل علي ذلك وانفرد عن اصحابه بمسائل منها انه قال ان الله تعالي لم يخلق شيأً غير الاجسام فاما الاعراض فانها من اختراعات الاجسام اما طبعاً كالنار التي تحدث الاحراق والشمس الحرارة والقمر التلوين واما اختياراً كالحيوان يحدث الحركة والسكون والاجتماع والافتراق ومن العجب ان حدوث الجسم وفناءه عنده عرض فكيف يقول انهما من فعل الاجسام واذا لم يحدث الباري تعالي عرضاً فلم يحدث الجسم وفناءه فان الحدوث عرض فيلزمه ان لا يكون لله تعالي فعل اصلاً ثم الزم كلام الباري تعالي انه عرض او جسم فان قال هو عرض فقد احدثه الباري فان المتكلم علي اصله مَنْ فعل الكلام او يلزمه ان لا يكون لله تعالي كلام هو عرض وان قال هو جسم فقد ابطل قوله انه احدثه في محل فان الجسم لا يقوم بالجسم فاذا لم يقل هو باثبات الصفات الازلية ولا قال بخلق الاعراض فلا يكون لله تعالي كلام يتكلم به علي مقتضي مذهبه واذا لم يكن له كلام لم يكن آمراً ناهياً واذا لم يكن امر ونهي لم يكن شريعة اصلاً فادّي مذهبه الي خزي عظيم ومنها ان قال الاعراض لا تتناهي في كل نوع وقال كل عرض قايم بمحل فانما يقوم به لمعني اوجب القيام وذلك يودي الي القول بالتسلسل وعن هذه المسئلة سمي هو واصحابه اصحاب المعاني وزاد علي ذلك وقال الحركة انما خالفت السكون لا بذاتها بل بمعني اوجب المخالفة وكذلك مغايرة المثل المثل ومماثلته وتضاد الضد الضد كل ذلك عنده لمعني ومنها ما حكي الكعبي عنه ان الارادة من الله تعالي للشي غير الله وغير خلقه

للشي وغير الامر والاخبار والحكم فاشار الي امر مجهول لا يعرف وقال ليس للانسان فعل سوي الارادة مباشرة كانت او توليداً وافعاله التكليفية من القيام والقعود والحركة والسكون في الخير والشر كلها مستندة الي ارادته لا علي طريق المباشرة ولا علي التوليد وهذا عجب غير انه انما بناه علي مذهبه في حقيقة الانسان وعنده الانسان معني او جوهر غير الجسد وهو عالم قادر مختار حكيم ليس بمتحرك ولا ساكن ولا متكوّن ولا متمكن ولا يري ولا يمس ولا يحس ولا يحل موضعاً دون موضع ولا يحويه مكان ولا يحصره زمان لكنه مدبر للجسد وعلاقته مع البدن علاقة التدبير والتصرف وانما اخذ هذا القول من الفلاسفة حيث قضوا باثبات النفس الانسانية امراً ما هو جوهر قايم بنفسه لا متحيز ولا متمكن واثبتوا من جنس ذلك موجودات عقلية مثل العقول المفارقة ثم لما كان ميل معمر بن عباد الي مذهب الفلاسفة ميز بين افعال النفس التي سمّاها انساناً وبين القالب الذي هو جسده فقال فعل النفس هو الارادة فحسب والنفس انسان ففعل الانسان هو الارادة وما سوي ذلك من الحركات والسكنات والاعتمادات فهي من فعل الجسد ومنها انه يحكي عنه انه كان ينكر القول بان الله تعالي قديم لان القديم اخذ من قدم يقدم فهو قديم وهو فعل كقولك اخذ منه ما قدم وما حدث وقال ايضاً هو يشعر بالتقادم الزماني ووجود الباري تعالي ليس بزماني ويحكي عنه انه قال الخلق غير المخلوق والاحداث غير المحدث وحكي جعفر بن حرب عنه انه قال ان الله تعالي محال ان يعلم نفسه لانه يودي الي ان يكون العالم والمعلوم واحداً ومحال ان يعلم غيره كما يقال محال ان يقدر علي الموجودات من حيث

Digitized by Google

هو موجود ولعل هذا النقل فيه خلل فان عاقلاً ما لا يتكلم بمثل هذا الكلام الغير المعقول لعمري لما كان الرجل يميل الي الفلاسفة ومن مذهبهم انه ليس علم الباري تعالي علماً انفعالياً اي تابعاً للمعلوم بل علمه علم فعلي فهو من حيث هو فاعل عالم وعلمه هو الذي اوجب الفعل وانما يتعلق بالوجود حال حدوثه لا محالة ولا يجوز تعلقه بالمعدوم علي استمرار عدمه وانه علم وعقل وكونه عقلاً وعاقلاً ومعقولاً شي واحد فقال ابن عباد لا يقال يعلم نفسه لانه يودي الي تمايز بين العالم والمعلوم ولا يعلم غيره لانه يودي الي ان يكون علمه من غيره يحصل فاما ان لا يصح النقل واما ان يحمل علي مثل هذا المحمل ولسنا من رجال بن عباد فنطلب لكلامه وجهاً

المزدارية اصحاب عيسي بن صبيح المكني بابي موسي الملقب بالمزدار وقد تلمذ لبشر بن المعتمر واخذ العلم منه وتزهد ويسمي راهب المعتزلة وانما انفرد عن اصحابه بمسائل الاولي منها قوله في القدر ان الله تعالي يقدر علي ان يكذب ويظلم ولو كذب وظلم كان الهاً كاذباً ظالماً تعالي عن قوله الثانية قوله في التولد مثل قول استاذه وزاد عليه بان جوّز وقوع فعل واحد من فاعلين علي سبيل التولد الثالثة قوله في القران ان الناس قادرون علي مثل القران فصاحة ونظماً وبلاغة وهو الذي بالغ في القول بخلق القران وكفّر من قال بقدمه فانه قد اثبت قديمين وكفّر من لابس السلطان وزعم انه لا يرث ولا يورث وكفّر من قال ان اعمال العباد مخلوقة لله تعالي ومن قال انه يري بالابصار وغلا في التكفير حتي قال هم كافرون في قولهم لا اله الا الله وقد سأله ابرهيم بن السندي مرة عن اهل الارض جميعاً فاكفرهم فاقبل ابرهيم وقال

Digitized by Google

الجنة التي عرضها كعرض السماء والارض لا يدخلها الا انت وثلثة وانقوك فمخزي ولم يجد جواباً وقد تلمذ له ايضاً الجعفران وابو زفر ومحمد بن سويد وصحبه ابو جعفر محمد بن عبد الله الاسكافي وعيسي بن الهيثم وجعفر بن حرب الاشج وحكي الكعبي عن الجعفرين انهما قالا ان الله تعالي خلق القران في اللوح المحفوظ لا يجوز ان ينتقل اذ يستحيل ان يكون الشي الواحد في مكانين في حالة واحدة وما نقرأه فهو حكاية عن المكتوب الاول في اللوح المحفوظ وذلك فعلنا وخلقنا قال وهو الذي اختاره من الاقوال المختلفة في القران وقالا في تحسين العقل وتقبيحه ان العقل يوجب معرفة الله تعالي بجميع احكامه وصفاته قبل ورود الشرع وعليه ان يعلم انه ان قصر ولم يعرفه ولم يشكره عاقبه عقوبة دائمة فاثبت التخليد واجباً بالعقل

الثمامية اصحاب ثمامة بن اشرس النميري كان جامعاً بين سخافة الدين وخلاعة النفس مع اعتقاده بان الفاسق يخلد في النار اذا مات علي فسقه من غير توبة وهو في حال حيوته في منزلة بين المنزلتين وانفرد عن اصحابه بمسائل منها قوله ان الافعال المتولدة لا فاعل لها اذ لم يمكنه اضافتها الي فاعل اسبابها حتي يلزم ان يضيف الفعل الي ميت مثل ما اذا فعل السبب ومات ووجد المتولد بعده ولم يمكنه اضافتها الي الله تعالي لانه يودي الي فعل القبيح وذلك محال فتحيّر فيه وقال المتولدات افعال لا فاعل لها ومنها قوله في الكفار والمشركين والمجوس واليهود والنصاري والزنادقة والدهرية انهم يصيرون في القيامة تراباً وكذلك قوله في البهائم والطيور واطفال المؤمنين ومنها قوله الاستطاعة هي السلامة وصحة الجوارح وتخليتها من الافات وهي قبل الفعل

Digitized by Google

ومنها قوله ان المعرفة متولدة من النظر وهو فعل لا فاعل له كسائر المتولدات ومنها قوله في تحسين العقل وتقبيحه وايجاب المعرفة قبل ورود السمع مثل قول اصحابه غير انه زاد عليهم فقال من الكفار من لا يعلم خالقه وهو معذور وقال ان المعارف كلها ضرورية وان من لم يضطرّ الي معرفة الله تعالي فهو مسخر للعباد كالحيوان ومنها قوله لا فعل للانسان الا الارادة وما عداها فهو حدث لا محدث له وحكي ابن الروندي عنه انه قال العالم فعل الله تعالي بطباعه ولعله اراد بذلك ما تريده الفلاسفة من الايجاب بالذات دون الايجاد علي مقتضي الارادة لكن يلزمه علي اعتقاده ذلك ما لزم الفلاسفة من القول بقدم العالم اذ الموجَب لا ينفكّ عن الموجِب وكان ثمامة في ايام المامون وعنده بمكان

الهشامية اصحاب هشام بن عمرو الفوطي ومبالغته في القدر اشد واكثر من مبالغة اصحابه وكان يمتنع من اطلاق اضافات افعالٌ الي الباري تعالي وان ورد بها التنزيل ومنها قوله ان الله لا يؤلف بين قلوب المؤمنين بل هم المؤتلفين باختيارهم وقد ورد في التنزيل مَا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ومنها قوله ان الله تعالي لا يحبب الايمان الي المؤمنين ولا يزيّنه في قلوبهم وقد قال تعالي حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ ومبالغته في نفي اضافة الطبع والختم والسد وامثالها اشد واصعب وقد ورد بجميعها التنزيل قال الله تعالي خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وقال بل طبع الله عليهم بكفرهم وقال وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا وليت شعري ما يعتقده الرجل انكار الفاظ التنزيل وحيًا من الله تعالي فيكون تصريحًا بالكفر وانكار

Digitized by Google

ظواهرها من نسبتها الي الباري تعالي ووجوب تاويلها وذلك غير مذهب اصحابه ومن بدعته في الدلالة علي الباري تعالي قوله ان الاعراض لا تدل علي كونه خالقاً ولا تصلح الاعراض دلالات بل الاجسام تدل علي كونه خالقاً وهذا ايضاً عجب ومن بدعته في الامامة قوله انها لا تنعقد في ايام الفتنة واختلاف الناس وانما يجوّز عقدها في حال الاتفاق والسلامة وكذلك ابو بكر الاصم من اصحابهم كان يقول الامامة لا تنعقد الا باجماع الامة عن بكرة ابيهم وانما اراد بذلك الطعن في امامة علي كرّم الله وجهه اذ كانت البيعة في ايام الفتنة غير اتفاق من جميع الصحابة اذ بقي في كل طرف طائفة علي خلافه ومن بدعته ان الجنة والنار ليستا مخلوقتين الان اذ لا فائدة في وجودهما وهما جميعاً خاليتان ممن ينتفع ويتضرر بهما وبقيت هذه المسئلة منه اعتقاداً للمعتزلة وكان يقول بالموافاة وان الايمان هو الذي يوافي الموت وقال من اطاع الله جميع عمره وقد علم الله انه يأتي بما يحبط اعماله ولو بكبيرة لم يكن مستحقاً للوعد وكذلك علي العكس وصاحبه عباد من المعتزلة وكان يمتنع من اطلاق القول بان الله تعالي خلق الكافر لان الكافر كفر وانسان والله لا يخلق الكفر وقال النبوة جزاء علي عمل وانها باقية ما بقيت الدنيا وحكي الاشعري عن عباد انه زعم انه لا يقال ان الله تعالي لم يزل قائلاً ولا غير قائل ووافقه الاسكافي علي ذلك قالا ولا يسمي متكلماً وكان الفوطي يقول ان الاشياء قبل كونها معدومة وليست اشياء وهي بعد ان تُعدم عن وجود تسمي اشياء فلهذا المعني كان يمنع القول بان الله تعالي قد كان لم يزل عالماً بالاشياء قبل كونها فانها لا تسمي اشياء قال وكان يجوّز القتل والغيلة علي

Digitized by Google

المخالفين لمذهبه واخذ اموالهم غصباً وسرقة لاعتقاده كفرهم واستباحة دمائهم واموالهم

الجاحظية اصحاب عمرو بن بحر الجاحظ كان من فضلاء المعتزلة والمصنف لهم وقد طالع كثيراً من كتب الفلاسفة وخلط وروّج بعبارته البليغة وحسن براعته اللطيفة وكان في ايام المعتصم والمتوكل وانفرد عن اصحابه بمسائل ومنها قوله ان المعارف كلها ضرورية طباع وليس شي من ذلك من افعال العباد وليس للعباد كسب سوي الارادة ويحصل افعالهم طباعاً كما قال ثمامة ونقل عنه ايضاً انه انكر اصل الارادة وكونها جنساً من الاعراض فقال اذا انتفي السهو عن الفاعل وكان عالماً بما يفعله فهو المريد علي التحقيق واما الارادة المتعلقة بفعل الغير فهو ميل النفس اليه وزاد علي ذلك باثبات الطبائع للاجسام كما قالت الطبيعيون من الفلاسفة واثبت لها افعالاً مخصوصة بها وقال باستحالة عدم الجواهر فالاعراض تتبدل والجوهر لا يجوز ان يفني ومنها قوله في اهل النار انهم لا يخلدون فيها عذاباً بل يصيرون الي طبيعة النار وكان يقول النار تجذب اهلها الي نفسها دون ان يدخل احد فيها ومذهبه مذهب الفلاسفة في نفي الصفات وفي اثبات القدر خيره وشره من العبد مذهب المعتزلة وحكي الكعبي عنه انه قال يوصف الباري تعالي بانه مريد بمعني انه لا يصح عليه السهو في افعاله ولا الجهل ولا يجوز ان يُغلَب ويقهر وقال ان الخلق كلهم من العقلاء عالمون بان الله خالقهم وعارفون بانهم محتاجون الي النبي وهم محجوجون بمعرفتهم ثم هم صنفان عالم بالتوحيد وجاهل به فالجاهل معذور والعالم محجوج ومن انتحل دين الاسلام فان اعتقد ان الله

Digitized by Google

تعالي ليس بجسم ولا صورة ولا يُري بالابصار وهو عدل لا يجُور ولا يريد المعاصي وبعد الاعتقاد والتبيين اقرّ بذلك كله فهو مسلم حقاً وان عرف ذلك كله ثم جحده وانكره او دان بالتشبيه والجبر فهو مشرك كافر حقاً وان لم ينظر في شي من ذلك واعتقد ان الله ربّه وان محمداً رسول الله فهو مؤمن لا لوم عليه ولا تكليف عليه غير ذلك وحكي ابن الروندي عنه ان القران جسد يجوز ان تقلب مرة رجلاً ومرة حيواناً وهذا مثل ما يحكي عن ابي بكر الاصم انه زعم ان القران جسم مخلوق وانكر الاعراض اصلاً وانكر صفات الباري تعالي ومذهب الجاحظ هو بعينه مذهب الفلاسفة الا ان الميل منه ومن اصحابه الي الطبيعيين منهم اكثر منه الي الالهيين

الخيّاطية اصحاب ابي الحسين بن ابي عمرو الخيّاط استاذ ابي القسم بن محمد الكعبي وهما من معتزلة بغداد علي مذهب واحد الا ان الخياط غالٍ في اثبات المعدوم شيئًا وقال الشي ما يعلم ويخبر عنه والجوهر جوهر في العدم والعرض عرض وكذلك اطلق جميع اسماء الاجناس والاصناف حتي قال السواد سواد في العدم فلم يبق الا صفة الوجود او الصفات التي تلزم الوجود والحدوث واطلق علي المعدوم لفظ الثبوت وقال في نفي صفات الباري تعالي مثل ما قاله اصحابه وكذا القول في القدر والسمع والعقل وانفرد الكعبي عن استاذه بمسائل منها قوله ان ارادة الباري تعالي ليست صفة قائمة بذاته ولا هو مريد لذاته ولا ارادته حادثة في محل او لا في محل بل اذا اطلق عليه انه مريد فمعناه انه عالم قادر غير مكره في فعله او لا كاره ثم اذا قيل هو مريد لافعاله فالمراد به انه خالق لها علي وفق علمه وثم اذا قيل انه مريد لافعال عباده فالمراد به انه آمر بها راضٍ عنها

Digitized by Google

وقوله في كونه سميعًا بصيرًا راجع الي ذلك ايضًا فهو سميع بمعني انه عالم بالمسموعات وبصير بمعني انه عالم المبصرات وقوله في الروية كقول اصحابه نفيًا واحالة غير ان اصحابه قالوا يري الباري تعالي ذاته ويري المرئيات وكونه مدركًا لذلك زايد علي كونه عالمًا وقد انكر الكعبي ذلك وقال معني قولنا يري ذاته ويري المرئيات انه عالم بها فقط

الجبايية والبهشمية اصحاب ابي علي محمد بن عبد الوهاب الجباي وابنه ابي هاشم عبد السلم وهما من معتزلة البصرة انفردا عن اصحابهما بمسائل وانفرد احدهما عن صاحبه بمسائل اما المسائل التي انفردا بها عن اصحابهما فمنها انهما اثبتا ارادات حادثة لا في محل يكون الباري تعالي بها موصوفًا مريدًا وتعظيمًا لا في محل اذا اراد ان يعظم ذاته وفناءً لا في محل اذا اراد ان يفني العالم واخصّ اوصاف هذه الصفات يرجع اليه من حيث انه تعالي ايضًا لا في محل واثبات موجودات هي اعراض او في حكم الاعراض لا محل لها كاثبات موجودات هي جواهر او في حكم الجواهر لا مكان لها وذلك قريب من مذهب الفلاسفة حيث اثبتوا عقلًا هو جوهر لا في محل ولا في مكان وكذلك النفس الكلي والعقول المفارقة ومنها انهما حكما بكونه تعالي متكلمًا بكلام يخلقه في محل وحقيقة الكلام عندهما اصوات مقطعة وحروف منظومة والمتكلم مَنْ فعل الكلام لا من قام به الكلام الا ان الجباي خالف اصحابه خصوصًا بقوله يحدث الله تعالي عند قراءة كل قاري كلامًا لنفسه في محل القراءة وذلك حين الزم ان الذي يقراه القاري ليس بكلام الله والمسموع منه ليس كلام الله فالتزم هذا المحال من اثبات امر غير معقول ولا مسموع وهو

Digitized by Google

اثبات كلامين في محل واحد واتفقا علي نفي روية الله تعالي بالابصار في دار القرار وعلي القول باثبات الفعل للعبد خلقاً وابداعاً واضافة الخير والشر والطاعة والمعصية اليه استقلالاً واستبداداً وان الاستطاعة قبل الفعل وهي قدرة زائدة علي سلامة البنية وصحة الجوارح واثبتا البنية شرطاً في قيام المعاني التي يشترط في ثبوتها الحيوة واتفقا علي ان المعرفة وشكر المنعم ومعرفة الحسن والقبيح واجبات عقلية واثبتا شريعة عقلية وردا الشريعة النبوية الي مقدرات الاحكام وموقتات الطاعات التي لا يتطرق اليها عقل ولا يهتدي اليها فكر وبمقتضي العقل والحكمة يجب علي الحكيم ثواب المطيع وعقاب العاصي الا ان التاقيت والتخليد فيه يعرف بالسمع والايمان عندهما اسم مدح وهو عبارة عن خصال الخير اذا اجتمعت سمي المتحلي بها مؤمناً ومن ارتكب كبيرة فهو في الحال سمي فاسقاً لا مؤمناً ولا كافراً وان لم يتب ومات عليها فهو مخلد في النار واتفقا علي ان الله تعالي لم يدّخر عن عباده شيًا مما علم انه اذا فعل بهم اتوا باطاعة والتوبة من الصلاح والاصلح واللطف لانه قادر عالم جواد حكيم لا يضرّه الاعطاء ولا ينقص من خزائنه المنع ولا يزيد في ملكه الادّخار وليس الاصلح هو الالذّ بل هو الاعود في العاقبة والاصوب في العاجل وان كان ذلك مؤلماً مكروهاً وذلك كالحجامة والفصد وشرب الادوية ولا يقال انه تعالي يقدر علي شي هو اصلح مما فعله بعبده والتكاليف كلها الطاف وبعثة الانبياء عليهم السلم وشرع الشرائع وتمهيد الاحكام والتنبيه علي الطريق الاصوب كلها الطاف ومما تخالفا فيه اما في صفات الباري تعالي فقال الجباي الباري تعالي عالم لذاته قادر حي لذاته ومعني قوله لذاته اي لا يقتضي

كونه عالماً صفة هي علم او حال يوجب كونه عالماً وعند ابي هاشم هو عالم لذاته بمعني انه ذو حالة هي صفة معلومة وراء كونه ذاتاً موجوداً وانما تعلم الصفة علي الذات لا بانفرادها فاثبت احوالاً هي صفات لا موجودة ولا معلومة ولا مجهولة اي هي علي حيالها لا تعرف كذلك بل مع الذات قال والعقل يدرك فرقاً ضرورياً بين معرفة الشي مطلقاً وبين معرفته علي صفة فليس من عرف الذات عرف كونه عالماً ولا من عرف الجوهر عرف كونه متحيّزا قابلاً للعرض ولا شك ان الانسان يدرك اشتراك الموجودات في قضية وافتراقها في قضية وبالضرورة يعلم ان ما اشتركت فيه غير ما افترقت به وهذه القضايا العقلية لا ينكرها عاقل وهي لا ترجع الي الذات ولا الي اعراض وراء الذات فانه يودي الي قيام العرض بالعرض فتعيّن بالضرورة انها احوال فكون العالم عالماً حال هي صفة وراء كونه ذاتاً اي المفهوم منها غير المفهوم من الذات وكذلك كونه قادراً حيًّا ثم اثبت للباري تعالي حالة اخري اوجبت تلك الاحوال وخالفه والده وسائر منكري الاحوال في ذلك وردّوا الاشتراك والافتراق الي الالفاظ واسماء الاجناس وقالوا ليست الاحوال تشترك في كونها احوالاً وتفترق في خصائص كذلك نقول في الصفات والا فيودي الي اثبات الحال للحال ويفضي الي التسلسل بل هي راجعة اما الي مجرد الالفاظ اذ وضعت في الاصل علي وجه يشترك فيها الكثير لا ان مفهومها معني او صفة ثابتة في الذات علي وجه يشمل اشياء ويشترك فيها الكثير فان ذلك مستحيل او يرجع ذلك الي وجوه واعتبارات عقلية هي المفهومة من قضايا الاشتراك والافتراق وتلك الوجوه كالنسب والاضافات والقرب والبعد وغير ذلك مما لا يعدّ صفات

Digitized by Google

بالاتفاق وهذا هو اختيار ابي الحسين البصري وابي الحسن الاشعري وبنوا علي هذه المسئلة مسئلة المعدوم شي فمن مثبت كونه شيئًا كما نقلناه من جماعة المعتزلة فلا يبقي من صفات الثبوت الا كونه موجودًا فعلي ذلك لا يثبت للقدرة في ايجادها اثر ما سوي الوجود والوجود علي مذهب نفاة الاحوال لا يرجع الا الي اللفظ المجرد وعلي مذهب مثبتي الاحوال هو حالة لا توصف بالوجود والعدم وهذا كما تري من التناقض والاستحالة ومن نفاة الاحوال من يثبته شيئًا ولا يسمّيه بصفات الاجناس وعند الجباي اخصّ وصف الباري تعالي هو القدم والاشتراك في الاخصّ يوجب الاشتراك في الاعمّ وليت شعري كيف يمكنه اثبات الاشتراك والافتراق والعموم والخصوص حقيقة وهو من نفاة الاحوال فاما علي مذهب ابي هاشم فلعمري هو مطّرد غير ان القدم اذا بحث عن حقيقته رجع الي نفي الاولية والنفي يستحيل ان يكون اخصّ وصف واختلفا في كونه سميعًا بصيرًا فقال الجباي معني كونه سميعًا بصيرًا انه حيّ لا آفة به وخالفه ابنه وسائر اصحابه اما ابنه فصار الي ان كونه سميعًا حالة وكونه بصيرًا حالة سوي كونه عالمًا لاختلاف القضيتين والمفهومين والمتعلقين والآثرين وقال غيره من اصحابه معناه كونه مدركًا للمبصرات مدركًا للمسموعات واختلفا ايضًا في بعض مسائل اللطف فقال الجباي فيمن يعلم الباري تعالي من حاله انه لو امن مع اللطف لكان ثوابه اقل لقلة مشقّته ولو امن بلا لطف لكان ثوابه اكثر لعظم مشقّته انه لا يحسن منه ان يكلّفه الا مع اللطف ويسوّي بينه وبين من المعلوم من حاله انه لا يفعل الطاعة علي كل وجه الا مع اللطف ويقول ان كلّفه مع عدم اللطف لوجب ان يكون مستفيدًا

Digitized by Google

حاله غير مزيح لعلته ويخالفه ابو هاشم في بعض المواضع في هذه المسئلة قال يحسن منه تعالي ان يكلّفه الايمان علي اشقّ الوجهين بلا لطف واختلفا في فعل الالم للعوض قال الجبائي يجوز ذلك ابتداء لاجل العوض وعليه بني الام الاطفال وقال ابنه انما يحسن ذلك بشرط العوض والاعتبار جميعاً وتفصيل مذهب الجبائي في الاعواض علي وجهين احدهما انه يقول التفضل بمثل الاعواض غير انه تعالي علم انه لا ينفعه عوض الا علي الم متقدم والوجه الثاني انه انما يحسن ذلك لان العوض مستحق والتفضل غير مستحق والثواب عندهم ينفصل عن التفضل بامرين احدهما تعظيم واجلال للمثاب يقترن بالنعيم والثاني قدر زائد علي التفضل فلم يجب اذاً اجراء العوض مجري الثواب لانه لا يتميز عن التفضل بزيادة مقدار ولا بزيادة صفة وقال ابنه يحسن الابتداء بمثل العوض تفضلاً والعوض منقطع غير دائم وقال الجبائي يجوز ان يقع الانتصاف من الله تعالي للمظلوم من الظالم باعواض يتفضل بها عليه اذا لم يكن للظالم علي الله عوض شي ضرّه به وزعم ابو هاشم ان التفضل لا يقع به انتصاف لان التفضل ليس يجب فعله وقال الجبائي وابنه لا يجب علي الله شي لعباده في الدنيا اذا لم يكلّفهم عقلاً ولا شرعاً فاما اذا كلّفهم فعل الواجب في عقولهم واجتناب القبائح وخلق فيهم الشهوة للقبيح والنفور من الحسن وركّب فيهم الاخلاق الذميمة فانه يجب عليه عند هذا التكليف اكمال العقل ونصب الادلّة والقدرة والاستطاعة وتهيئة آلة بحيث يكون مزيحاً لعللهم فيما امرهم ويجب عليه ان يفعل بهم ادعي الامور الي فعل ما كلّفهم به وازجر الاشياء لهم عن فعل القبيح الذي نهاهم عنه ولهم في مسائل هذا

الباب خبط طويل واما كلام جميع المعتزلة في النبوة والامامة فيخالف كلام البصريين فان من شيوخهم من يميل الي الروافض ومنهم من يميل الي الخوارج والجبائي وابو هاشم قد وافقا اهل السنة في الامامة انها بالاختيار وان الصحابة مترتبون في الفضل ترتيبهم في الامامة غير انهم ينكرون الكرامات اصلاً للاولياء من الصحابة وغيرهم ويبالغون في عصمة الانبياء عن الذنوب كبائرها وصغائرها حتي منع الجبائي القصد الي الذنب الا علي تاويل والمتاخرون من المعتزلة مثل القاضي عبد الجبار وغيره انتهجوا طريقة ابي هاشم وخالفه في ذلك ابو الحسين البصري وتصفح ادلّة الشيوخ واعترض علي ذلك بالتزييف والابطال وانفرد عنهم بمسائل منها نفي الحال ومنها نفي المعدوم شيئًا ومنها نفي الاكوان اعراضاً ومنها قوله ان الموجودات تتمايز باعيانها وذلك من توابع نفي الحال ومنها ردّه الصفات كلها الي كون الباري تعالي عالماً قادراً مدركاً وله ميل الي مذهب هشام بن الحكم ان الاشياء لا تعلم قبل كونها والرجل فلسفي المذهب الا انه روّج كلامه علي المعتزلة في معرض الكلام فراج عليهم لقلة معرفتهم بمسالك المذاهب

الجبرية الجبر هو نفي الفعل حقيقة عن العبد واضافته الي الرب تعالي والجبرية اصناف فالجبرية الخالصة هي التي لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة علي الفعل اصلاً والجبرية المتوسطة ان تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة اصلاً فاما من اثبت للقدرة الحادثة اثراً ما في الفعل وسمّي ذلك كسباً فليس بجبري والمعتزلة يسمّون من لم يثبت للقدرة الحادثة اثراً في الابداع والاحداث استقلالاً جبرياً ويلزمهم ان يسمّوا من قال من اصحابهم بان المتولدات افعال لا فاعل لها

Digitized by Google

جبريًا اذ لم يثبتوا للقدرة الحادثة فيها اثراً والمصنفون في المقالات عدّوا النجارية والضرارية من الجبرية وكذلك جماعة الكلابية من الصفاتية والاشعرية سمّوهم تارة حشوية وتارة جبرية ونحن سمعنا اقرارهم علي اصحابهم من النجارية والضرارية فعددناهم من الجبرية ولم نسمع اقرارهم علي غيرهم فعددناهم من الصفاتية

الجهمية اصحاب جهم ابن صفوان وهو من الجبرية الخالصة ظهرت بدعته بترمذ وقتله سالم بن احوز المازني بمرو في اخر ملك بني امية ووافق المعتزلة في نفي الصفات الازلية وزاد عليهم باشياء منها قوله لا يجوز ان يوصف الباري تعالي بصفة يوصف بها خلقه لان ذلك يقتضي تشبيهاً فنفي كونه حيّاً عالماً واثبت كونه قادراً فاعلاً خالقاً لانه لا يوصف شي من خلقه بالقدرة والفعل والخلق ومنها اثباته علوماً حادثة للباري تعالي لا في محل قال لا يجوز ان يعلم الشي قبل خلقه لانه لو علم ثم خلق افبقي علمه علي ما كان ام لم يبق فان بقي فهو جهل فان العلم بان سيوجد غير العلم بان قد وجد وان لم يبق فقد تغيّر والمتغير مخلوق ليس بقديم ووافق في هذا مذهب هشام بن الحكم كما تقرر قال واذا ثبت حدوث العلم فليس يخلوا اما ان يحدث في ذاته تعالي وذلك يودي الي التغيّر في ذاته وان يكون محلاً للحوادث واما ان يحدث في محل فيكون المحل موصوفاً به لا الباري تعالي فتعيّن انه لا محل له فاثبت علوماً حادثة بعدد المعلومات الموجودة ومنها قوله في القدرة الحادثة ان الانسان لا يقدر علي شي ولا يوصف بالاستطاعة وانما هو مجبور في افعاله لا قدرة له ولا ارادة ولا اختيار وانما يخلق الله تعالي الافعال

Digitized by Google

فيه علي حسب ما يخلق في سائر الجمادات وينسب اليه الافعال مجازاً كما ينسب الي الجمادات كما يقال اثمرت الشجرة وجري الماء وتحرّك الحجر وطلعت الشمس وغربت وتغيّمت السماء وامطرت واهتزّت الارض فانبتت الي غير ذلك والثواب والعقاب جبر كما ان الافعال جبر وقال اذا ثبت الجبر فالتكليف ايضاً كان جبراً ومنها قوله ان حركات اهل الخلدين تنقطع والجنة والنار تفنيان بعد دخول اهلها فيهما وتلذّذ اهل الجنة بنعيمها وتألّم اهل النار بجهيمها اذ لا يتصور حركات لا تتناهي اخراً كما لا يتصور حركات لا تتناهي اولاً وحمل قوله تعالي خَالِدِينَ فِيهَا علي المبالغة والتاكيد دون الحقيقة في التخليد كما يقال خلّد الله ملك فلان واستشهد علي الانقطاع بقوله تعالي خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَوَاتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ فالآية اشتملت علي شريطة واستثناء والخلود والتابيد لا شرط فيه ولا استثناء ومنها قوله من اتي بالمعرفة ثم جحد بلسانه لم يكفر بجحده لان العلم والمعرفة لا يزولان بالجحد فهو مؤمن قال والايمان لا يتبعض اي لا ينقسم الي عقد وقول وعمل قال ولا يتفاضل اهله فيه فايمان الانبياء وايمان الامّة علي نمط واحد اذا المعارف لا تتفاضل وكان السلف كلهم من اشدّ الرادّين عليه ونسبته الي التعطيل المحض وهو ايضاً موافق للمعتزلة في نفي الرؤية واثبات خلق الكلام وايجاب المعارف بالعقل قبل ورود السمع

النجّارية اصحاب الحسين بن محمد النجّار واكثر معتزلة الري وخوالبها علي مذهبه وهم وان اختلفوا اصنافاً الا انهم لم يختلفوا في المسائل التي عددناها اصولاً وهم برغوثية وزعفرانية ومستدركة وافقوا المعتزلة في نفي الصفات من

Digitized by Google

العلم والقدرة والارادة والحيوة والسمع والبصر ووافقوا ايضًا الصفاتية في خلق الاعمال قال النجّار الباري تعالي مريد لنفسه كما هو عالم لنفسه فالزم عموم التعلق فالتزم وقال هو مريد الخير والشر والنفع والضر وقال ايضاً معني كونه مريداً انه غير مستكره ولا مغلوب وقال هو خالق اعمال العباد خيرها وشرها وحسنها وقبيحها والعبد مكتسب لها واثبت تاثيراً للقدرة الحادثة وسمّي ذلك كسباً علي حسب ما يثبته الاشعري ووافقه ايضًا في ان الاستطاعة مع الفعل واما في مسئلة الروية فانكر روية الله تعالي بالابصار واحالها غير انه قال يجوز ان يحوّل الله تعالي القوة التي في القلب من المعرفة الي العين فيعرف الله بها ويكون ذلك روية وقال بحدوث الكلام لكنه انفرد عن المعتزلة باشياء منها قوله ان كلام الباري تعالي اذا قري فهو عرض واذا كتب فهو جسم ومن العجب ان الزعفرانية قالت كلام الله غيره وكل ما هو غيره فهو مخلوق ومع ذلك قالت كل من قال القران مخلوق فهو كافر ولعلهم ارادوا بذلك الاختلاف والا فالتناقض ظاهر والمستدركة منهم زعموا ان كلامه غيره وهو مخلوق لكن النبي صلي الله عليه وسلم قال كلام الله غير مخلوق والسلف اجمعت علي هذه العبارة فوافقناهم وحملنا قولهم غير مخلوق اي علي هذا الترتيب والنظم من الحروف والاصوات بل هو مخلوق علي غير هذه الحروف بعينها وهذه حكاية عنها وحكي الكعبي عن النجّار انه قال الباري تعالي بكل مكان ذاتاً ووجوداً لا علي معني العلم والقدرة والرمه محالات علي ذلك وقال في المفكر قبل ورود السمع مثل ما قالت المعتزلة انه يجب عليه تحصيل المعرفة بالنظر والاستدلال وقال في الايمان انه عبارة عن التصديق ومن ارتكب

Digitized by Google

كبيرة ومات عليها من غير توبة عوقب علي ذلك ويجب ان يخرج من النار فليس من العدل التسوية بينه وبين الكفّار في الخلود ومحمد بن عيسي الملقب ببرغوث وبشر بن عتاب المريسي والحسين النجّار متقاربون في المذهب وكلهم اثبتوا كونه تعالي مريدً لم يزل لكل ما علم انه سيحدث من خير وشر وايمان وكفر وطاعة ومعصية وعامة المعتزلة يأبون ذلك

الضرارية اصحاب ضرار بن عمرو وحفص الفرد واتفاقهما في التعطيل انهما قالا الباري تعالي عالم قادر علي معني انه ليس بجاهل ولا عاجز واثبتا لله تعالي ماهية لا يعلمها الا هو وقالا ان هذه المقالة محكية عن ابي حنيفة رحمة الله عليه وجماعة من اصحابه واراد بذلك انه يعلم نفسه شهادة لا بدليل ولا خبر ونحن نعلمه بدليل وخبر واثبتا حاسّة سادسة للانسان يري بها الباري تعالي يوم الثواب في الجنة وقالا افعال العباد مخلوقة للباري تعالي حقيقة والعبد يكتسبها حقيقة وجوّزوا حصول فعل بين فاعلين وقالا يجوز ان يقلب الله الاعراض اجساماً والاستطاعة والعجز بعض الجسم وهو جسم ولا محالة يبقي زمانين وقالا الحجة بعد رسول الله صلي الله عليه وسلم في الاجماع فقط فما ينقل عنه في احكام الدين من اخبار الاحاد فغير مقبول ويحكي عن ضرار انه كان ينكر حرف عبد الله ابن مسعود وحرف أُبي بن كعب ويقطع بان الله لم ينزله وقال في المفكر قبل ورود السمع انه لا يجب عليه بعقله شي حتي يأتيه الرسول فيأمره وينهاه ولا يجب علي الله تعالي شي بحكم العقل وزعم ضرار ايضاً ان الامامة تصلح في غير قريش حتي اذا اجتمع قرشي ونبطي قدّمنا النبطي اذ هو اقل عدداً واضعف وسيلة فيمكننا خلعه اذا خالف

Digitized by Google

الشريعة والمعتزلة وان جوّزوا الامامة في غير قريش الا انهم لا يقدّمون النبطي علي القرشي

الصفاتية اعلم ان جماعة كثيرة من السلف كانوا يثبتون لله تعالي صفات ازلية من العلم والقدرة والحيوة والارادة والسمع والبصر والكلام والجلال والاكرام والجود والانعام والعزّة والعظمة ولا يفرقون بين صفات الذات وصفات الفعل بل يسوقون الكلام سوقًا واحداً وكذلك يثبتون صفات خبرية مثل اليدين والوجه ولا يأوّلون ذلك الا انهم يقولون هذه الصفات قد وردت في الشرع فنسمّيها صفات خبرية ولما كانت المعتزلة ينفون الصفات والسلف يثبتون سمّي السلف صفاتية والمعتزلة معطّلة فبلغ بعض السلف في اثبات الصفات الي حد التشبيه بصفات المحدثات واقتصر بعضهم علي صفات دلّت الافعال عليها وما ورد به الخبر فافترقوا فيه فرقتين منهم من اوّلها علي وجه يحتمل اللفظ ذلك ومنهم من توقف في التاويل وقال عرفنا بمقتضي العقل ان الله تعالي ليس كمثله شي ولا يشبه شيئًا من المخلوقات ولا يشبهه شي منها وقطعنا بذلك الا انا لا نعرف معني اللفظ الوارد فيه مثل قوله تعالي ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ومثل قوله خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ومثل قوله وَجَآءَ رَبُّكَ الي غير ذلك ولسنا مكلفين بمعرفة تفسير هذه الايات وتاويلها بل التكليف قد ورد بالاعتقاد بانه لا شريك له وليس كمثله شي وذلك قد اثبتناه يقيناً ثم ان جماعة من المتأخرين زادوا علي ما قالته السلف فقالوا لا بد من اجرائها علي ظاهرها والقول بتفسيرها كما وردت من غير تعرض للتاويل ولا توقف في الظاهر فوقعوا في التشبيه الصرف وذلك علي خلاف ما اعتقده السلف ولقد كان

Digitized by Google

التشبيه صرفًا خالصًا في اليهود لا في كلهم بل في القرايين منهم اذ وجدو في التورية الفاظًا كثيرة تدلّ علي ذلك ثم الشيعة في هذه الشريعة وقعوا في غلو وتقصير اما الغلو فتشبيه بعض ائمتهم بالاله تعالي وتقدس واما التقصير فتشبيه الاله بواحد من الخلق ولما ظهرت المعتزلة والمتكلمون من السلف رجعت بعض الروافض عن الغلو والتقصير ووقعت في الاعتزال وتخطّت جماعة من السلف الي التفسير الظاهر فوقعت في التشبيه اما السلف الذين لم يتعرضوا للتاويل ولا تهدفوا للتشبيه فمنهم مالك بن انس رضي الله عنهما اذا قال الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة ومثل احمد ابن حنبل وسفيان وداود الاصفهاني ومن تابعهم حتي انتهي الزمان الي عبد الله بن سعيد الكلابي وابي العباس القلانسي والحرث بن اسد المحاسبي وهولاء كانوا من جملة السلف الا انهم باشروا علم الكلام وايدوا عقائد السلف بحجج كلامية وبراهين اصولية وصنف بعضهم ودرس بعض حتي جري بين ابي الحسن الاشعري وبين استاذه مناظرة في مسئلة من مسائل الصلاح والاصلح فتخاصما وانحاز الاشعري الي هذه الطايفة فايّد مقالتهم بمناهج كلامية وصار ذلك مذهبًا لاهل السنة والجماعة وانتقلت سمة الصفاتية الي الاشعرية ولما كانت المشبهة والكرامية من مثبتي الصفات عددناهم فرقتين من جملة الصفاتية

الاشعرية اصحاب ابي الحسن علي بن اسمعيل الاشعري المنتسب الي ابي موسي الاشعري رضي الله عنه وسمعت من عجيب الاتفاقات ان ابا موسي الاشعري كان يقرر بعينه ما يقرره الاشعري في مذهبه وقد جرت مناظرة بين

Digitized by Google

عمرو بن العاص وبينه فقال عمرو ان اجد احداً اخاصم اليه ربّي فقال ابو موسي
انا ذلك المتحاكم اليه قال عمرو ايقدر علي شيئاً ثم يعذبني عليه قال نعم
قال عمرو ولِمَ قال لانه لا يظلمك فسكت عمرو ولم يجد جواباً قال الاشعري
الانسان اذا فكر في خلقته من اي شي ابتدأ وكيف دار في اطوار الخلقة كوراً
بعد كور حتي وصل الي كمال الخلقة وعرف يقيناً انه بذاته لم يكن ليدبّر
ويبلغه من درجة الي درجة ويرقّيه من نقص الي كمال عرف بالضرورة ان له
صانعاً قادراً عالماً مريداً اذ لا يتصور صدور هذه الافعال المحكمة من طبع لظهور
اثار الاختيار في الفطرة وتبيّن اثار الاحكام والاتقان في الخلقة فله صفات دلّت
افعاله عليها لا يمكن جحدها كما دلّت الافعال علي كونه عالماً قادراً مريداً
دلّت علي العلم والقدرة والارادة لان وجه الدلالة لا يتخلف شاهداً او غائباً
وايضاً لا معني للعالم حقيقة الا انه ذو علم ولا للقادر الا انه ذو قدرة ولا للمريد
الا انه ذو ارادة فيحصل بالعلم الاحكام والاتقان ويحصل بالقدرة الوقوع والحدوث
ويحصل بالارادة التخصيص بوقت دون وقت وقدر دون قدر وشكل دون شكل
وهذه الصفات لن يتصور ان يوصف بها الذات الا وان يكون الذات حيّاً بحيوة
للدليل الذي ذكرناه والزم منكري الصفات الزاماً لا محيص لهم عنه وهو انكم
وافقتمونا او قام الدليل علي كونه عالماً قادراً فلا يخلوا اما ان يكون المفهومان
من الصفتين واحداً او زائداً فان كان واحداً فيجب ان يعلم بقادريته ويقدر
بعالميته ويكون من علم الذات مطلقاً علم كونه عالماً قادراً وليس الامر كذلك
فعرف ان الاعتبارين مختلف فلا يخلوا اما ان يرجع الاختلاف الي مجرد
اللفظ او الي الحال او الي الصفة وبطل رجوعه الي اللفظ المجرد فان العقل

Digitized by Google

يقضي باختلاف مفهومين معقولين لو قدر عدم الالفاظ راسًا ما ارتاب العقل فيما تصوره وبطل رجوعه الي الحال فان اثبات صفة لا توصف بالوجود ولا بالعدم اثبات واسطة بين الوجود والعدم والاثبات والنفي وذلك محال فتعيّن الرجوع الي صفة قائمة بالذات وذلك مذهبه علي ان القاضي ابا بكر الباقلاني من اصحاب الاشعري قد ردد قوله في اثبات الحال ونفيها وتقرّر رايه علي الاثبات ومع ذلك اثبت الصفات معاني قائمة به لا احوالاً وقال الحال الذي اثبته ابو هاشم هو الذي نسمّيه صفة خصوصاً اذا اثبت حالة اوجبت تلك الصفات قال ابو الحسن الباري تعالي عالم بعلم قادر بقدرة حيّ بحيوة مريد بارادة متكلم بكلام سميع بسمع بصير ببصر وله في البقاء اختلاف راي قال وهذه الصفات ازلية قائمة بذاته تعالي لا يقال هي هو ولا غيره ولا لا هو ولا لا غيره والدليل علي انه متكلم بكلام قديم ومريد بارادة قديمة قال قام الدليل علي انه ملك والملك من له الامر والنهي فهو آمر ناهٍ فلا يخلوا اما ان يكون آمراً بأمر قديم او بأمر محدث وان كان محدثًا فلا يخلوا اما ان يحدثه في ذاته او في محل او لا في محل ويستحيل ان يحدثه في ذاته لانه يودي الي ان يكون محلاً للحوادث وذلك محال ويستحيل ان يكون في محل لانه يوجب ان يكون المحل به موصوفاً ويستحيل ان يحدثه لا في محل لان ذلك غير معقول فتعيّن انه قديم قائم به صفة له وكذلك التقسيم في الارادة والسمع والبصر قال وعلمه واحد يتعلق بجميع المعلومات المستحيل والجائز والواجب والموجود والمعدوم وقدرته واحدة يتعلق بجميع ما يصحّ وجوده من الجائزات وارادته واحدة تتعلق بجميع ما تقبل الاختصاص وكلامه واحد هو امر ونهي

Digitized by Google

وخبر واستخبار ووعد ووعيد وهذه الوجوه ترجع الي الاعتبارات في كلامه لا الي العدد في نفس الكلام والعبارات والالفاظ المنزلة علي لسان الملائكة الي الانبياء عليهم السلم دلالات علي الكلام الازلي والدلالة مخلوقة محدثة والمدلول قديم ازلي والفرق بين القراءة والمقروّ والتلاوة والمتلوّ كالفرق بين الذكر والمذكور فالذكر محدث والمذكور قديم وخالف الاشعري بهذا التدقيق جماعة من الحشوية اذ قضوا بكون الحروف والكلمات قديمة والكلام عند الاشعري معني قائم بالنفس سوي العبارة بل العبارة دلالة عليه من الانسان فالمتكلم عنده من قام به الكلام وعند المعتزلة من فعل الكلام غير ان العبارة تسمّي كلاماً اما بالمجاز وامّا باشتراك اللفظ قال وارادته واحدة ازلية متعلقة بجميع المرادات من افعاله الخاصّة وافعال عباده من حيث انها مخلوقة له لا من حيث انها مكتسبة لهم فعن هذا قال اراد الجميع خيرها وشرّها ونفعها وضرّها وكما اراد وعلم اراد من العباد ما علم وامر القلم حقي كتب في اللوح المحفوظ فذلك حكمه وقضاؤه وقدره الذي لا يتغير ولا يتبدل وخلاف المعلوم مقدور الجنس محال الوقوع وتكليف ما لا يطاق جائز علي مذهبه للعلة التي ذكرناها ولان الاستطاعة عنده عرض والعرض لا يبقي زمانين ففي حال التكليف لا يكون المكلف قط قادراً ولان المكلف لن يقدر علي احداث ما امر به فاما ان يجوز ذلك في حق من لا قدرة له اصلاً علي الفعل فمحال وان وجد ذلك منصوصاً عليه في كتابه قال والعبد قادر علي افعاله اذ الانسان يجد من نفسه تفرقة ضرورية بين حركات الرعدة والرعشة وبين حركات الاختيار والارادة والتفرقة راجعة الي ان الحركات الاختيارية حاصلة تحت القدرة متوقفة علي اختيار

Digitized by Google

القادر فعن هذا قال المكتسب هو المقدور بالقدرة الحادثة والحاصل تحت القدرة الحادثة ثم علي اصل ابي الحسن لا تأثير للقدرة الحادثة في الاحداث لان جهة الحدوث قضية واحدة لا تختلف بالنسبة الي الجوهر والعرض فلو أثرت في قضية الحدوث لأثرت في حدوث كل محدث حتي يصلح لاحداث الالوان والطعوم والروائح ويصلح لاحداث الجواهر والاجسام فيودي الي تجويز وقوع السماء والارض بالقدرة الحادثة غير ان الله تعالي اجري سنّته بان يخلق عقيب القدرة الحادثة او تحتها ومعها الفعل الحاصل اذا اراده العبد وتجرد له ويسمّي هذا الفعل كسباً فيكون خلقاً من الله تعالي ابداعاً واحداثاً وكسبًا من العبد حصولاً تحت قدرته والقاضي ابو بكر الباقلاني تخطي عن هذا القدر قليلاً فقال الدليل قد قام علي ان القدرة الحادثة لا تصلح للايجاد لكن ليست تقتصر صفات الفعل او وجوهه واعتباراته علي جهة الحدوث فقط بل هاهنا وجوه اخر وراء الحدوث من كون الجوهر جوهرًا متحيّزاً قابلاً للعرض ومن كون العرض عرضاً ولونًا وسواداً وغير ذلك وهذه احوال عند مثبتي الاحوال قال فجهة كون الفعل حاصلاً بالقدرة الحادثة او تحتها نسبة خاصّة يسمّي ذلك كسبًا وذلك هو أثر القدرة الحادثة قال فاذا جاز علي اصل المعتزلة ان يكون تأثير القدرة او القادرية القديمة في حال هو الحدوث والوجود او في وجه من وجوه الفعل فلِمَ لا يجوز ان يكون تأثير القدرة الحادثة في حال هو صفة للحادث او في وجه من وجوه الفعل وهو كون الحركة مثلاً علي هيئة مخصوصة وذلك ان المفهوم من الحركة مطلقاً ومن العرض مطلقاً غير والمفهوم من القيام والقعود غير وهما حالتان متمايزتان فان كل قيام حركة وليس كل

Digitized by Google

حركة قياماً ومن المعلوم ان الانسان يفرق فرقاً ضرورياً بين قولنا اوجد وبين قولنا صلي وصام وقعد وقام وكما لا يجوز ان يضاف الي الباري تعالي جهة ما يضاف الي العبد فكذلك لا يجوز ان يضاف الي العبد جهة ما يضاف الي الباري تعالي فاثبت القاضي تأثيراً للقدرة الحادثة وأثرها هي الحالة الخاصّة وهي جهة من جهات الفعل حصلت من تعلّق القدرة الحادثة بالفعل وتلك الجهة هي المتعيّنة لان تكون مقابلة بالثواب والعقاب فان الوجود من حيث هو وجود لا يستحق عليه ثواب وعقاب خصوصاً علي اصل المعتزلة فان جهة الحسن والقبح هي التي تقابل بالجزاء والحسن والقبح صفتان ذاتيتان وراء الوجود فالموجود من حيث هو موجود ليس بحسن ولا قبيح قال فاذا جاز لكم اثبات صفتين هما حالتان جاز لي اثبات حالة هي متعلقة القدرة الحادثة ومن قال هي حالة مجهولة فبيّنّا بقدر الامكان جهتها وعرّفناها ايش هي ومثلناها كيف هي ثم ان امام الحرمين ابا المعالي الجويني قدس الله روحه تخطي عن هذا البيان قليلاً قال اما نفي القدرة والاستطاعة فمما ياباه العقل والحسّ واما اثبات قدرة لا أثر لها بوجه فهو كنفي القدرة اصلاً واما اثبات تأثير في حالة لا يعقل كنفي التأثير خصوصاً والاحوال علي اصلهم لا توصف بالوجود والعدم فلا بد اذاً من نسبة فعل العبد الي قدرته حقيقة لا علي وجه الاحداث والخلق فان الخلق يشعر باستقلال ايجاده من العدم والانسان كما يحسّ من نفسه الاقتدار يحسّ من نفسه ايضاً عدم الاستقلال فالفعل يستند وجوداً الي القدرة والقدرة تستند وجوداً الي سبب اخر يكون نسبة القدرة الي ذلك السبب كنسبة الفعل

Digitized by Google

الي القدرة وكذلك يستند سبب الي سبب حتي ينتهي الي مسبب الاسباب فهو الخالق للاسباب ومسبباتها المستغني علي الاطلاق فان كل سبب مستغنٍ من وجه محتاج من وجه والباري تعالي هو الغني المطلق الذي لا حاجة له ولا فقر وهذا الراي انما اخذه من الحكماء الالهيين وابرزه في معرض الكلام وليس يختصّ نسبة السبب الي السبب علي اصلهم بالفعل والقدرة بل كل ما يوجد من الحوادث فذلك حكمه وحينئذ يلزم القول بالطبع وتأثير الاجسام في الاجسام ايجاداً وتأثير الطبائع في الطبائع احداثاً وليس ذلك مذهب الاسلاميين كيف وراي المحققين من الحكماء ان الجسم لا يؤثر في ايجاد الجسم قالوا الجسم لا يجوز ان يصدر عن جسم ولا عن قوة ما في جسم فان الجسم مركب من مادّة وصورة فلو أثّر لأثّر بجهتيه اعني بمادّته وصورته والمادّة لها طبيعة عدمية فلو أثّرت لأثّرت بمشاركة العدم والتالي محال فالمقدم اذاً محال فنقيضه حق وهو ان الجسم وقوة ما في الجسم لا يجوز ان يؤثر في جسم وتخطي من هو اشدّ تحقيقاً واغوص تفكّراً عن الجسم وقوة في الجسم الي كل ما هو جائز بذاته فقال كل ما هو جائز بذاته لا يجوز ان يحدث شيئاً ما فانه لو احدث لاحدث بمشاركة الجواز والجواز له طبيعة عدمية فلو خلّي الجائز وذاته كان عدماً فلو أثّر الجواز بمشاركة العدم لأدّي الي ان يؤثر العدم في الوجود وذلك محال فاذاً لا موجد علي الحقيقة الا واجب الوجود بذاته وما سواه من الاسباب معدّات لقبول الوجود لا محدثات لحقيقة الوجود ولهذا شرح سنذكره فمن العجب ان مأخذ كلام الامام ابي المعالي اذا كان بهذه المثابة فكيف يمكن اضافة الفعل الي الاسباب حقيقة هذا ونعود الي

Digitized by Google

كلام صاحب المقالة قال ابو الحسن علي بن اسمعيل الاشعري اذا كان الخالق علي الحقيقة هو الباري تعالي لا يشاركه في الخلق غيره فاخصّ وصفه تعالي هو القدرة علي الاختراع قال وهذا هو تفسير اسمه تعالي الله وقال ابو اسحق الاسفرايني اخصّ وصفه هو كون يوجب تميّزه عن الاكوان كلها وقال بعضهم نعلم يقيناً ان ما من وجود الا ويتميّز عن غيره بأمر ما والا فيقتضي ان يكون الموجودات كلها مشتركة متساوية والباري تعالي موجود فيجب ان يتميّز عن سائر الموجودات باخصّ وصف الا ان العقل لا ينتهي الي معرفة ذلك الاخصّ ولم يرد به سمع فيتوقف ثم هل يجوز ان يدركه العقل ففيه خلاف ايضاً وهذا قريب من مذهب ضرار غير انه اطلق لفظ الماهية وهو من حيث العبارة منكر ومن مذهب الاشعري ان كل موجود فيصحّ ان يُري فان المصحّح للروية انما هو الوجود والباري تعالي موجود فيصحّ ان يُري وقد ورد السمع بان المومنين يرونه في الاخرة قال الله تعالي وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَي رَبِّهَا نَاظِرَةٌ الي غير ذلك من الايات والاخبار قال ولا يجوز ان يتعلق به الروية علي جهة ومكان وصورة ومقابلة واتصال شعاع او علي سبيل انطباع فان ذلك مستحيل وله قولان في ماهية الروية احدهما انه علم مخصوص ويعني بالخصوص انه يتعلّق بالوجود دون العدم والثاني انه ادراك وراء العلم لا يقتضي تأثيراً في المدرك ولا تأثّراً عنه واثبت السمع والبصر للباري تعالي صفتين ازليتين هما ادراكان وراء العلم يتعلقان بالمدركات الخاصّة بكل واحد بشرط الوجود واثبت اليدين والوجه صفات خبرية فيقول ورد بذلك السمع فيجب الاقرار به كما ورد وصغوه الي طريقة السلف من ترك التعرض للتاويل

Digitized by Google

وله قول ايضا في جواز التاويل ومذهبه في الوعد والوعيد والاسماء والاحكام والسمع والعقل مخالف للمعتزلة من كل وجه قال الايمان هو التصديق بالقلب واما القول باللسان والعمل علي الاركان فروعه فمن صدّق بالقلب اي اقرّ بوحدانية الله تعالي واعترف بالرسل تصديقاً لهم فيما جاوا بهِ بالقلب صحّ ايمانه حتي لو مات عليه في الحال كان مؤمناً ناجيًا ولا يخرج من الايمان الا بانكار شي من ذلك وصاحب الكبيرة اذا خرج من الدنيا من غير توبة يكون حكمه الي الله تعالي اما ان يغفر له برحمته واما ان يشفع فيه النبي صلي الله عليه وسلم اذ قال شفاعتي لاهل الكبائر من امتي واما ان يعذبه بمقدار جرمه ثم يدخله الجنة برحمته ولا يجوز ان يخلّد في النار مع الكفار لما ورد به السمع من الاخراج من النار من كان في قلبه مثقال ذرّة من الايمان قال ولو تاب لا اقول بانه يجب علي الله تعالي قبول توبته بحكم العقل اذ هو الموجب فلا يجب عليه شي بل ورد السمع بقبول توبة التائبين واجابة دعوة المضطرّين وهو المالك في خلقه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فلو ادخل الخلائق باجمعهم الجنة لم يكن حيفاً ولو ادخلهم النار لم يكن جوراً اذ الظلم هو التصرف فيما لا يملكه المتصرف او وضع الشي في غير موضعه وهو المالك المطلق فلا يتصور منه ظلم ولا ينسب اليه جور قال والواجبات كلها سمعية والعقل ليس يوجب شيئًا ولا يقتضي تحسيناً وتقبيحًا فمعرفة الله تعالي بالعقل يحصل وبالسمع يجب قال الله تعالي وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّي نَبْعَثَ رَسُولاً وكذلك شكر المنعم واثابة المطيع وعقاب العاصي يجب بالسمع دون العقل ولا يجب علي الله تعالي شي ما بالعقل

Digitized by Google

لا الصلاح ولا الاصلح ولا اللطف وكل ما يقتضيه العقل من الحكمة الموجبة فيقتضي نقيضه من وجه اخر واصل التكليف لم يكن واجبًا علي الله تعالي اذ لم يرجع اليه نفع ولا اندفع به عنه ضرر وهو قادر علي مجازاة العبد ثوابًا وعقابًا وقادر علي الافضال عليهم ابتداء تكرّمًا وتفضّلًا والثواب والتفضل والنعيم واللطف كله منه فضل والعقاب والعذاب كله عدل لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وانبعاث الرسل من القضايا الجائزة لا الواجبة ولا المستحيلة ولكن بعد الانبعاث تاييدهم بالمعجزات وعصمتهم من الموبقات من جملة الواجبات اذ لا بد من طريق للمستمعُ يسلكه فيعرف به صدق المدعي ولا بد من ازاحة العلل فلا يقع في التكليف تناقض والمعجزة فعل خارق للعادة مقترن بالتحدّي سليم عن المعارضة يتنزل منزلة التصديق بالقول من حيث القرينة وهو منقسم الي خرق المعتاد والي اثبات غير المعتاد والكرامات للاولياء حق وهو من وجه تصديق للانبياء وتاكيد للمعجزات والايمان والطاعة بتوفيق الله تعالي والكفر والمعصية بخذلانه والتوفيق عنده خلق القدرة علي الطاعة والخذلان خلق القدرة علي المعصية وعند بعض اصحابه تيسير اسباب الخير هو التوفيق وبضدّه الخذلان وما ورد به السمع من الاخبار عن الامور الغائبة مثل القلم واللوح والعرش والكرسي والجنة والنار فيجب اجراوها علي ظاهرها والايمان بها كما جاءت اذ لا استحالة في اثباتها وما ورد من الاخبار عن الامور المستقبلة في الاخرة مثل سؤال القبر والثواب والعقاب فيه ومثل الميزان والحساب والصراط وانقسام الفريقين فريق في الجنة وفريق في السعير حق يجب الاعتراف بها واجراوها علي ظاهرها اذ لا استحالة في وجودها

Digitized by Google

والقران عنده معجز من حيث البلاغة والنظم والفصاحة اذ خُيّر العرب بين السيف وبين المعارضة فاختاروا اشد القسمين اختيار عجز عن المقابلة ومن اصحابه من اعتقد ان الاعجاز في القران من جهة صرف الدواعي وهو المنع من المعتاد ومن جهة الاخبار عن الغيب وقال الامامة تثبت بالاتفاق والاختيار دون النص والتعيين اذ لو كان ثم نص لما خفي والدواعي تتوفّر علي نقله واتفقوا في بيعة سقيفة بني ساعدة علي ابي بكر رضي الله عنه ثم اتفقوا بعد تعيين ابي بكر علي عمر رضي الله عنهما واتفقوا بعد الشوري علي عثمان رضي الله عنه واتفقوا بعده علي علي عليه السلام وهم مترتبون في الفضل ترتّبهم في الامامة وقال لا نقول في عائشة وطلحة والزبير الا انهم رجعوا عن الخطاء وطلحة والزبير من العشرة المبشرين بالجنة ولا نقول في معاوية وعمرو بن العاص الا انهما بغيا علي الامام الحق فقاتلهم علي مقاتلة اهل البغي واما اهل النهروان فهم الشراة المارقون عن الدين بخبر النبي صلي الله عليه وسلم ولقد كان علي عليه السلم علي الحق في جميع احواله يدور الحق معه حيث دار

المشبهة ان السلف من اصحاب الحديث لما رأوا توغُّل المعتزلة في علم الكلام ومخالفة السنة التي عهدوها من الائمة الراشدين ونصرهم جماعة من امراء بني امية علي قولهم بالقدر وجماعة من خلفاء بني العباس علي قولهم بنفي الصفات وخلق القران تحيّروا في تقرير مذهب اهل السنة والجماعة في متشابهات آيات الكتاب واخبار النبي عليه السلم فاما احمد بن حنبل وداود بن علي الاصفهاني وجماعة من ائمة السلف فجروا علي منهاج السلف المتقدمين عليهم من

Digitized by Google

اصحاب الحديث مثل مالك بن انس ومقاتل بن سليمان وسلكوا طريق السلامة فقالوا نؤمن بما ورد به الكتاب والسنة ولا نتعرض للتاويل بعد ان نعلم قطعاً ان الله تعالي لا يشبه شيئًا من المخلوقات وان كل ما يمثل في الوهم فانه خالقه ومقدّره وكانوا يحترزون عن التشبيه الي غاية قالوا من حرك يده عند قراءة خَلَقْتُ بِيَدَيَّ او اشار باصبعه عند روايته قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن وجب قطع يده وقلع اصابعه قالوا انما توقفنا في تفسير الاية وتاويلها لامرين احدهما المنع الوارد في التنزيل في قوله تعالي فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّاسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا فنحن نحترز من الزيغ والثاني ان التاويل امر مظنون بالاتفاق والقول في صفات الباري تعالي بالظن غير جائز فربما اوّلنا الاية علي غير مراد الباري تعالي فوقعنا في الزيغ بل نقول كما قال الراسخون في العلم كل من عند ربنا امنّا بظاهره وصدقنا بباطنه ووكلنا علمه الي الله تعالي ولسنا مكلفين بمعرفة ذلك اذ ليس ذلك من شرائط الايمان واركانه واحتاط بعضهم اكثر احتياط حتي لم يفسر اليد بالفارسية ولا الوجه ولا الاستواء ولا ما ورد من جنس ذلك بل ان احتاج في ذكرها الي عبارة عبر عنها بما ورد لفظاً بلفظ فهذا هو طريق السلامة وليس هو من التشبيه في شي غير ان جماعة من الشيعة الغالية وجماعة من اصحاب الحديث الحشوية صرحوا بالتشبيه مثل الهشاميين من الشيعة ومثل مضر وكهمش واحمد الهجيمي وغيرهم من اهل الشيعة قالوا معبودهم صورة ذات اعضاء وابعاض اما روحانية واما جسمانية و يجوز عليه الانتقال والنزول والصعود

Digitized by Google

والاستقرار والتمكن فاما مشبهة الشيعة فسيأتي مقالاتهم في باب الغلاة واما مشبهة الحشوية فحكي الاشعري عن محمد بن عيسي انه حكي عن مضر وكهمش واحمد الهجيمي انهم اجازوا علي ربّهم الملامسة والمصافحة وان المخلصين من المسلمين يعانقونه في الدنيا و الاخرة اذا بلغوا في الرياضة والاجتهاد الي حد الاخلاص والاتّحاد المحض وحكي الكعبي عن بعضهم انه كان يجوّز الروية في الدنيا ان يزوروه ويزورهم وحكي عن داود الجواري انه قال اعفوني عن الفرج واللحية واسألوني عما وراء ذلك وقال ان معبوده جسم ولحم ودم وله جوارح واعضاء من يد ورجل ورأس ولسان وعينين واذنين ومع ذلك جسم لا كالاجسام ولحم لا كاللحوم ودم لا كالدماء وكذلك سائر الصفات وهو لا يشبه شيئًا من المخلوقات ولا يشبهه شي وحكي عنه انه قال هو اجوف من اعلاه الي صدره مصمت ما سوي ذلك وان له وفرة سوداء وله شعر قطط واما ما ورد في التنزيل من الاستواء واليدين والوجه والجنب والمجيئ والاتيان والفوقية وغير ذلك فاجروها علي ظاهرها اعني ما يفهم عند الاطلاق علي الاجسام وكذلك ما ورد في الاخبار من الصورة في قوله عليه السلم خلق ادم علي صورة الرحمن وقوله حتي يضع الجبّار قدمه في النار وقوله قلب المؤمنين بين اصبعين من اصابع الرحمن وقوله خمر طينة ادم بيده اربعين صباحًا وقوله وضع يده او كفّه علي كتفي وقوله حتي وجدت برد انامله علي كتفي الي غير ذلك اجروها علي ما يتعارف في صفات الاجسام وزادوا في الاخبار اكاذيب وضعوها ونسبوها الي النبي عليه السلم واكثرها مقتبسة من اليهود فان التشبيه فيهم طباع حتي قالوا اشتكت عيناه فعادته الملائكة

وبكي علي طوفان نوح حتي رمدت عيناه وان العرش ليأط من تحته كأطيط الرحل الجديد وانه ليفضل من كل جانب اربعة اصابع وروي المشبهة عن النبي عليه السلم انه قال لقيني ربي فصافحني وكافحني ووضع يده بين كتفي حتي وجدت برد انامله وزادوا علي التشبيه قولهم في القران ان الحروف والاصوات والرقوم المكتوبة قديمة ازلية وقالوا لا يعقل كلام ليس بحرف ولا كلمة واستدلوا فيه باخبار منها ما روي عن النبي عليه السلم ينادي الله تعالي يوم القيمة بصوت يسمعه الاولون والاخرون وروا ان موسي عليه السلم كان يسمع كلام الله كجرّ السلاسل وقالوا اجمعت السلف علي ان القران كلام الله غير مخلوق ومن قال هو مخلوق فهو كافر بالله ولا نعرف من القران الا ما هو بين اظهرنا فنبصره ونسمعه ونقرأه ونكتبه والمخالفون اما المعتزلة فوافقونا علي ان هذا الذي في ايدينا كلام الله وخالفونا في القدم وهم محجوجون باجماع الامة واما الاشعرية فوافقونا علي ان القران قديم وخالفونا في ان الذي في ايدينا ليس في الحقيقة كلام الله وهم محجوجون ايضًا باجماع الامة ان المشار اليه هو كلام الله فاما اثبات كلام هو صفة قائمة بذات الباري تعالي لا نبصرها ولا نكتبها ولا نقرأها ولا نسمعها فهو مخالفة الاجماع من كل وجه فنحن نعتقد ان ما بين الدفتين كلام الله انزله علي لسان جبريل عليه السلم فهو المكتوب في المصاحف وهو في اللوح المحفوظ وهو الذي يسمعه المؤمنون في الجنة من الباري تعالي بغير حجاب ولا واسطة وذلك معني قوله تعالي سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ وهو قوله تعالي لموسي إِنِّي أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلعَالَمِينَ ومناجاته من غير واسطة حين قال وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَي تَكْلِيمًا قال وإِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَي

ٱلنَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي وروي عن النبي عليه السلم انه قال ان الله تعالي كتب التورية بيده وخلق جنة عدن بيده وخلق ادم بيده وفي التنزيل وَكَتَبْنَا لَهُ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ قالوا فنحن لا نريد من انفسنا شيئًا ولا نتدارك بعقولنا امراً لم يتعرّض له السلف قالوا ما بين الدفتين كلام الله قلنا هو كذلك واستشهدوا عليه بقوله تعالي وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ ٱللَّهِ ومن المعلوم انه ما سمع الا هذا الذي نقرأه وقال إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ وقال في صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ وقال إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ وقال شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْآنُ الي غير ذلك من الايات ومن المشبّهة من مال الي مذهب الحلولية وقال يجوز ان يظهر الباري تعالي بصورة شخص كما كان جبريل ينزل في صورة اعرابي وقد تمثل لمريم بَشَراً سَوِيًّا وعليه حمل قول النبي عليه السلم رايت ربي في احسن صورة وفي التورية عن موسي شافهت الله تعالي فقال لي كذا والغلاة من الشيعة مذهبهم الحلول ثم الحلول قد يكون بجزو وقد يكون بكل علي ما سيأتي تفصيل مذاهبهم ان شاء الله تعالي

الكرامية اصحاب ابي عبد الله محمد بن كرّام وانما عددناه من الصفاتية فانه كان ممن يثبت الصفات الا انه ينتهي فيها الي التجسيم والتشبيه وقد ذكرنا كيفية خروجه وانتسابه الي اهل السنة وهم طوائف يبلغ عددهم الي اثني عشر فرقة واصولها ستة العابدية والتونية والزرينية والاسحاقية والواحدية

Digitized by Google

واقربهم الهيصمية ولكل واحد منهم راي الا انه لما لم يصدر ذلك عن علماء معتبرين بل عن سفهاء اغتام جاهلين لم نفردها مذهباً واوردنا مذهب صاحب المقالة واشرنا الي ما يتفرع منه نص ابو عبد الله علي ان معبوده علي العرش استقراراً وعلي انه بجهة فوق ذاتاً واطلق عليه اسم الجوهر فقال في كتابه المسمي عذاب القبر انه احديّ الذات احدي الجوهر وانه مماسّ للعرش من الصفحة العليا وجوّز الانتقال والتحوّل والنزول ومنهم من قال انه علي بعض اجزاء العرش وقال بعضهم امتلأ العرش به وصار المتاخرون منهم الي انه تعالي بجهة فوق ومحاذٍ للعرش ثم اختلفوا فقال العابدية ان بينه وبين العرش من البعد والمسافة ما لو قدر مشغولاً بالجواهر لاتصلت به وقال محمد بن الهيصم ان بينه وبين العرش بعد لا يتناهي وانه مباين للعالم بينونة ازلية ونفي التحيّز والمحاذاة واثبت الفوقية والمباينة واطلق اكثرهم لفظ الجسم عليه والمقاربون منهم قالوا نعني بكونه جسماً انه قائم بذاته وهذا هو حد الجسم عندهم وبنوا علي هذا ان من حكم علي القائمين بانفسهما ان يكونا متجاورين او متباينين فقضي بعضهم بالتجاور مع العرش وحكم بعضهم بالتباين وربما قالوا كل موجودين فاما ان يكون احدهما بحيث الاخر كالعرض مع الجوهر واما ان يكون بجهة منه والباري تعالي ليس بعرض اذ هو قائم بنفسه فيجب ان يكون بجهة من العالم ثم اعلي الجهات واشرفها جهة فوق فقلنا هو بجهة فوق بالذات حتي اذا راي راي من تلك الجهة ثم لهم اختلاف في النهاية فمن المجسّمة من اثبت النهاية له من ست جهات ومنهم من اثبت النهاية من جهة تحت و منهم من انكر النهاية فقال هو عظيم

Digitized by Google

ولهم في معني العظمة خلاف فقال بعضهم معني عظمته انه مع وحدته علي جميع اجزاء العرش والعرش تحته وهو فوق كله علي الوجه الذي هو فوق جزو منه وقال بعضهم معني عظمته انه يلاقي مع وحدته من جهة واحدة اكثر من واحد وهو يلاقي جميع اجزاء العرش وهو العلي العظيم ومن مذهبهم جميعاً جواز قيام كثير من الحوادث بذات الباري تعالي ومن اصلهم ان ما يحدث في ذاته فانما يحدث بقدرته وما يحدث مبايناً لذاته فانما يحدث بواسطة الاحداث ويعنون بالاحداث الايجاد والاعدام الواقعين في ذاته بقدرته من الاقوال والارادات ويعنون بالمحدث ما باين ذاته من الجواهر والاعراض فيفرقون بين الخلق والمخلوق والايجاد والموجود والموجد وكذلك بين الاعدام والمعدوم فالمخلوق انما يقع بالخلق والخلق يقع في ذاته بالقدرة والمعدوم انما يصير معدوماً بالاعدام الواقع في ذاته بالقدرة وزعموا ان في ذاته سبحانه حوادث كثيرة مثل الاخبار عن الامور الماضية والآتية والكتب المنزلة علي الرسل عليهم السلم والقصص والوعد والوعيد والاحكام ومن ذلك التسمعات والتبصرات فيما يجوز ان يسمع ويبصر والايجاد والاعدام هو القول والارادة وذلك قوله كن للشي الذي يريد كونه وارادته لوجود ذلك الشي وقوله للشي كن صورتان وفسر محمد بن الهيصم الايجاد والاعدام بالارادة والايثار قال وذلك مشروط بالقول شرعاً اذ ورد في التنزيل إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وقوله إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وعلي قول الاكثرين منهم الخلق عبارة عن القول والارادة ثم اختلفوا في التفصيل فقال بعضهم لكل موجود ايجاد ولكل معدوم اعدام وقال بعضهم ايجاد واحد يصلح

Digitized by Google

لموجدين اذا كانا من جنس واحد واذا اختلف الجنس تعدد الايجاد والزم بعضهم لو افتقر كل موجود او كل جنس الي ايجاد فليفتقر كل ايجاد الي قدرة فالتزم تعدد القدرة تعدد الايجاد قال بعضهم ايضاً يتعدد القدرة بتعدد الاجناس المحدثات واكثرهم علي انها تتعدد بتعدد اجناس الحوادث التي تحدث في ذاته من الكاف والنون والارادة والتسمع والتبصر وهي خمسة اجناس ومنهم من فسر السمع والبصر بالقدرة علي التسمع والتبصر ومنهم من اثبت لله تعالي السمع والبصر ازلًا والتسمعات والتبصرات هي اضافة المدركات اليهما وقد اثبتوا لله تعالي مشيئة قديمة متعلقة باصول المحدثات وبالحوادث التي تحدث في ذاته واثبتوا ارادات حادثة يتعلق بتفاصيل المحدثات واجمعوا علي ان الحوادث لا توجب لله تعالي وصفاً ولا هي صفات له فتحدث في ذاته هذه الحوادث من الاقوال والارادات والتسمعات والتبصرات ولا يصير بها قائلًا ولا مريداً ولا سميعاً ولا بصيراً ولا يصير بخلق هذه الحوادث محدثًا ولا خالقاً وانما هو قائل بقائليته وخالق بخالقيته ومريد بمريديته وذلك قدرته علي هذه الاشياء ومن اصلهم ان الحوادث التي يحدثها في ذاته واجبة البقاء حتي يستحيل عدمها اذ لو جاز عليها العدم لتعاقبت علي ذاته الحوادث ولشارك الجوهر في هذه القضية وايضاً فلو قدر عدمها فلا يخلوا اما ان يقدر عدمها بالقدرة او باعدام يخلقه في ذاته ولا يجوز ان يكون عدمها بالقدرة لانه يودي الي ثبوت المعدوم في ذاته وشرط الموجود والمعدوم ان يكونا متباينين لذاته ولو جاز وقوع معدوم في ذاته بالقدرة من غير واسطة اعدام لجاز حصول سائر المعدومات بالقدرة ثم يجب طرد ذلك

Digitized by Google

في الموجد حتي يجوز وقوع موجَد محدَث في ذاته وذلك محال عندهم ولو فرض اعدامها بالاعدام لجاز تقدير عدم ذلك الاعدام فيتسلسل فارتكبوا لهذا التحكم استحالة عدم ما يحدث في ذاته ومن اصلهم ان المحدث انما يحدث في ثاني حال ثبوت الاحداث بلا فصل ولا اثر للاحداث في حال بقايه ومن اصلهم ان ما يحدث في ذاته من الامر فمنقسم الي امر التكوين وهو فعل يقع تحته المفعول والي ما ليس امر التكوين وذلك اما خبر واما امر التكليف ونهي التكليف وهي افعال من حيث دلّت علي القدرة ولا يقع تحتها مفعولات هذا هو تفصيل مذاهبهم في محل الحوادث وقد اجتهد ابن الهيصم في ارمام مقالة ابي عبد الله في كل مسئلة حتي ردّها من المحال الفاحش الي نوع يفهم فيما بين العقلاء مثل التجسيم فانه اراد بالجسم القائم بالذات ومثل الفوقية فانه حملها علي العلو واثبت البينونة الغير المتناهية وذلك الخلاء الذي اثبتها بعض الفلاسفة ومثل الاستواء فانه نفي المجاورة والمماسّة والتمكن بالذات غير مسئلة محل الحوادث فانها ما قبلت المرمّة فالتزمها كما ذكرنا وهي من اشنع المحالات عقلاً وعند القوم ان الحوادث تزيد علي عدد المحدثات بكثير فيكون في ذاته اكثر من عدد المحدثات عوالم من الحوادث وذلك محال شنيع ومما اجمعوا عليه من اثبات الصفات قولهم الباري تعالي عالم بعلم قادر بقدرة حي بحيوة شاء بمشيّة وجميع هذه الصفات قديمة ازلية قائمة بذاته وربما زادوا السمع والبصر كما اثبته الاشعري وربما زادوا اليدين والوجه صفات قائمة به وقالوا له يد لا كالايدي ووجه لا كالوجوه واثبتوا جواز رويته من جهة فوق دون سائر الجهات

Digitized by Google

وزعم ابن الهيصم ان الذي اطلقه المشبهة علي الله عز وجل من الهيئة والصورة والجوف والاستدارة والوفرة والمصافحة والمعانقة و نحو ذلك لا يشبه سائر ما اطلقه الكرامية من انه خلق ادم بيده وانه استوي علي عرشه وانه يجي يوم القيمة لمحاسبة الخلق وذلك انا لا نعتقد من ذلك شيئًا علي معني فاسد من جارحتين وعضوين تفسيراً لليدين ولا مطابقة المكان واستقلال العرش بالرحمن تفسيراً للاستواء ولا تردّدًا في الاماكن التي تحيط به تفسيراً للمجيء وانما ذهبنا في ذلك الي اطلاق ما اطلقه القران فقط من غير تكييف وتشبيه وما لم يرد به القران والخبر فلا نطلقه كما اطلقه سائر المشبهة والمجسمة وقال الباري تعالي عالم في الازل بما سيكون علي الوجه الذي سيكون وشاء لتنفيذ علمه في معلوماته فلا ينقلب علمه جهلاً ومريد لما يخلق في الوقت الذي يخلق بارادة حادثة وقائل لكل ما يحدث بقوله كن حتي يحدث وهو الفرق بين الاحداث والمحدث والخلق والمخلوق وقال نحن نثبت القدرخيره وشره من الله تعالي وانه اراد الكائنات كلها خيرها وشرها وخلق الموجودات كلها حسنها وقبيحها ونثبت للعبد فعلاً بالقدرة الحادثة يسمّي ذلك كسباً والقدرة الحادثة مؤثرة في اثبات فائدة زائدة علي كونه مفعولاً مخلوقًا للباري تعالي تلك الفائدة هي مورد التكليف والمورد هو المقابل بالثواب والعقاب واتفقوا علي ان العقل يحسّن ويقبّح قبل الشرع ويجب معرفة الله تعالي بالعقل كما قالت المعتزلة الا انهم لم يثبتوا رعاية الصلاح والاصلح واللطف عقلاً كما قالت المعتزلة وقالوا الايمان هو الاقرار باللسان فقط دون التصديق بالقلب ودون سائر الاعمال وفرقوا بين تسمية المومن مومناً فيما يرجع الي احكام الظاهر والتكليف

Digitized by Google

وفيما يرجع الي احكام الاخرة والجزاء فالمنافق عندهم مومن في الدنيا حقيقة مستحق للعقاب الابدي في الاخرة وقالوا في الامامة انها تثبت باجماع الامة دون النص والتعيين كما قال اهل السنة الا انهم جوّزوا عقد البيعة لامامين في قطرين وغرضهم اثبات امامة معاوية في الشام باتفاق جماعة من الصحابة واثبات امامة امير المومنين علي بالمدينة والعراقين باتفاق جماعة من الصحابة وراوا تصويب معاوية فيما استبدّ به من الاحكام الشرعية قتالاً علي طلب قتلة عثمان رضي الله عنه واستقلالاً بمال بيت المال ومذهبهم الاصلي اتّهام علي عليه السلم في الصبر علي ما جري مع عثمان والسكوت عنه وذلك عرق نزع

الخوارج والمرجئة والوعيدية كل من خرج علي الامام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمّي خارجياً سواء كان الخروج في ايام الصحابة علي الائمة الراشدين او كان بعدهم علي التابعين باحسان والائمة في كل زمان والمرجئة صنف اخر تكلموا في الايمان والعمل الا انهم وافقوا الخوارج في بعض المسائل التي يتعلق بالامامة والوعيدية داخلة في الخوارج وهم القائلون بتكفير صاحب الكبيرة وتخليده في النار فذكرنا مذاهبهم في اثناء مذهب الخوارج

الخوارج اعلم ان اول من خرج علي امير المومنين علي بن ابي طالب عليه السلم جماعة ممن كان معه في حرب صفين واشدّهم خروجاً عليه ومروقاً من الدين الاشعث ابن قيس ومسعود بن فدكي التميمي وزيد بن حصين الطايي حين قالوا القوم يدعوننا الي كتاب الله وانت تدعوننا الي السيف حتي قال انا اعلم بما في كتاب الله انفروا الي بقية الاحزاب انفروا الي من

Digitized by Google

يقول كذب الله ورسوله وانتم تقولون صدق الله ورسوله قالوا لترجعنّ الاشتر عن قتال المسلمين والا لنفعلنّ بك مثل ما فعلنا بعثمان فاضطرّ الي رد الاشتر بعد ان هزم الجمع وولّوا مدبرين وما بقي منهم الا شرذمة قليلة فيهم حشاشة قوة فامتثل الاشتر امرة وكان من امر الحكمين ان الخوارج حملوه علي التحكيم اولًا وكان يريد ان يبعث عبد الله بن عباس فما رضي الخوارج بذلك وقالوا هو منك فحملوه علي بعث ابي موسي الاشعري علي ان يحكما بكتاب الله تعالي فجري الامر علي خلاف ما رضي به فلما لم يرض بذلك خرجت الخوارج عليه وقالوا لِمَ حكمت الرجال لا حكم الا لله وهم المارقة الذين اجتمعوا بالنهروان وكبار فرق الخوارج ستة الازارقة والنجدات والصفرية والعجاردة والاباضية والثعالبة والباقون فروعهم ويجمعهم القول بالتبري عن عثمان وعلي ويقدّمون ذلك علي كل طاعة ولا يصحّحون المناكحات الا علي ذلك ويكفّرون اصحاب الكبائر ويرون الخروج علي الامام اذا خالف السنة حقًا واجبًا

المحكمة الاولي هم الذين خرجوا علي امير المومنين علي عليه السلم حين جري امر الحكمين واجتمعوا بحرورا من ناحية الكوفة ورأسهم عبد الله بن الكوّا وعتاب بن الاعور وعبد الله بن وهب الراسبي وعروة بن جرير ويزيد بن عاصم المحاربي وحرقوص بن زهير المعروف بذي الثدية وكانوا يومئذ في اثني عشر الف رجل اهل صيام وصلوة اعني يوم النهروان وفيهم قال النبي صلي الله عليه وسلم يحقر صلوة احدكم في جنب صلوتهم وصوم احدكم في جنب صومهم ولكن لا يجاوز ايمانهم تراقيهم وهم المارقة الذين

Digitized by Google

قال فيهم سيخرج من ضئضئ هذا الرجل قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية وهم الذين اوّلهم ذو الخويصرة واخرهم ذو الثدية وانما خروجهم في الزمن الاول علي امرين احدهما بدعتهم في الامامة اذ جوّزوا ان يكون الامامة في غير قريش وكل من ينصبونه برايهم وعاشر الناس علي ما مثلوا له من العدل واجتناب الجور كان اماماً ومن خرج عليه يجب نصب القتال معه وان غيّر السيرة وعدل عن الحق وجب عزله او قتله وهم اشدّ الناس قولاً بالقياس وجوّزوا ان لا يكون في العالم امام اصلاً وان احتيج اليه فيجوز ان يكون عبداً او حرًّا او نبطيًا او قرشيًا و البدعة الثانية انهم قالوا اخطأ علي في التحكيم اذ حكم الرجال ولا حكم الا لله وقد كذبوا علي علي عليه السلم من وجهين احدهما في التحكيم انه حكم وليس ذلك صدقًا لانهم هم الذين حملوه علي التحكيم والثاني ان تحكيم الرجال جائز فان القوم هم الحاكمون في هذه المسئلة وهم رجال ولهذا قال علي عليه السلم كلمة حق اريد بها باطل وتخطوا عن التخطيئة الي التكفير ولعنوا عليًا عليه السلم فيما قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين فقاتل الناكثين واغتنم اموالهم وما سبي ذراريهم ونساءهم وقاتل مقاتلة القاسطين وما اغتنم اموالهم ولا سبي ثم رضي بالتحكيم وقاتل مقاتلة المارقين واغتنم اموالهم وسبي ذراريهم وطعنوا في عثمان للاحداث التي عدّوها عليه وطعنوا في اصحاب الجمل واصحاب صفين فقاتلهم علي عليه السلم بالنهروان مقاتلة شديدة فما انفلت منهم الا اقل من عشرة وما قُتِل من المسلمين الاّ اقل من عشرة فانهزم اثنان منهم الي عمان واثنان الي كرمان واثنان الي سجستان واثنان الي الجزيرة وواحد الي تل مورون باليمن

Digitized by Google

وظهرت بدع الخوارج في هذه المواضع منهم وبقيت الي اليوم واول من بويع بالامامة من الخوارج عبد الله بن وهب الراسبي في منزل زيد بن حصين بايعه عبد الله بن الكوّا وعروة بن جرير ويزيد بن عاصم المحاربي وجماعة معهم وكان يمتنع عليهم تحرجًا و يستقبلهم ويومي الي غيره تحرزًا فلم يقنعوا الا به وكان يوصف براي ونجدة فتبرّأ من الحكمين وممن رضي بقولهما وصوّب امرهما وكفّروا امير المومنين عليًا عليه السلم وقالوا انه ترك حكم الله وحكّم الرجال وقيل ان اول من تلفظ بهذا رجل من بني سعد بن زيد بن مناة بن تميم يقال له الحجاج بن عبيد الله يلقب بالبرك وهو الذي ضرب معاوية علي اليته لما سمع بذكر الحكمين وقال اتحكم في دين الله لا حكم الا لله تحكم بما حكم القران به فسمعها رجل فقال طعن والله فانفذ فسمّوا المحكمة بذلك ولما سمع امير المومنين علي عليه السلم هذه الكلمة قال كلمة عدل يراد بها جور انما يقولون لا امارة ولا بد من امارة برّة او فاجرة ويقال ان اول سيف سُلّ من سيوف الخوارج سيف عروة بن اذينة وذلك انه اقبل علي الاشعث فقال ما هذه الدنية يا اشعث وما هذا التحكيم اشرط اوثق من شرط الله تعالي ثم شهر السيف والاشعث تولي فضرب به عجز البغلة فشبت البغلة فنفرت اليمانية فلما راي ذلك الاحنف مشي هو واصحابه الي الاشعث فسألوه الصفح ففعل وعروة بن اذينة نجا بعد ذلك من حرب النهروان وبقي الي ايام معاوية ثم اتي الي زياد بن ابيه ومعه مولي له فسأله زياد عن ابي بكر وعمر فقال فيهما خيراً وسأله عن عثمان فقال كنت اتوالي عثمان علي احواله في خلافته ستة سنين ثم تبرّأت منه بعد ذلك

Digitized by Google

للاحداث التي احدثها وشهد عليه بالكفر فسأله عن امير المومنين علي كرّم الله وجهه فقال اتوالاه الي ان حكم ثم اتبرّأ منه بعد ذلك وشهد عليه بالكفر فسأله عن معاوية فسبّه سبًّا قبيحًا ثم سأله عن نفسه فقال اوّلك لزنية واخرك لدعوة وانت فيما بينهما بعد عاصٍ ربّك فامر زياد بضرب عنقه ثم دعا مولاه وقال له صف لي امره واصدق قال اطنب ام اختصر فقال بل اختصر فقال ما اتيته بطعام في نهار قط ولا فرشت له فراشاً بليل قط هذه معاملته واجتهاده وذلك خبثه واعتقاده

الازارقة اصحاب ابي راشد نافع بن الازرق الذين خرجوا مع نافع من البصرة الي الاهواز فغلبوا عليها وعلي كورها وما وراها من بلدان فارس وكرمان في ايام عبد الله بن الزبير وقتلوا عمّاله بهذه النواحي وكان مع نافع من امراء الخوارج عطية بن الاسود الحنفي وعبد الله بن ماخور واخواه عثمان والزبير وعمر بن عمير العنبري وقطري بن الفجاة المازني وعبيدة بن هلال اليشكري واخوه محرز بن هلال وصخر بن حنبا التميمي وصالح بن مخراق العبدي وعبد ربّه الكبير وعبد ربّه الصغير في زهاء ثلثين الف فارس ممن يري رايهم ويخرط في سلكهم فانفذ اليه عبيد الله بن الحرث بن نوفل النوفلي بصاحب جيشه مسلم بن عنبس بن كريز بن حبيب فقتله الخوارج وهزموا اصحابه فاخرج اليهم ايضاً عثمان بن عبد الله بن معمر التميمي فهزموه فاخرج اليهم حارثة بن بدر العتّابي في جيش كثير فهزموه وخشي اهل البصرة علي انفسهم وبلدهم من الخوارج فاخرج اليهم المهلب بن ابي صفرة فبقي في حرب الازارقة تسع عشر سنة الي ان فرغ من امرهم في ايام الحجاج ومات

Digitized by Google

نافع قبل وقائع المهلب مع الازارقة وبايعوا بعده قطري بن الفجاة وسمّوه امير المومنين وبدع الازارقة ثمانية احديها انه كفّر عليًا عليه السلم وقال ان الله انزل في شانه وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ وصوّب عبد الله ابن ملجم لعنه الله وقال ان الله انزل في شانه وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وقال عمران بن حطان وهو مفتي الخوارج وزاهدها وشاعرها الاكبر في تصويبه ابن ملجم لعنه الله شعر

يا ضربة من منيب ما اراد بها الا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

انّي لاذكره يومًا فاحسبه اوفي البرية عند الله ميزانا

وعلي هذه البدعة مضت الازارقة وزادوا عليه تكفير عثمان وطلحة والزبير وعائشة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم وسائر المسلمين معهم وتخليدهم في النار والثانية انه كفّر القعدة وهو اول من اظهر البراءة من القعدة عن القتال وان كان موافقًا علي دينه وكفّر من لم يهاجر اليه والثالثة اباحته قتل اطفال المخالفين والنسوان والرابعة اسقاطه الرجم عن الزاني اذ ليس في القران ذكره واسقاطه حد القذف عمن قذف المحصنين من الرجال مع وجوب الحد علي قاذف المحصنات من النساء الخامسة حكمه بان اطفال المشركين في النار مع ابائهم السادسة ان التقية غير جائزة في قول ولا عمل السابعة تجويزه ان يبعث الله تعالي نبيًا يعلم انه يكفر بعد نبوته او كان كافرًا قبل البعثة والكبائر والصغائر اذا كانت بمثابة عنده وهي كفر وفي الامة من جوّز الكبائر والصغائر علي الانبياء عليهم السلم فهي كفر الثامنة اجمعت

Digitized by Google

الازارقة علي ان من ارتكب كبيرة من الكبائر كَفَر كُفر ملة خرج به عن الاسلام جملة ويكون مخلداً في النار مع سائر الكفّار واستدلّوا بكفر ابليس لعنه الله وقالوا ما ارتكب الا كبيرة حيث أُمر بالسجود لادم فامتنع والا فهو عارف بوحدانية الله تعالي

النجدات العاذرية اصحاب نجدة بن عامر الحنفي وقيل عاصم وكان من شانه انه خرج من اليمامة مع عسكره يريد اللحوق بالازارقة فاستقبله ابو فديك وعطية بن الاسود الحنفي في الطائفة الذين خالفوا نافع بن الازرق فاخبروه بما احدثه نافع من الخلاف بتكفير القعدة عنه وسائر الاحداث والبدع وبايعوا نجدة وسمّوه امير المومنين ثم اختلفوا علي نجدة فاكفره قوم منهم لامور نقموها عليه منها انه بعث ابنه مع جيش الي اهل القطيف فقتلوا وسبوا نساءهم وقوّموها علي انفسهم وقالوا ان صارت قِيَمهنّ في حصصنا فذاك والا رددنا الفضل و نكحوهن قبل القسمة واكلوا من الغنيمة قبل القسمة فلما رجعوا الي نجدة واخبروه بذلك قال فلم يسعكم ما فعلتم قالوا لم نعلم ان ذلك لا يسعنا فعذرهم بجهالتهم واختلف اصحابه بعد ذلك فمنهم من وافقه وعذر بالجهالات في الحكم الاجتهادي وقالوا الدين امران احدهما معرفة الله تعالي ومعرفة رسله عليهم السلم وتحريم دماء المسلمين يعنون موافقيهم والاقرار بما جاء من عند الله جملة فهذا واجب علي الجميع والجهل به لا يعذر فيه والثاني ما سوي ذلك فالناس معذورون فيه الي ان يقوم عليهم الحجة في الحلال والحرام قالوا ومن خاف العذاب علي المجتهد المخطي في الاحكام قبل قيام الحجة عليه فهو كافر واستحلّ نجدة بن عامر دماء اهل

العهد والذمة واموالهم في دار التقية وحكم بالبراءة ممن حرّمها قال واصحاب الحدود من موافقيه لعل الله تعالي يعفوا عنهم وان عذبهم ففي غير النار ثم يدخلهم الجنة فلا يجوز البراءة عنهم وقال من نظر نظرة او كذب كذبة صغيرة واصرّ عليها فهو مشرك ومن زنا وشرب وسرق غير مصرّ عليه فهو غير مشرك وغلّظ علي الناس في حد الخمر تغليظاً شديداً ولما كاتب عبد الملك بن مروان واعطاه الرضاء نقم عليه اصحابه فيه فاستتابوه فاظهر التوبة فتركوا النقمة عليه والتعرض له وندمت طائفة علي هذه الاستتابة وقالوا اخطأنا وما كان لنا ان نستتيب الامام وما كان له ان يتوب باستتابتنا اياه فتابوا عن ذلك وقالوا له تب عن توبتك والا نابذناك فتاب من توبته وفارقه ابو فديك وعطية ووثب عليه ابو فديك فقتله ثم بريءُ ابو فديك من عطية وعطية من ابي فديك وانفذ عبد الملك بن مروان معمر بن عبد الله بن معمر الي حرب ابي فديك فحاربه اياماً فقتله ولحق عطية بارض سجستان ويقال لاصحابه العطوية ومن اصحابه عبد الكريم بن عجرد زعيم العجاردة وانما قيل للنجدات العاذرية لانهم عذروا بالجهالات في احكام الفروع وحكي الكعبي عن النجدات ان التقية جائزة في القول والعمل كله وان كان في قتل النفوس قال واجمعت النجدات علي انه لا حاجة للناس الي امام قط وانما عليهم ان يتناصفوا فيما بينهم فان راوا ان ذلك لا يتم الا بامام يحملهم عليه فاقاموه جاز ثم افترقوا بعد نجدة الي عطوية وفديكية وبريءُ كل واحد منهما عن صاحبه بعد قتل نجدة وصارت الدار لابي فديك الا من تولّي نجدة واهل سجستان وخراسان وكرمان وقهستان من الخوارج علي مذهب

Digitized by Google

عطية وقيل كان نجدة بن عامر ونافع بن الازرق قد اجتمعا بمكة مع الخوارج علي ابن الزبير ثم تفرقا عنه فاختلف نافع ونجدة فصار نافع الي البصرة ونجدة الي اليمامة وكان سبب اختلافهما ان نافعاً قال التقية لا تحل والقعود عن القتال كفر واحتجّ بقول الله تعالي إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ وبقوله تعالي يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ وخالفه نجدة وقال التقية جائزة واحتجّ بقوله تعالي إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وبقوله تعالي وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ وقال القعود جائز والجهاد اذا امكنه افضل وفضّل الله المجاهدين علي القاعدين اجرًا عظيمًا وقال نافع هذا في اصحاب النبي صلي الله عليه وسلم حين كانوا مقهورين واما في غيرهم مع الامكان فالقعدة كفر لقول الله تعالي وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ

البيهسية اصحاب ابي بيهس الهيصم بن جابر وهو احد بني سعد بن ضبيعة وقد كان الحجاج طلبه ايام الوليد فهرب الي المدينة فطلبه بها عثمان بن حيّان المزني فظفر به وحبسه وكان يسامره الي ان ورد كتاب الوليد بان يقطع يديه ورجليه ثم يقتله ففعل به ذلك وكفّر ابو بيهس ابرهيم وميمون في اختلافهما في بيع الامة وكذلك كفّر الواقفية وزعم انه لا يسلم احد حتي يقرّ بمعرفة الله تعالي ومعرفة رسوله ومعرفة ما جاء به النبي صلي الله عليه وسلم والولاية لاولياء الله تعالي والبراءة من اعداء الله فمن جملة ما ورد به الشرع مما حرّم الله وجاء به الوعيد فلا يسعه الا معرفته بعينه وتفسيره والاحتراز عنه ومنه ما ينبغي ان يعرفه باسمه ولا يضرّه ان لا يعرفه بتفسيره حتي يبتلي به وعليه ان يقف عند ما لا يعلم ولا ياتي بشيء الا بعلم وبريء ابو بيهس عن الواقفية لقولهم انا

نقف فيمن واقع الحرام وهو لا يعلم احلال واقع ام حرام قال كان من حقه ان يعلم ذلك والايمان هو ان يعلم كل حق من باطل وان الايمان هو العلم بالقلب دون القول والعمل ويحكي عنه انه قال الايمان هو الاقرار والعلم وليس هو احد الامرين دون الاخر وعامة البيهسية علي ان العلم والاقرار والعمل كله ايمان وذهب قوم منهم الي ان ما يحرم سوي ما في قوله تعالي قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَي طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ وما سوي ذلك فكله حلال ومن البيهسية قوم يقال لهم العونية وهم فرقتان فرقة تقول من رجع من دار الهجرة الي القعود بريئا منه وفرقة تقول بل نتولاهم لانهم رجعوا الي امر كان حلالاً لهم والفرقتان اجمعتا علي ان الامام اذا كفر كفرت الرعية الغائب منهم والشاهد ومن البيهسية صنف يقال لهم اصحاب التفسير زعموا ان من شهد من المسلمين شهادة اخذ بتفسيرها وكيفيتها وصنف يقال لهم اصحاب السؤال قالوا ان الرجل يكون مسلمًا اذا شهد الشهادتين وتبرأ وتولي وامن بما جاء من عند الله جملة وان لم يعلم فيسأل ما افترض الله عليه ولا يضره ان لا يعلم حتي يبتلي به فيسأل وان واقع حراماً لم يعلم تحريمه فقد كفر وقالوا في الاطفال بقول الثعلبية ان اطفال المومنين مومنون واطفال الكافرين كافرون ووافقوا القدرية في القدر وقالوا ان الله تعالي فوض الي العباد فليس لله في اعمال العباد مشيئة فبريئت منهم عامة البيهسية وقال بعض البيهسية ان واقع الرجل حراماً لم يحكم بكفره حتي يرفع امره الي الامام والوالي ويحدّه وكل ما ليس فيه حدّ فهو مغفور وقال بعضهم ان السكر اذا كان من شراب حلال فلا يواخذ صاحبه بما قال فيه وفعل وقالت العونية

Digitized by Google

السكر كفر ولا يشهدون انه كفر ما لم ينضمّ اليه كبيرة اخري من ترك الصلاة او قذف المحصن ومن الخوارج اصحاب صالح بن مسرح ولم يبلغنا عنه انه احدث قولاً تميّز به عن اصحابه فخرج علي بشر بن مروان فبعث اليه بشر بن الحارث بن عميرة او الاشعث بن عميرة الهمداني انفذه الحجاج لقتاله فاصابت صالحاً جراحة في قصر حلولا فاستخلف مكانه شبيب بن يزيد الشيباني ويكني ابا الصحاري وهو الذي غلب علي الكوفة وقتل من جيش الحجاج اربعة وعشرين اميراً امراء الجيوش ثم انهزم الي الاهواز وغرق في نهر الاهواز وذكر اليمان ان الشبيبية يسمّون مرجية الخوارج لما ذهبوا اليه من الوقف في امر صالح ويحكي عنه انه برئ منه وفارقه ثم خرج يدّعي الامامة لنفسه ومذهب شبيب ما ذكرناه من مذاهب البيهسية الا ان شوكته وقوته ومقاماته مع المخالفين مما لم يكن لخارج من الخوارج وقصته مذكورة في التواريخ

العجاردة اصحاب عبد الكريم بن عجرد وافق النجدات في بدعهم وقيل انه كان من اصحاب ابي بيهس ثم خالفه وتفرد بقوله يجب البراءة عن الطفل حتي يدعي الي الاسلام ويجب دعاءه اذا بلغ واطفال المشركين في النار مع ابائهم ولا يري المال فيئًا حتي يقتل صاحبه وهم يتولّون القعدة اذا عرفوهم بالديانة ويرون الهجرة فضيلة لا فرضاً ويكفّرون بالكبائر ويحكي عنهم انهم ينكرون كون سورة يوسف من القران ويزعمون انها قصة من القصص قالوا ولا يجوز ان يكون قصة العشق من القران ثم ان العجاردة افترقت اصنافًا ولكل صنف مذهب علي حياله الا انهم لما كانوا من جملة العجاردة اوردناهم علي حكم التفصيل في الجدول والضلع

Digitized by Google

الصلتية اصحاب عثمان بن ابي الصلت والصلت بن ابي الصلت تفردوا عن العجاردة بان الرجل اذا اسلم تولیناه وتبرّأنا من اطفاله حتي يدركوا فيقبلوا الاسلام ويحكي عن جماعة منهم انهم قالوا ليس لاطفال المشركين والمسلمين ولاية ولا عداوة حتي يبلغوا فيدعوا الي الاسلام فيقرّوا او ينكروا

الحمزية اصحاب حمزة بن ادرك وافقوا الميمونية في القدر وفي سائر بدعها الا في اطفال مخالفيهم والمشركين فانهم قالوا هولاء كلهم في النار وكان حمزة من اصحاب الحصين بن الرقاد الذي خرج بسجستان من اهل اوق وخالفه خلف الخارجي في القول بالقدر واستحقاق الرياسة فبريئ كل واحد منهما عن صاحبه وجوّز حمزة امامين في عصر واحد ما لم يجتمع الكلمة ولم يقهر الاعداء

الخلفية اصحاب خلف الخارجي وهم

الميمونية اصحاب ميمون بن خالد كان من جملة العجاردة الا انه تفرد عنهم باثبات القدر خيره وشره من العبد واثبات الفعل للعبد خلقًا وابداعًا واثبات الاستطاعة قبل الفعل والقول بان الله تعالي يريد الخير دون الشر وليس له مشيئة في معاصي العباد وذكر الحسين الكرابيسي في كتابه الذي حكي فيه مقالات الخوارج ان الميمونية يجيزون نكاح بنات البنات وبنات اولاد الاخوة والاخوات وقال ان الله حرّم نكاح البنات وبنات الاخوة والاخوات ولم يحرّم نكاح بنات اولاد هولاء ويحكي الكعبي والاشعري عن الميمونية انكارها كون سورة يوسف من القران وقالوا بوجوب قتل السلطان وحده ومن رضي بحكمه فاما من انكره فلا يجوز قتاله الا اذا اعان عليه او طعن في دين الخوارج او صار دليلًا للسلطان واطفال الكفار عندهم في الجنة

الاطرافية فرقة علي مذهب حمزة في

Digitized by Google

خوارج كرمان ومكران خالفوا الحمزية في القول بالقدر واضافوا القدر خيره وشره الي الله تعالي وسلكوا في ذلك مذهب السنة وقالوا الحمزية ناقضوا حيث قالوا لو عذب الله العباد علي افعال قدّرها عليهم او علي ما لم يفعلوه كان ظالمًا وقضوا بان اطفال المشركين في النار ولا عمل لهم ولا شرك فهذا من اعجب ما يعتقد من التناقض

الشعيبية اصحاب شعيب بن محمد وكان مع ميمون من جملة العجاردة الا انه بريءٌ منه حين اظهر القول بالقدر قال شعيب ان الله خالق اعمال العباد والعبد مكتسب لها قدرة وارادة مسئول عنها خيراً وشراً مجازي عليها ثواباً وعقاباً ولا يكون شي في الوجود الا بمشيئة الله تعالي وهو علي بدع الخوارج في الامامة والوعيد وعلي بدع العجاردة في حكم الاطفال وحكم القعدة والتولي والتبرّيُ

القول بالقدر الا انهم عذّروا اصحاب الاطراف في ترك ما لم يعرفوه من الشريعة اذا اتوا بما يعرف لزومه من طريق العقل واثبتوا واجبات عقلية كما قالت القدرية ورئيسهم غالب بن شاذل من سجستان وخالفهم عبد الله السرنوري وتبرأ منهم ومنهم المحمدية اصحاب محمد بن زرق وكان من اصحاب الحصين ثم بريءٌ منه

النجارمية اصحاب خارم بن علي علي قول شعيب في ان الله تعالي خالق اعمال العباد ولا يكون في سلطانه الا ما يشاء وقالوا بالموافاة وان الله تعالي انما يتولي العباد علي ما علم انهم صائرون اليه في اخر امرهم من الايمان ويتبرّا منهم علي ما علم انهم صائرون اليه في اخر امرهم من الكفر وانه سبحانه لم يزل محبًّا لاوليايه مبغضاً لاعدايه ويحكي عنهم انهم يتوقفون في امر علي عليه السلم ولا يصرحون بالبراءة عنه ويصرحون بالبراءة في حق غيره

Digitized by Google

الثعالبة اصحاب ثعلبة بن عامر كان مع عبد الكريم بن عجرد يداً واحدة الي ان اختلفا في امر الطفل فقال ثعلبة انا علي ولايتهم صغاراً وكباراً حتي نري منهم انكاراً للحق ورضي بالجور فتبرأت العجاردة من ثعلبة نقل عنه ايضاً انه قال ليس لهم حكم في حال الطفولية من ولاية وعداوة حتي يدركوا ويدعوا فان قبلوا فذاك وان انكروا كفروا وكان يري اخذ الزكوات من عبيدهم اذا استغنوا واعطاهم منها اذا افتقروا

الاخنسية اصحاب اخنس بن قيس من جملة الثعالبة وانفرد عنهم بان قال اتوقف في جميع من كان في دار التقية من اهل القبلة الا من عرف منه الايمان فاتولاه عليه او كفر فاتبرأ منه وحرموا الاغتيال والقتل والسرقة في السر ولا يبتدأ احد من اهل القبلة بالقتال حتي يدعي الي الدين فان امتنع قوتل سوي من عرفوه بعينه علي خلاف قولهم وقيل انهم جوزوا تزويج المسلمات من مشركي قومهم اصحاب الكبائر وهم علي اصول الخوارج في سائر المسائل

المعبدية اصحاب معبد بن عبد الرحمن من جملة الثعالبة خالف الاخنس في الخطاء الذي وقع له في تزويج المسلمات وخالف ثعلبة فيما حكم من اخذ الزكوات من عبيدهم وقال اني لا ابرأ منه بذلك ولا ادع اجتهادي في خلافه وجوز ان يصير سهام الصدقة سهماً واحداً في حال التقية

الرشيدية اصحاب رشيد الطوسي ويقال لهم العشرية واصلهم ان الثعالبة كانوا يوجبون فيما سقي بالانهار والقني نصف العشر فاخبرهم زياد بن عبد الرحمن ان فيها العشر ولا يجوز البراءة ممن قال فيها نصف العشر قبل هذا فقال الرشيد ان لم يجز البراءة منهم فانا نعمل بما عملوا فافترقوا في ذلك فرقتين

Digitized by Google

الشيبانية اصحاب شيبان بن سلمة الخارج في ايام ابي مسلم وهو المعين له ولعلي بن الكرماني علي نصر بن سيّار وكان من الثعالبة فلما اعانهما بريئت منه الخوارج فلما قتل شيبان ذكر قوم توبته فقالت الثعالبة لا يصحّ توبته لانه قتل الموافقين لنا في المذهب واخذ اموالهم ولا يقبل توبة من قتل مسلماً واخذ ماله الا بان يقصّ من نفسه ويردّ الاموال او توهب له ذلك ومن مذهب شيبان انه قال بالجبر ووافق جهم بن صفوان في مذهبه الي الجبر ونفي القدرة المحادثة وينقل عن زياد بن عبد الرحمن الشيباني ابي خالد انه قال ان الله تعالي لم يعلم حتي خلق لنفسه علماً وان الاشياء انما تصير معلومة له عند حدوثها ووجودها ونقل عنه انه تبرّأ من شيبان وكفّره حين نصر الرجلين فوقعت عامّة الشيبانية بجرجان ونسا وارمنية والذي تولّي شيبان وقال بتوبته عصية الجرجاني واصحابه

المكمية اصحاب مكرم بن عبد الله العجلي من جملة الثعالبة وتفرد عنهم بان قال تارك الصلوة كافر لا من اجل ترك الصلوة ولكن لجهله بالله تعالي وطرد هذا في كل كبير يتركبها الانسان وقال انما يكفر لجهله بالله تعالي وذلك ان العارف بالله تعالي وانه المطلع علي سرّه وعلانيته والمجازي علي طاعته ومعصيته لن يتصور منه الاقدام علي المعصية والاجتراء علي المخالفة ما لم يغفل عن هذه المعرفة ولا يبالي بالتكليف فيه وعن هذا قال النبي صلي الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مومن الخبر وخالفوا الثعالبة في هذا القول وقالوا بايمان الموافاة والحكم بان الله تعالي انما يوالي عباده ويعاديهم علي ما هم صائرون اليه من موافاة الموت لا علي اعمالهم

Digitized by Google

التي هم فيها فان ذلك ليس بموثوق به اصراراً عليه ما لم يصل المرء الي اخر عمره ونهاية اجله فحينئذ ان بقي علي ما يعتقده فذلك هو الايمان فيواليه وان لم يبق فيعاديه وكذلك في حق الله تعالي حكم الموالاة والمعاداة علي ما علم منه حال الموافاة

المعلومية والمجهولية كانوا في الاصل خارمية الا ان المعلومية قالت من لم يعرف الله تعالي بجميع اسمائه وصفاته فهو جاهل به حتي يصير عالماً بجميع ذلك فيكون مومناً وقالت الاستطاعة مع الفعل والفعل مخلوق العبد فبريئت منهم الخارمية واما المجهولية قالت من علم بعض اسمائه تعالي وصفاته وجهل بعضها فقد عرف الله تعالي وقالت افعال العباد مخلوقة لله تعالي

الاباضية اصحاب عبد الله بن اباض الذي خرج في ايام مروان بن محمد فوجه اليه عبد الله بن محمد بن عطية فقاتله بتبالة وقيل ان عبد الله بن يحي الاباضي كان رفيقاً له في جميع احواله واقواله وقال ان مخالفينا من اهل القبلة كفّار غير مشركين ومناكحتهم جائزة وموارثتهم حلال وغنيمة اموالهم من السلاح والكراع عند الحرب حلال وما سواه حرام وحرام قتلهم وسبيهم في السر غيلة الا بعد نصب القتال واقامة الحجة وقالوا ان دار مخالفيهم من اهل الاسلام دار توحيد الا معسكر السلطان فانه دار بغي واجازوا شهادة مخالفيهم علي اوليايهم وقالوا في مرتكبي الكبائر انهم موحدون لا مومنون وحكي الكعبي عنهم ان الاستطاعة عرض من الاعراض وهي قبل الفعل بها يحصل الفعل وافعال العباد مخلوقة لله تعالي احداثاً وابداعاً ومكتسبة للعبد حقيقة لا مجازاً ولا يسمّون امامهم امير المومنين ولا انفسهم مهاجرين وقالوا العالم يفني كله اذا فني اهل

Digitized by Google

التكليف قال واجمعوا علي ان من ارتكب كبيرة من الكبائر كفر كفر النعمة لا كفر الملة وتوقفوا في اطفال المشركين وجوّزوا تعذيبهم علي سبيل الانتقام واجازوا ان يدخلوا الجنة تفضلاً وحكي الكعبي عنهم انهم قالوا بطاعة لا يراد بها الله تعالي كما قال ابو الهذيل ثم اختلفوا في النفاق أيُسمّي شركاً ام لا قالوا ان المنافقين في عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم كانوا موحدين الا انهم ارتكبوا الكبائر فكفروا في الكبيرة لا بالشرك وقالوا كل شي امر الله تعالي به فهو عامّ ليس بخاصّ وقد امر به المومن والكافر وليس في القران خصوص وقالوا لا يخلق الله تعالي شيئًا الا دليلًا علي وحدانيته ولا بد ان يدلّ به واحداً وقال قوم منهم يجوز ان يخلق الله تعالي رسولًا بلا دليل ويكلّف العباد بما يوحي اليه ولا يجب عليه اظهار المعجزة ولا يجب علي الله تعالي ذلك الي ان يظهر دليلًا ويخلق معجزة وهم جماعة متفرقون في مذاهبهم تفرّق الثعالبة والعجاردة

الحفصية منهم اصحاب حفص بن ابي المقدام تميّز عنهم بان قال ان بين الشرك والايمان خصلة واحدة وهي معرفة الله تعالي وحده فمن عرفه ثم كفر بما سواه من رسول او كتاب او قيامة او جنة او نار او ارتكب الكبائر من الزنا والسرقة وشرب الخمر فهو كافر لكنه بريئ من الشرك

الحارثية اصحاب الحارث الاباضي خالف الاباضية في قوله بالقدر علي مذهب المعتزلة وفي الاستطاعة قبل الفعل وفي اثبات طاعة لا يراد بها الله تعالي

اليزيدية اصحاب يزيد بن انيسة الذي قال يتولي المحكمة الاولي قبل الازارقة وتبرّأ ممن بعدهم الا الاباضية فانه يتولاهم وزعم ان الله تعالي سيبعث رسولًا من

Digitized by Google

العجم وينزل عليه كتابًا قد كتب في السماء وينزل عليه جملة واحدة ويترك شريعة المصطفي محمد صلي الله عليه وسلم ويكون علي ملة الصابية المذكورة في القران وليست هي الصابية الموجودة بحران وواسط وتولي يزيد من شهد المصطفي عليه السلم من اهل الكتاب بالنبوة وان لم يدخل في دينه وقال ان اصحاب الحدود من موافقيه وغيرهم كفّار مشركون وكل ذنب صغير او كبير فهو شرك

الصفرية الزيادية اصحاب زياد بن الاصفر خالفوا الازارقة والنجدات والاباضية في امور منها انهم لم يكفّروا القعدة عن القتال اذا كانوا موافقين في الدين والاعتقاد ولم يسقطوا الرجم ولم يحكموا بقتل اطفال المشركين وتكفيرهم وتخليدهم وقالوا التقية جائزة في القول دون العمل وقالوا ما كان من الاعمال عليه حد واقع فلا يتعدي باهله الاسم الذي لزمه به الحد كالزنا والسرقة والقذف فيسمّي زانياً سارقاً قاذفاً لا كافراً مشركاً وما كان من الكبائر مما ليس فيه حد لعظم قدره مثل ترك الصلوة فانه يكفر بذلك ونقل عن الضحاك منهم انه جوّز تزويج المسلمات من كفّار قومهم في دار التقية دون دار العلانية وراي زياد بن الاصفر جميع الصدقات سهماً واحداً في حال التقية ويحكي عنه انه قال نحن مومنون عند انفسنا ولا ندري لعلنا خرجنا من الايمان عند الله وقال الشرك شركان شرك هو طاعة الشيطان وشرك هو عبادة الاوثان والكفر كفران كفر بالنعمة وكفر بانكار الربوبية والبراءة براءتان براءة من اهل الحدود سنة وبراءة من اهل الجحود فريضة

ولنختم المذاهب بذكر رجال الخوارج من المتقدمين عكرمة وابو هرون العبدي وابوالشعثاء واسمعيل بن سميع ومن المتاخرين اليمان

Digitized by Google

بن رباب ثعلبي ثم بيهسي وعبد الله بن يزيد ومحمد بن حرب ويحيي بن كامل اباضي ومن شعرائهم عمران بن حطّان وحبيب بن جدرة صاحب الضحاك بن قيس ومنهم ايضاً جهم بن صفوان وابو مروان غيلان بن مسلم ومحمد بن عيسي وبرغوث كلثوم بن حبيب المهلبي ابو بكر محمد بن عبد الله بن شبيب البصري علي بن حرملة صالح قبة بن صبيح بن عمرو مونس بن عمران البصري ابو عبد الله بن مسلمة الفضل بن عيسي الرقاشي ابو زكريا يحي بن اصفح ابو الحسين محمد بن مسلم الصالحي ابو محمد عبد الله بن محمد بن الحسن الخالدي محمد بن صدقة ابو الحسين علي بن زيد الاباضي ابو عبد الله محمد بن الكرام كلثوم بن حبيب المراي البصري والذين اعتزلوا الي جانب فلم يكونوا مع علي رضي الله عنه في حروبه ولا مع خصومه وقالوا لا ندخل في غمار الفتنة من الصحابة عبد الله بن عمر وسعد بن ابي وقاص ومحمد بن مسلمة الانصاري واسامة بن زيد بن حارثة الكلبي مولي رسول الله صلي الله عليه وسلم وقال قيس بن ابي حازم كنت مع علي في جميع احواله وحروبه حتي قال يوم صفين انفروا الي بقية الاحزاب انفروا الي من يقول كذب الله ورسوله وانتم تقولون صدق الله ورسوله فعرفت ايش كان يعتقد في الجماعة فاعتزلت عنه

المرجية الارجاء علي معنيين احدهما التاخير قالوا ارجه واخاه اي امهله واخّره والثاني اعطاء الرجاء اما اطلاق اسم المرجية علي الجماعة بالمعني الاول فصحيح لانهم كانوا يوخّرون العمل عن النّية والعقد واما بالمعني الثاني فظاهر لانهم كانوا يقولون لا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة وقيل الارجاء

Digitized by Google

تأخير حكم صاحب الكبيرة الي القيمة فلا يقضي عليه بحكم ما في الدنيا من كونه من اهل الجنة او من اهل النار فعلي هذا المرجية والوعيدية فرقتان متقابلتان وقيل الارجاء تأخير علي عليه السلم عن الدرجة الاولي الي الرابعة فعلي هذا المرجية والشيعة فرقتان متقابلتان والمرجية اصناف اربعة مرجية الخوارج ومرجية القدرية ومرجية الجبرية والمرجية الخالصة ومحمد بن شبيب والصالحي والخالدي من مرجية القدرية ونحن انما نعدّ مقالات المرجية الخالصة

اليونسية اصحاب يونس النميري زعم ان الايمان هو المعرفة بالله والخضوع له وترك الاستكبار عليه والمحبّة بالقلب فمن اجتمعت فيه هذه الخصال فهو مومن وما سوي المعرفة من الطاعة فليس من الايمان ولا يضرّ تركها حقيقة الايمان ولا يعذّب علي ذلك اذا كان الايمان خالصًا واليقين صادقًا وزعم ان ابليس كان عارفًا بالله وحده غير انه كفر باستكباره عليه أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَافِرِينَ قال ومن تمكّن في قلبه الخضوع لله والمحبّة له علي خلوص ويقين لم يخالفه في معصية وان صدرت منه معصية فلا يضرّ يقينه واخلاصه والمومن انما يدخل الجنة باخلاصه ومحبّته لا بعلمه وطاعته

العبيدية اصحاب عبيد المكتب حكي عنه انه قال ما دون الشرك مغفور لا محالة وان العبد اذا مات علي توحيده لم يضرّه ما اقترف من الاثام واجترح من السيّات وحكي اليمان عن عبيد المكتب واصحابه انهم قالوا ان علم الله تعالي لم يزل شيئًا غيره وان كلامه لم يزل شيئًا غيره وكذلك دين الله لم يزل شيئًا غيره وزعم ان الله تعالي عن قولهم علي صورة انسان وحمل عليه قوله صلي الله عليه وسلم خلق ادم علي صورة الرحمن

Digitized by Google

الغسانية اصحاب غسّان بن الكوفي زعم ان الايمان هو المعرفة بالله تعالي وبرسوله والاقرار بما انزل الله مما جاء به الرسول في الجملة دون التفصيل والايمان يزيد ولا ينقص وزعم ان قائلاً لو قال اعلم ان الله قد حرّم اكل الخنزير ولا ادري هل الخنزير الذي حرّمه هذه الشاة ام غيرها كان مومناً ولو قال ان الله قد فرض الحج الي الكعبة غير اني لا ادري اين الكعبة ولعلها بالهند كان مومناً ومقصوده ان امثال هذه الاعتقادات امور وراء الايمان لا انه شاكّاً في هذه الامور فان عاقلاً لا يستجيز من عقله ان يشكّ في ان الكعبة الي اي جهة وان الفرق بين الخنزير والشاة ظاهر ومن العجب ان غسان كان يحكي عن ابي حنيفة رحمه الله مثل مذهبه ويعدّه من المرجية ولعله كذب ولعمري كان يقال لابي حنيفة واصحابه مرجية السنة وعدّه كثير من اصحاب المقالات من جملة المرجية ولعل السبب فيه انه لما كان يقول الايمان هو التصديق بالقلب وهو لا يزيد ولا ينقص ظنّوا به انه يؤخّر العمل عن الايمان والرجل مع تخرجه في العمل كيف يفتي بترك العمل وله سبب اخر وهو انه كان يخالف القدرية والمعتزلة الذين ظهروا في الصدر الاول والمعتزلة كانوا يلقّبون كل من خالفهم في القدر مرجياً وكذلك الوعيدية من الخوارج فلا يبعد ان اللقب انما لزمه من فريقي المعتزلة والخوارج والله اعلم

الثوبانية اصحاب ابي ثوبان المرجي الذين زعموا ان الايمان هو المعرفة والاقرار بالله تعالي وبرسله عليهم السلم وبكل ما لا يجوز في العقل ان يفعله وما جاز في العقل تركه فليس من الايمان وأخّر العمل كله من الايمان ومن القائلين بمقالته ابو مروان غيلان بن مروان الدمشقي وابو شمر ومويس بن عمران

Digitized by Google

والفضل الرقاشي ومحمد بن شبيب والعتابي وصالح قبة وكان غيلان يقول بالقدر خيره وشره من العبد وفي الامامة انها تصلح في غير قريش وكل من كان قائماً بالكتاب والسنة كان مستحقاً لها وانها لا تثبت الا باجماع الامة والعجب ان الامة اجتمعت علي انها لا تصلح لغير قريش وبهذا دفعت الانصار عن دعواهم منّا امير ومنكم امير فقد جمع غيلان خصالاً ثلثاً القدر والارجاء والخروج والجماعة التي عددناهم اتفقوا علي ان الله تعالي لو عفا عن عاصٍ في القيمة عفا عن كل مومن عاصٍ هو في مثل حاله وان اخرج من النار واحداً اخرج من هو في مثل حاله ومن العجب انهم لم يجزموا القول بان المومنين من اهل التوحيد يخرجون لا محالة من النار ويحكي عن مقاتل بن سليمان ان المعصية لا تضرّ صاحب التوحيد والايمان وانه لا يدخل النار مومن والصحيح من النقل عنه ان المومن العاصي يعذب يوم القيمة علي الصراط وهو علي متن جهنم يصيبه لفح النار ولهبها فيتالّم بذلك علي مقدار المعصية ثم يدخل الجنة ومثل ذلك بالحبة علي المقلاة الموجمة بالنار ونقل عن بشر بن عتاب المريسي انه قال ان ادخل اصحاب الكبائر النار فانهم سيخرجون عنها بعد ان عذّبوا بذنوبهم واما التخليد فيها فمحال وليس بعدل وقيل ان اول من قال بالارجاء الحسن بن محمد بن علي بن ابي طالب وكان يكتب فيه الكتب الي الامصار الا انه ما أخّر العمل عن الايمان كما قالت المرجية اليونسية والعبيدية لكنه حكم بان صاحب الكبيرة لا يكفر اذ الطاعات وترك المعاصي ليست من اصل الايمان حتي يزول الايمان بزوالها

Digitized by Google

التومنية اصحاب ابي معاذ التومني الذي زعم ان الايمان هو ما عصم من الكفر وهو اسم لخصال اذا تركها التارك كفر ولو ترك خصلة واحدة منها كفر ولا يقال للخصلة الواحدة منها ايمان ولا بعض ايمان وكل معصية صغيرة او كبيرة لم يجمع عليها المسلمون بانها كفر لا يقال لصاحبها فاسق ولكن يقال فسق وعصي وقال تلك الخصال هي المعرفة والتصديق والمحبّة والاخلاص والاقرار بما جاء به الرسول قال ومن ترك الصلاة والصيام مستحلًّا كفر وان تركها علي نيّة القضاء لم يكفر ومن قتل نبياً او لطمه كفر لا من اجل القتل واللطم ولكن من اجل الاستخفاف والعداوة والبغض والي هذا المذهب ميل ابن الروندي وبشر المريسي قالا الايمان هو التصديق بالقلب واللسان جميعاً والكفر هو الجحود والانكار والسجود للشمس والقمر والصنم ليس بكفر في نفسه ولكنه علامة الكفر

الصالحية اصحاب صالح بن عمرو الصالحي ومحمد بن شبيب وابو شمر وغيلان كلهم جمعوا بين القدر والارجاء ونحن وان شرطنا ان نورد مذاهب المرجية الخالصة الا انه بدا لنا في هولاء لانفرادهم عن المرجية باشياء فاما الصالحي فقال الايمان هو المعرفة بالله تعالي علي الاطلاق وهو ان للعالم صانعاً فقط والكفر هو الجهل به علي الاطلاق قال وقول القائل ثالث ثلثة ليس بكفر لكنه لا يظهر الا من كافر وزعم ان معرفة الله تعالي هو المحبّة والخضوع له ويصحّ ذلك مع جحد الرسول ويصحّ في العقل ان يومن بالله ولا يومن برسوله غير ان الرسول عليه السلم قد قال من لا يومن بي فليس بمومن بالله تعالي وزعم ان الصلاة ليست بعبادة لله تعالي وانه لا عبادة الا الايمان به وهو معرفته وهو خصلة واحدة لا يزيد ولا ينقص وكذلك الكفر خصلة واحدة لا يزيد ولا ينقص واما ابو شمر المرجي

Digitized by Google

القدري فانه زعم ان الايمان هو المعرفة بالله عز وجل والمحبّة والخضوع له بالقلب والاقرار به انه واحد ليس كمثله شي ما لم يقم عليه حجة الانبياء عليهم السلم فاذا قامت الحجة فالاقرار بهم وتصديقهم من الايمان والمعرفة والاقرار بما جاؤا به من عند الله غير داخل في الايمان الاصلي وليس كل خصلة من حضال الايمان ايماناً ولا بعض ايمان واذا اجتمعت كانت كلها ايماناً وشرط في خصال الايمان معرفة العدل يريد به القدر خيره وشره من العبد من غير ان يضاف الي الباري تعالي منه شي واما غيلان بن مروان من القدرية المرجية زعم ان الايمان هو المعرفة الثانية بالله والمحبّة والخضوع له والاقرار بما جاء به الرسول وبما جاء من عند الله والمعرفة الاولي فطرية ضرورية فالمعرفة علي اصله نوعان فطرية وهو علمه بان للعالم صانعاً ولنفسه خالقاً وهذه المعرفة لا تسمّي ايماناً انما الايمان هو المعرفة الثانية المكتسبة

تتمة رجال المرجية كما نقل الحسن بن محمد بن علي بن ابي طالب وسعيد بن جبير وطلق بن حبيب وعمرو بن مرة ومحارب بن دثار ومقاتل بن سليمان وذر وعمرو بن ذر وحماد بن ابي سليمان وابو حنيفة وابو يوسف ومحمد بن الحسن وقديد بن جعفر وهولاء كلهم ائمة الحديث لم يكفروا اصحاب الكبائر بالكبيرة ولم يحكموا بتخليدهم في النار خلافاً للخوارج والقدرية

الشيعة هم الذين شايعوا علياً عليه السلم علي الخصوص وقالوا بامامته وخلافته نصاً ووصية اما جليًّا او خفيًّا واعتقدوا ان الامامة لا تخرج من اولاده وان خرجت فبظلم يكون من غيره او بتقية من عنده قالوا وليست الامامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة وينتصب الامام بنصبهم بل هي قضية اصولية هو ركن

Digitized by Google

الدين لا يجوز للرسول عليه السلم اغفاله واهماله ولا تفويضه الي العامة وارساله ويجمعهم القول بوجوب التعيين و التنصيص وثبوت عصمة الائمة وجوباً عن الكبائر والصغائر والقول بالتولّي والتبرّي قولًا وفعلًا وعقداً الا في حال التقية ويخالفهم بعض الزيدية في ذلك ولهم في تعدية الامامة كلام وخلاف كثير وعند كل تعدية وتوقف مقالة ومذهب وخبط وهم خمس فرق كيسانية وزيدية وامامية وغلاة واسمعيلية وبعضهم يميل في الاصول الي الاعتزال وبعضهم الي السنة وبعضهم الي التشبيه

الكيسانية اصحاب كيسان مولي امير المومنين علي عليه السلم وقيل تلميذ للسيد محمد بن الحنفية يعتقدون فيه اعتقاداً بالغاً من احاطته بالعلوم كلها واقتباسه من السيدين الاسرار بجملتها من علم التاويل والباطن وعلم الآفاق والانفس ويجمعهم القول بان الدين طاعة رجل حتي حملهم ذلك علي تاويل الاركان الشرعية من الصلوة والصيام والزكوة والحج وغيرها علي رجال فحمل بعضهم علي ترك القضايا الشرعية بعد الوصول الي طاعة الرجل وحمل بعضهم علي ضعف الاعتقاد بالقيمة وحمل بعضهم علي القول بالتناسخ والحلول والرجعة بعد الموت فمن مقتصر علي واحد معتقد انه لا يموت ولا يجوز ان يموت حتي يرجع ومن معدٍّ حقيقة الامامة الي غيره ثم متحسر عليه متحيّر فيه ومن مدّعٍ حكم الامامة وليس من الشجرة وكلهم حيارى منقطعون ومن اعتقد ان الدين طاعة رجل ولا رجل له فلا دين له و نعوذ بالله من الحيرة والحور بعد الكور

المختارية اصحاب المختار بن عبيد كان خارجياً ثم صار زبيرياً ثم صار شيعياً

Digitized by Google

وكيسانياً قال بامامة محمد بن الحنفية بعد علي وقيل لا بل بعد الحسن والحسين وكان يدعو الناس اليه ويظهر انه من رجاله ودعاته ويذكر علوماً مزخرفة يغوطها به ولما وقف محمد بن الحنفية علي ذلك تبرأ منه واظهر لاصحابه انه انما نمس علي الخلق ذلك ليتمشي امره ويجتمع الناس عليه وانما انتظم له ما انتظم بامرين احدهما انتسابه الي محمد بن الحنفية علماً ودعوة والثاني قيامه بثار الحسين عليه السلم واشتغاله ليلاً ونهاراً بقتال الظلمة الذين اجتمعوا علي قتل الحسين فمن مذهب المختار انه يجوز البدا علي الله تعالي والبدا له معانٍ البدا في العلم وهو ان يظهر له خلاف ما علم ولا اظنّ عاقلاً يعتقد هذا الاعتقاد والبدا في الارادة وهو ان يظهر له صواب علي خلاف ما اراد وحكم والبدا في الامر وهو ان يامر بشي ثم يامر بعده بخلاف ذلك ومن لم يجوّز النسخ ظنّ ان الاوامر المختلفة في الاوقات المختلفة متناسخة وانما صار المختار الي اختيار القول بالبدا لانه كان يدّعي علم ما يحدث من الاحوال اما بوحي يوحي اليه واما برسالة من قبل الامام فكان اذا وعد اصحابه بكون شي وحدوث حادثة فان وافق كونه قوله جعله دليلاً علي صدق دعواه وان لم يوافق قال قد بدا لربّكم وكان لا يفرق بين النسخ والبدا قال اذا جاز النسخ في الاحكام جاز البدا في الاخبار وقد قيل ان السيد محمد بن الحنفية تبرّأ من المختار حين وصل اليه انه قد لبس علي الناس انه من دعاته ورجاله وتبرّأ من الضلالات التي ابتدعها المختار من التاويلات الفاسدة والمخاريق المموّهة فمن مخاريقه انه كان عنده كرسي قديم قد غشّاه بالديباج وزيّنه بانواع الزينة وقال هذا من ذخائر امير المومنين علي عليه

السلم وهو عندنا بمنزلة التابوت لبني اسرائيل فكان اذا حارب خصومه يضعه في براح الصف ويقول قاتلوا ولكم الظفر والنصرة وهذا الكرسي محلّه فيكم محل التابوت في بني اسرائيل وفيه السكينة والبقية والملائكة من فوقكم ينزلون مدداً لكم وحديث الحمامات البيض التي ظهرت في الهوا وقد اخبرهم قبل ذلك بان الملائكة تنزل علي صورة الحمامات البيض معروف والاسجاع التي الفها ابرد تاليف مشهور وانما حمله علي الانتساب الي محمد بن الحنفية حسن اعتقاد الناس فيه وامتلاء القلوب بحبّه والسيد كان كثير العلم عزيز المعرفة وقّاد الفكر مصيب الخاطر في العواقب قد اخبره امير المومنين عن احوال الملاحم واطلعه علي مدارج المعالم قد اختار العزلة وآثر الخمول علي الشهرة وقد قيل انه كان مستودعاً علم الامامة حتي سلم الامانة الي اهلها وما فارق الدنيا حتي اقرّها في مستقرّها وكان السيد الحميري وكثير الشاعر من شيعته قال كثير فيه

الا ان الائمة من قريش ولاة الحق اربعة سواء
عليّ والثلثة من بنيه هم الاسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط ايمان وبرّ وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتي يقود الخيل يقدمه اللواء
يغيب ولا يري فيهم زماناً برضوي عنده عسل وماء

وكان السيد الحميري ايضاً يعتقد انه لم يمت وانه في جبل رضوي بين اسد ونمر يحفظانه وعنده عينان نضّاختان تجريان بماء وعسل ويعود بعد الغيبة فيملأ العالم عدلاً كما ملئت جوراً وهذا هو الاول حكم بالغيبة والعودة بعد الغيبة

Digitized by Google

حكم به الشيعة وجري ذلك في بعض الجماعة حتي اعتقدوه دينًا وركنًا من اركان التشييع ثم اختلف الكيسانية بعد انتقال محمد بن الحنفية في سوق الامامة وصار كل اختلاف مذهبًا

الهاشمية اتباع ابي هاشم بن محمد بن الحنفية قالوا بانتقال محمد بن الحنفية الي رحمة الله ورضوانه وانتقال الامامة منه الي ابنه ابي هاشم قالوا فانه افضي اليه اسرار العلوم واطلعه علي مناهج تطبيق الافاق علي الانفس وتقدير التنزيل علي التاويل وتصوير الظاهر علي الباطن قالوا ان لكل ظاهر باطنًا ولكل شخص روحًا ولكل تنزيل تاويلًا ولكل مثال في هذا العالم حقيقة في ذلك العالم والمنتشر في الافاق من الحكم والاسرار مجتمع في الشخص الانساني وهو العلم الذي استأثر علي عليه السلم به ابنه محمد بن الحنفية وهو افضي ذلك السرّ الي ابنه ابي هاشم وكل من اجتمع فيه هذا العلم فهو الامام حقًّا واختلف بعد ابي هاشم شيعته خمس فرق قالت فرقة ان ابا هاشم مات منصرفًا من الشام بارض الشراة واوصي الي محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وانجرّت في اولاده الوصية حتي صارت الخلافة الي ابي العباس قالوا ولهم في الخلافة حق لاتّصال النسب وقد توفي رسول الله صلي الله عليه وسلم وعمّه العباس اولي بالوراثة وفرقة قالت ان الامامة بعد موت ابي هاشم لابن اخيه الحسن بن علي بن محمد بن الحنفية وفرقة قالت لا بل ان ابا هاشم اوصي الي اخيه علي بن محمد وعلي اوصي الي ابنه الحسن فالامامة عندهم في بني الحنفية لا تخرج الي غيرهم وفرقة قالت ان ابا هاشم اوصي الي عبد الله بن عمرو بن حرب الكندي وان الامامة خرجت من بني هاشم الي عبد الله

Digitized by Google

وتحوّلت روح ابي هاشم اليه والرجل ما كان يرجع الي علم وديانة فاطلع بعض القوم علي خيانته وكذبه فاعرضوا عنه وقالوا بامامة عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب وكان من مذهب عبد الله ان الارواح تتناسخ من شخص الي شخص وان الثواب والعقاب في هذه الاشخاص اما اشخاص بني ادم واما اشخاص الحيوانات قال وروح الله تناسخت حتي وصلت اليه وحلّت فيه وادّعي الالهية والنبوة معاً وانه يعلم الغيب فعبده شيعته الحمقي وكفروا بالقيامة لاعتقادهم ان التناسخ يكون في الدنيا والثواب والعقاب في هذه الاشخاص وتاوّل قوله تَعَالَيَ لَيْسَ عَلَي ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا الاية علي ان من وصل الي الامام وعرفه ارتفع عنه الحرج في جميع ما يطعم ووصل الي الكمال والبلاغ وعنه نشأت الخرمية والمزدكية بالعراق وهلك عبد الله بخراسان وافترقت اصحابه فمنهم من قال انه بعد حيّ لم يمت ويرجع ومنهم من قال بل مات وتحوّلت روحه الي اسحق بن زيد بن الحارث الانصاري وهم الحارثية الذين يبيحون المحرمات ويعيشون عيش من لا تكليف عليه وبين اصحاب عبد الله بن معاوية وبين اصحاب محمد بن علي خلاف شديد في الامامة فان كل واحد منهما يدّعي الوصية من ابي هاشم اليه ولم يثبت الوصية علي قاعدة تعتمد

البنانية اتباع بنان بن سمعان النهدي قالوا بانتقال الامامة من ابي هاشم اليه وهو من الغلاة القائلين بالهية امير المومنين علي عليه السلم قال حل في علي جزء الهي واتّحد بجسده فيه كان يعلم الغيب اذا اخبر عن الملاحم وصحّ الخبر وبه كان يحارب الكفّار وله النصرة والظفر وبه قلع باب خيبر وعن

هذا قال والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانية ولا بحركة غذائية ولكن قلعته بقوة ملكوتية بنور ربها مضيئة فالقوة الملكوتية في نفسه كالمصباح في المشكاة والنور الالهي كالنور في المصباح قال وربما يظهر علي في بعض الازمان وقال في تفسير قوله تعالي هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ اراد به علياً فهو الذي يأتي في ظلل والرعد صوته والبرق تبسمه ثم ادّعي بنان انه قد انتقل اليه الجزء الالهي بنوع من التناسخ ولذلك استحق ان يكون اماماً وخليفة وذلك الجزء هو الذي استحق به ادم سجود الملائكة وزعم ان معبوده علي صورة انسان عضواً فعضواً جزواً فجزواً وقال يهلك كله الا وجهه لقوله تعالي كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ومع هذا الخزي الفاحش كتب الي محمد بن علي بن الحسين الباقر ودعاه الي نفسه وفي كتابه اسلم تسلم وترتقي من سلم فانك لا تدري حيث يجعل الله النبوة فامر الباقر ان ياكل الرسول قرطاسه الذي جاء به فاكله فمات في الحال وكان اسم الرسول عمر بن ابي عفيف وقد اجتمعت طائفة علي بنان بن سمعان ودانوا بمذهبه فقتله خالد بن عبد الله القسري علي ذلك

الرزامية اتباع رزام بن ساقوا الامامة من علي الي ابنه محمد ثم الي ابنه ابي هاشم ثم منه الي علي بن عبد الله بن عباس بالوصية ثم ساقوها الي محمد بن علي واوصي محمد الي ابنه ابرهيم الامام وهو صاحب ابي مسلم الذي دعاه اليه وقال بامامته وهولاء ظهروا بخراسان في ايام ابي مسلم حتي قيل ان ابا مسلم كان علي هذا المذهب لانهم ساقوا الامامة الي ابي مسلم فقالوا له حظّ في الامامة وادّعوا حلول روح الاله فيه ولهذا ايّده علي

Digitized by Google

بني امية حتي قتلهم عن بكرة ابيهم وقالوا بتناسخ الارواح والمقنع الذي ادّعي الالهية لنفسه علي مخاريق اخرجها كان في الاول علي هذا المذهب وتابعه مبيضة ما وراء النهر وهولاء صنف من الخرمية دانوا بترك الفرائض وقالوا الدين معرفة الامام فقط ومنهم من قال الدين امران معرفة الامام واداء الامانة ومن حصل له الامران فقد وصل الي حال الكمال وارتفع عنه التكليف ومن هولاء من ساق الامامة الي محمد بن علي بن عبد الله بن عباس من ابي هاشم بن محمد بن الحنفية وصية اليه لا من طريق اخر وكان ابو مسلم صاحب الدولة علي مذهب الكيسانية في الاول واقتبس من دعاتهم العلوم التي اختصّوا بها واحسّ منهم ان هذه العلوم مستودعة فيهم وكان يطلب المستقرّ فيه فنفذ الي الصادق جعفر بن محمد اني قد اظهرت الكلمة ودعوت الناس عن موالاة بني امية الي موالاة اهل البيت فان رغبت فيه فلا مزيد عليك فكتب اليه الصادق ما انت من رجالي ولا الزمان زماني فحاد الي ابي العباس بن محمد وقلّده الخلافة

الزيدية اتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي عليه السلم ساقوا الامامة في اولاد فاطمة عليها السلم ولم يجوّزوا ثبوت امامة في غيرهم الا انهم جوّزوا ان يكون كل فاطمي عالم زاهد شجاع سخي خرج بالامامة يكون اماماً واجب الطاعة سواء كان من اولاد الحسن او من اولاد الحسين وعن هذا قالت طائفة منهم بامامة محمد وابرهيم الاماميين ابني عبد الله بن الحسن بن الحسين الذين خرجا في ايام المنصور وقتلا علي ذلك وجوّزوا خروج امامين في قطرين يستجمعان هذه الخصال ويكون كل واحد منهما واجب الطاعة وزيد بن علي لما كان مذهبه هذا

Digitized by Google

المذهب اراد ان يحصّل الاصول والفروع حتي يتحلّي بالعلم فتلمذ في الاصول لواصل بن عطاء الغزال رأس المعتزلة مع اعتقاد واصل بان جدّه علي بن ابي طالب في حروبه التي جرت بينه وبين اصحاب الجمل واصحاب الشام ما كان علي يقين من الصواب وان احد الفريقين منهما كان علي الخطاء لا بعينه فاقتبس منه الاعتزال وصارت اصحابه كلها معتزلة وكان من مذهبه جواز امامة المفضول مع قيام الافضل فقال كان علي بن ابي طالب افضل الصحابة الا ان الخلافة فوّضت الي ابي بكر لمصلحة راوها وقاعدة دينية راعوها من تسكين نائرة الفتنة وتطييب قلوب العامة فان عهد الحروب التي جرت في ايام النبوة كان قريباً وسيف امير المومنين علي عليه السلم عن دماء المشركين من قريش لم يجفّ بعد والضغائن في صدور القوم من طلب الثار كما هي فما كانت القلوب تميل اليه كل الميل ولا تنقاد له الرقاب كل الانقياد وكانت المصلحة ان يكون القيام بهذا الشان من عرفوه باللين والتودّد والتقدم بالسن والسبق في الاسلام والقرب من رسول الله صلي الله عليه وسلم الا تري انه لما اراد في مرضه الذي مات فيه تقليد الامر عمر بن الخطاب رضي الله عنه زعق الناس وقالوا لقد ولّيت علينا فظًّا غليظًا فما كانوا يرضون بامير المومنين عمر لشدة وصلابة وغلظ له في الدين وفظاظة علي الاعداء حتي سكّنهم ابو بكر رضي الله عنه وكذلك يجوز ان يكون المفضول اماماً والافضل قائم فيراجع اليه في الاحكام ويحكم بحكمه في القضايا ولما سمعت شيعة الكوفة هذه المقالة منه وعرفوا انه لا يتبرّأ عن الشيخين رفضوه حتي اتي قدره عليه فسمّيت رافضة وجرت بينه وبين اخيه محمد الباقر مناظرة لا من

Digitized by Google

هذا الوجه بل من حيث كان يتلمّذ لواصل بن عطاء ويقتبس العلم ممن يجوز الخطاء علي جدّه في قتال الناكثين والقاسطين ومن يتكلم في القدر علي غير ما ذهب اليه اهل البيت ومن حيث انه كان يشترط الخروج شرطاً في كون الامام اماماً حتي قال له يوماً علي قضية مذهبك والدك ليس بامام فانه لم يخرج قط ولا تعرّض للخروج ولما قتل زيد بن علي وصلب قام بالامامة بعده يحيي بن زيد ومضي الي خراسان واجتمعت عليه جماعة كثيرة وقد وصل اليه الخبر من الصادق جعفر بن محمد رضي الله عنه بانه يقتل كما قتل ابوه ويصلب كما صلب ابوه فجري عليه الامر كما اخبر وقد فوّض الامر بعده الي محمد وابراهيم الامامين وخرجا بالمدينة ومضي ابراهيم الي البصرة واجتمع الناس عليهما فقتلا ايضاً واخبرهم الصادق بجميع ما تمّ عليهم وعرّفهم ان اباه عليهم السلم اخبروه بذلك كله وان بني امية يتطاولون علي الناس حتي لو طاولتهم الجبال لطالوا عليها وهم يستشعرون بغض اهل البيت ولا يجوز ان يخرج واحد من اهل البيت حتي ياذن الله تعالي بزوال ملكهم وكان يشير الي ابي العباس وابي جعفر ابني محمد بن علي بن عبد الله بن العباس انا لا نخوض في الامر حتي يتلاعب بها هذا واولاده اشارة الي المنصور فزيد بن علي قتل بكناسة الكوفة قتله هشام بن عبد الملك ويحيي بن زيد قتل بجوزجان خراسان قتله اميرها ومحمد الامام قتله بالمدينة عيسي بن ماهان وابراهيم الامام قتل بالبصرة امر بقتلهما المنصور ولم ينتظم امر الزيدية بعد ذلك حتي ظهر بخراسان ناصر الاطروش فطلب مكانه ليقتل فاختفي واعتزل الي بلاد الديلم والجبل ولم يتحلّوا بدين الاسلام بعد فدعي الناس دعوة الي الاسلام

Digitized by Google

علي مذهب زيد بن علي فدانوا بذلك ونشأوا عليه وبقيت الزيدية في تلك البلاد ظاهرين وكان يخرج واحد بعد واحد من الائمة ويلي امرهم وخالفوا بني اعمامهم من الموسوية في مسائل الاصول ومالت اكثر الزيدية بعد ذلك عن القول بامامة المفضول وطعنت في الصحابة طعن الامامية وهم اصناف ثلثة جارودية وسليمانية وبترية والصالحية منهم والبترية علي مذهب واحد

الجارودية اصحاب ابي الجارود زعموا ان النبي صلي الله عليه وسلم نصّ علي علي عليه السلم بالوصف دون التسمية والامام بعده علي والناس قصروا حيث لم يتعرفوا الوصف ولم يطلبوا الموصوف وانما نصبوا ابا بكر باختيارهم فكفروا بذلك وقد خالف ابو الجارود في هذه المقالة امامة زيد بن علي فانه لم يعتقد بهذا الاعتقاد .واختلفت الجارودية في التوقف والسوق فساق بعضهم الامامة من علي الي الحسن ثم الي الحسين ثم الي علي بن الحسين زين العابدين ثم الي زيد بن علي ثم منه الي الامام محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين وقالوا بامامته وكان ابو حنيفة رحمه الله علي بيعته ومن جملة شيعته حتي رفع الامر الي المنصور فحبسه حبس الابد حتي مات في الحبس وقيل انه انما بايع محمد بن عبد الله الامام في ايام المنصور ولما قتل محمد بالمدينة بقي الامام ابو حنيفة علي تلك البيعة يعتقد موالاة اهل البيت فرفع حاله الي المنصور فتمّ عليه ما تمّ والذين قالوا بامامة محمد الامام اختلفوا فمنهم من قال انه لم يقتل وهو بعد حيّ وسيخرج فيملأ الارض عدلًا ومنهم من اقرّ بموته وساق الامامة الي محمد بن القسم بن علي بن الحسين بن علي صاحب الطالقان وقد أُسر في ايام المعتصم وحمل اليه فحبسه في داره

حتي مات ومنهم من قال بامامة يحيي بن عمر صاحب الكوفة فخرج ودعا الناس واجتمع عليه خلق كثير وقتل في ايام المستعين وحمل رأسه الي محمد بن عبد الله بن ظاهر حتي قال فيه بعض العلوية

قتلت اعزّ من ركب المطايا وجئتك استلينك في الكلام
وعزّ عليّ ان القاك الا وفيما بيننا حد الحسام

وهو يحيي بن عمر بن يحيي بن الحسين بن زيد بن علي واما ابو الجارود فكان يسمي سرحوب سماه بذلك ابو جعفر محمد بن علي الباقر رضي الله عنه وسرحوب شيطان اعمي يسكن البحر قاله الباقر تفسيراً ومن اصحاب ابي الجارود فضيل الرسان وابو خالد الواسطي وهم مختلفون في الاحكام والسير فزعم بعضهم ان علم ولد الحسن والحسين عليهما السلم كعلم النبي صلي الله عليه وسلم فيحصل لهم العلم قبل التعلّم فطرة وضرورة وبعضهم يزعم ان العلم مشترك فيهم وفي غيرهم وجائز ان يوخذ عنهم وعن غيرهم من العامة

السليمانية اصحاب سليمان بن جرير وكان يقول ان الامامة شوري فيما بين الخلق وصحّ ان ينعقد بعقد رجلين من خيار المسلمين وانها تصحّ في المفضول مع وجود الافضل واثبت امامة ابي بكر وعمر حقاً باختيار الامّة حقاً اجتهادياً وربما كان يقول ان الامة اخطأت في البيعة لهما مع وجود علي خطاءً لا يبلغ درجة الفسق وذلك الخطاء خطاء اجتهادي غير انه طعن في عثمان للاحداث التي احدثها واكفره بذلك واكفر عائشة والزبير وطلحة باقدامهم علي قتال علي ثم انه طعن في الرافضة فقال ان ائمة الرافضة قد وضعوا مقالتين لشيعتهم لا يظهر احد قط عليهم احدهما القول بالبدا فاذا اظهروا قولاً انه سيكون لهم قوة

Digitized by Google

وشوكة وظهور ثم لا يكون الامر علي ما اخبروه قالوا بدا الله تعالي في ذلك والثانية التقية وكل ما ارادوا تكلموا به فاذا قيل لهم ذلك ليس بحق وظهر لهم البطلان قالوا انما قلناه تقية وفعلناه تقية وتابعه علي القول بجواز امامة المفضول مع قيام الافضل قوم من المعتزلة منهم جعفر بن مبشر وجعفر بن حرب وكثير النوي وهو من اصحاب الحديث قالوا الامامة من مصالح الدين ليس يحتاج اليها لمعرفة الله تعالي وتوحيده فان ذلك حاصل بالعقل لكنها يحتاج اليها لاقامة الحدود والقضا بين المتحاكمين وولاية اليتامي والايامي وحفظ البيضة واعلاء الكلمة ونصب القتال مع اعداء الدين وحتي يكون للمسلمين جماعة ولا يكون الامر فوضي بين العامة فلا يشترط فيها ان يكون الامام افضل الامة علماً واقدمهم رايًا وحكمة اذا الحاجة تنسدّ بقيام المفضول مع وجود الفاضل والافضل ومالت جماعة من اهل السنة الي ذلك حتي جوّزوا ان يكون الامام غير مجتهد ولا خبير بمواقع الاجتهاد ولكن يجب ان يكون معه من يكون من اهل الاجتهاد فيراجعه في الاحكام ويستفتي منه في الحلال والحرام ويجب ان يكون في الجملة ذا راي متين وبصر في الحوادث نافذ

الصالحية اصحاب الحسن بن صالح بن حي والبترية اصحاب كثير النوي الابتر وهما متّفقان في المذهب وقولهم في الامامة كقول السليمانية الا انهم توقفوا في امر عثمان اهو مومن ام كافر قالوا اذا سمعنا الاخبار الواردة في حقه وكونه من العشرة المبشرين بالجنة قلنا يجب ان يحكم بصحة اسلامه وايمانه وكونه من اهل الجنة واذا راينا الاحداث التي احدثها من استهتاره بتربية بني امية وبني مروان واستبداده بامور لم توافق سيرة الصحابة قلنا يجب ان يحكم

Digitized by Google

بكفره فتحيّرنا في امره وتوقفنا في حاله ووكّلناه الي احكم الحاكمين واما علي فهو افضل الناس بعد رسول الله صلي الله عليه وسلم واولاهم بالامامة لكنه سلم الامر لهم راضياً وفوّض الامر اليهم طائعاً وترك حقه راغباً فنحن راضون بما رضي مسلمون لما سلم لا يحلّ لنا غير ذلك ولو لم يرض علي بذلك لكان ابو بكر هالكاً وهم الذين جوّزوا امامة المفضول وتاخير الفاضل والافضل اذا كان الافضل راضياً بذلك وقالوا من شهر سيفه من اولاد الحسن والحسين وكان عالماً زاهداً شجاعاً فهو الامام وشرط بعضهم صباحة الوجه ولهم خبط عظيم في امامين وجد فيهما هذه الشرائط وشهرا سيفهما ينظر الي الافضل والازهد وان تساويا ينظر الي الامتن رأياً والاحزم امراً وان تساويا تقابلاً فينقلب الامر عليهم كلّا ويعود الطلب جدعاً والامام ماموماً والامير مامورًا ولو كانا في قطرين انفرد كل واحد منهما بقطره ويكون واجب الطاعة في قومه ولو افتي احدهما بخلاف ما يفتي الاخر كان كل واحد منهما مصيباً وان افتي باستحلال دم الامام الاخر واكثرهم في زماننا مقلّدون لا يرجعون الي راي واجتهاد اما في الاصول فيرجعون الي راي المعتزلة حذو القذة بالقذة ويعظّمون ائمة الاعتزال اكثر من تعظيمهم ائمة اهل البيت واما في الفروع فهم علي مذهب ابي حنيفة الا في مسائل قليلة يوافقون فيها الشافعي والشيعة رجال الزيدية ابو الجارود زياد بن المنذر العبدي جعفر بن محمد والحسن بن صالح ومقاتل بن سليمان والداعي ناصر الحق الحسن بن علي بن الحسن بن زيد بن عمرو بن الحسين بن علي والداعي الاخر صاحب طبرستان الحسين بن زيد بن محمد بن اسمعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي ومحمد بن نصر

Digitized by Google

الامامية هم القائلون بامامة علي عليه السلم بعد النبي صلي الله عليه وسلم نصًّا ظاهرًا وتعيينًا صادقًا من غير تعريض بالوصف بل اشارة اليه بالعين قالوا وما كان في الدين والاسلام امر اهمّ من تعيين الامام حتي يكون مفارقته الدنيا علي فراغ قلب من امر الامة فانه اذا بعث لرفع الخلاف وتقرير الوفاق فلا يجوز ان يفارق الامة ويتركهم هملًا يري كل واحد منهم رايًا ويسلك كل واحد طريقًا لا يوافقه في ذلك غيره بل يجب ان يعيّن شخصًا هو المرجوع اليه وينصّ علي واحد هو الموثوق به والمعوّل عليه وقد عيّن عليًا عليه السلم في مواضع تعريضًا وفي مواضع تصريحًا اما تعريضاته فمثل ان بعث ابا بكر ليقرأ سورة البراءة علي الناس في المشهد وبعث بعد عليًا ليكون هو القاريُ عليهم والمبلّغ عنه اليهم وقال نزل عليّ جبريل فقال يبلغه رجل منك او قال من قومك وهو يدل علي تقديمه عليًا عليه السلم ومثل ما كان يؤمّر علي ابي بكر وعمر غيرهما من الصحابة في البعوث وقد امّر عليهما عمرو بن العاص في بعث واسامة بن زيد في بعث وما امّر علي عليّ احدًا قط واما تصريحاته فمثل ما جري في نأناة الاسلام حين قال من الذي يبايعني علي ماله فبايعته جماعة ثم قال من الذي يبايعني علي روحه وهو وصيّي ووليّ هذا الامر من بعدي فلم يبايعه احد حتي مدّ امير المومنين علي عليه السلم يده اليه فبايعه علي روحه ووفّي بذلك حتي كانت قريش تعيّر ابا طالب انه امّر عليك ابنك ومثل ما جري في كمال الاسلام وانتظام الحال حين نزل قوله تعالي يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ فلما وصل الي غدير خم امر بالدوجات فقمن ونادوا الصلوة جامعة ثم قال عليه السلم وهو علي الرجال من كنت مولاه

Digitized by Google

فعلي مولاه اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وادر الحق معه حيث دار الا هل بلغت ثلثاً فادعت الامامية ان هذا نص صريح فانا ننظر من كان النبي صلي الله عليه وسلم مولي له وباي معني فنطرد ذلك في حق علي وقد فهمت الصحابة من التولية ما فهمناه حتي قال عمر حين استقبل علياً طوبي لك يا علي اصبحت مولي كل مومن ومومنة قالوا وقول النبي عليه السلم اقضاكم علي نصّ في الامامة فان الامامة لا معني لها الا ان يكون اقضي القضاة في كل حادثة الحاكم علي المتخاصمين في كل واقعة وهو معني قوله تعالي أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُولِي ٱلْأَمْرِ مِنْكُمْ فاولي الامر من اليه القضا والحكم حتي وفّي مسئلة الخلافة لما تخاصمت المهاجرون والانصار كان القاضي في ذلك هو امير المومنين علي دون غيره فان النبي صلي الله عليه وسلم كما حكم لكل واحد من الصحابة باخصّ وصف له فقال افرضكم زيد اقرأكم ابي اعرفكم بالحلال والحرام معاذ كذلك حكم لعلي باخصّ وصف وهو قوله اقضاكم عليّ والقضا يستدعي كل علم وليس كل علم يستدعي القضا ثم ان الامامية تخطّت عن هذه الدرجة الي الوقيعة في كبار الصحابة طعناً وتكفيراً واقله ظلماً وعدواناً وقد شهدت نصوص القران علي عدالتهم والرضا من جملتهم قال الله تعالي لَقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ وكانوا اذ ذاك الفًا واربع ماية وقال تعالي ثناءً علي المهاجرين والانصار والذين اتّبعوهم باحسان وَٱلسَّابِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وقال لَقَدْ تَابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَاجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ وقال وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ

Digitized by Google

لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وفي ذلك دليل علي عظم قدرهم عند الله وكرامتهم ودرجتهم عند الرسول فليت شعري كيف يستجيز ذو دين الطعن فيهم ونسبة الكفر اليهم وقد قال النبي عليه السلم عشرة في الجنة ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد بن زيد وعبد الرحمن بن عوف وابو عبيدة الجراح الي غير ذلك من الاخبار الواردة في حق كل واحد منهم علي الانفراد وان نقلت هناة من بعضهم فليتدبر النقل فان اكاذيب الروافض كثيرة ثم ان الامامية لم يثبتوا في تعيين الائمة بعد الحسن والحسين وعلي بن الحسين علي راي واحد بل اختلافاتهم اكثر من اختلافات الفرق كلها حتي قال بعضهم ان نيفًا وسبعين فرقة من الفرق المذكورة في الخبر هو في الشيعة خاصة ومن عداهم فهم خارجون عن الامة وهم متّفقون في سوق الامامة الي جعفر بن محمد الصادق مختلفون في المنصوص عليه بعده من اولاده اذ كانت له خمسة اولاد وقيل ستة محمد واسحاق وعبد الله وموسي واسمعيل وعلي ومن ادّعي منهم النص والتعيين محمد وعبد الله وموسي واسمعيل ثم منهم من مات واعقب ومنهم من لم يعقب ومنهم من قال بالتوقف والانتظار والرجعة ومنهم من قال بالسوق والتعدية كما سياتي اختلافاتهم عند ذكر طائفة طائفة وكانوا في الاول علي مذهب ائمتهم في الاصول ثم لما اختلفت الروايات عن ائمتهم وتمادي الزمان اختار كل فرقة طريقة وصارت الامامية بعضها معتزلة اما وعيدية واما تفضيلية وبعضها اخبارية اما مشبهة واما سلفية ومن ضل الطريق وتاه لم يبال الله به في اي وادٍ هلك

الباقرية والجعفرية الواقفة اصحاب ابي جعفر محمد بن علي الباقر وابنه جعفر

Digitized by Google

الصادق قالوا باملستهما واماما والدهما زين العابدين الا ان منهم من توقف علي واحد منهما وما ساق الامامة الي اولادهما ومنهم من ساق وانما ميّزنا هذه فرقة دون الاصناف المتشيعة التي نذكرها لان من الشيعة من توقف علي الباقر وقال برجعته كما توقف القائلون بامامة ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق وهو ذو علم عزيز في الدين وادب كامل في الحكمة وزهد بالغ في الدنيا وورع تامّ عن الشهوات وقد اقام بالمدينة مدة يفيد الشيعة المنتمين اليه ويفيض علي الموالين له اسرار العلوم ثم دخل العراق واقام بها مدة ما تعرّض للامامة قط ولا نازع احداً في الخلافة ومن غرق في بحر المعرفة لم يطمع في شطّ ومن تعلي الي ذروة الحقيقة لم يخف من حطّ وقيل من آنس بالله توحّش عن الناس ومن استانس بغير الله نهبه الوسواس وهو من جانب الاب ينتسب الي شجرة النبوة ومن جانب الام ينتسب الي ابي بكر رضي الله عنه وقد تبرّأ عمّا كان ينسب بعض الغلاة اليه وتبرّأ عنه ولعنهم وبريءٌ من خصائص مذاهب الرافضة وحماقاتهم من القول بالغيبة والرجعة والبدا والتناسخ والحلول والتشبيه لكن الشيعة بعده افترقوا وانتحل كل واحد منهم مذهباً واراد ان يروّجه علي اصحابه ونسبه اليه وربطه به والسيد بريءٌ من ذلك ومن الاعتزال والقدر ايضاً هذا قوله في الارادة ان الله تعالي اراد بنا شيئًا واراد منّا شيئًا فما اراده بنا طواه عنّا وما اراد منّا اظهره لنا فما بالنا نشتغل بما اراده بنا عمّا اراده منّا وهذا قوله في القدر هو امر بين امرين لا جبر ولا تفويض وكان يقول في الدعا اللهم لك الحمد ان اطعتك ولك الحجة ان عصيتك لا صنع لي ولا لغيري في احسان ولا حجة لي ولا لغيري في اساءة فنذكر الاصناف الذين اختلفوا فيه وبعده لا علي انهم من تفاصيل

Digitized by Google

اشياعه بل علي انهم منتسبون الي اصل شجرته وفروع اولاده

الناوسية اتباع رجل يقال له ناوس وقيل نسبوا الي قرية ناوسا قالت ان الصادق حيّ بعد ولن يموت حتي يظهر فيظهر امره وهو القائم المهدي ورووا عنه انه قال لو رايتم راسي يدهده عليكم من الجبل فلا تصدقوا فاني صاحبكم صاحب السيف وحكي ابو حامد الزوزني ان الناوسية زعمت ان علياً مات وستنشقّ الارض عنه يوم القيامة فيملأ العالم عدلاً

الافطحية قالوا بانتقال الامامة من الصادق الي ابنه عبد الله الافطح وهو اخو اسمعيل من ابيه وامّه وامّهما فاطمة بنت الحسين بن الحسن بن علي وكان اسنّ اولاد الصادق زعموا انه قال الامامة في اكبر اولاد الامام وقال الامام من يجلس مجلسي وهو الذي جلس مجلسه والامام لا يغسله ولا يصلي عليه ولا ياخذ خاتمه ولا يواريه الا الامام وهو الذي تولّي ذلك كله ودفع الصادق وديعة الي بعض اصحابه وامره ان يدفعها الي من يطلبها منه وان يتّخذه اماماً وما طلبها منه احد الا عبد الله ومع ذلك ما عاش بعد ابيه الا سبعين يوماً ومات ولم يعقب ولداً ذكراً

الشميطية اتباع يحيي بن ابي شميط قالوا ان جعفراً قال ان صاحبكم اسمه اسم نبيكم وقد قال له والده ان ولد لك ولد فسميته باسمي فهو امام فالامام بعده ابنه محمد

الموسوية والمفضلية فرقة واحدة قالت بامامة موسي بن جعفر نصًّا عليه بالاسم حيث قال الصادق سابعكم قائمكم وقيل صاحبكم قائمكم الا وهو سمي صاحب التورية ولما رايت الشيعة ان اولاد الصادق علي تفرّق فمن ميت في حال

Digitized by Google

حيوة ابيه لم يعقب ومن مختلف في موته ومن قائم بعد موته مدة يسيرة ميت غير معقب وكان موسي هو الذي تولي الامر وقام به بعد موت ابيه رجعوا اليه واجتمعوا عليه مثل المفضل بن عمر وزرارة بن اعين وعمارة السباطي وروت الموسوية عن الصادق عليه السلم انه قال لبعض اصحابه عدّ الامام فعدّها من الاحد حتي بلغ السبت فقال له كم عددت فقال سبعة فقال جعفر سبت السبوت وشمس الدهور ونور الشهور من لا يلهو ولا يلعب وهو سابعكم قائمكم هذا واشار الي موسي وقال فيه ايضًا انه شبيه بعيسي ثم ان موسي لما خرج واظهر الامامة حمله هرون الرشيد من المدينة فحبسه عند عيسي بن جعفر ثم اشخصه الي بغداد فحبسه عند السندي بن شاهك وقيل ان يحيي بن خالد بن برمك سمّه في رطب فقتله وهو في الحبس ثم اخرج ودفن في مقابر قريش ببغداد واختلف الشيعة بعده فمنهم من توقف في موته وقال لا ندري امات ام لم يمت ويقال لهم الممطورة وسمّاهم بذلك علي بن اسمعيل فقال ما انتم الا كلاب ممطورة ومنهم من قطع بموته ويقال لهم القطعية ومنهم من توقف عليه وقال انه لم يمت وسيخرج بعد الغيبة ويقال لهم الواقفية اسامي الائمة الاثنا عشر عند الامامية المرتضي والمجتبي والشهيد والسجاد والباقر والصادق والكاظم والرضا والتقي والنقي والزكي والحجة القائم المنتظر

الاسمعيلية الواقفية قالوا ان الامام بعد جعفر اسمعيل نصًّا عليه باتفاق من اولاده الا انهم اختلفوا في موته في حال حيوة ابيه فمنهم من قال لم يمت الا انه اظهر موته تقية من خلفا بني العباس وعقد محضرًا واشهد عليه عامل المنصور بالمدينة ومنهم من قال الموت صحيح والنصّ لا يرجع قهقري والفائدة

Digitized by Google

في النصّ بقاء الامامة في اولاد المنصوص عليه دون غيره فالامام بعد اسمعيل محمد بن اسمعيل وهولاء يقال لهم المباركية ثم منهم من وقف علي محمد بن اسمعيل وقال برجعته بعد غيبته ومنهم من ساق الامامة في المستورين منهم ثم في الظاهرين القائمين من بعدهم وهم الباطنية وسنذكر مذهبهم علي الانفراد وانما هذه فرقة الوقف علي اسمعيل بن جعفر ومحمد بن اسمعيل والاسمعيلية المشهورة في الفرق هم الباطنية التعليمية الذين لهم مقالة مفردة الاثنا عشرية ان الذين قطعوا بموت موسي بن جعفر الكاظم وسمّوا قطعية ساقوا الامامة بعده في اولاده فقالوا الامام بعد موسي علي الرضا ومشهده بطوس ثم بعده محمد التقي وهو في مقابر قريش ثم بعده علي بن محمد النقي ومشهده بقم وبعده الحسن العسكري الزكي وبعده ابنه القائم المنتظر الذي هو بسر من راي وهو الثاني عشر هذا هو طريق الاثنا عشرية في زماننا الا ان الاختلافات التي وقعت في حال كل واحد من هولاء الاثني عشر والمنازعات التي جرت بينهم وبين اخوتهم وبني اعمامهم وجب ذكرها لئلا يشذ عنها مذهب لم نذكره ومقالة لم نوردها فاعلم ان من الشيعة من قال بامامة احمد بن موسي بن جعفر دون اخيه علي الرضا ومن قال بعلي شكّ اولاً في محمد بن علي اذ مات ابوه وهو صغير غير مستحق للامامة ولا علم عنده بمناهجها فثبت قوم علي امامته واختلفوا بعد موته فقال قوم بامامة موسي بن محمد وقال قوم بامامة علي بن محمد ويقولون هو العسكري واختلفوا بعد موته ايضاً فقال قوم بامامة جعفر بن علي وقال قوم بامامة الحسن بن علي وكان لهم رئيس يقال له علي بن فلان الطاحن وكان من اهل الكلام قوّي اسباب جعفر بن علي

Digitized by Google

وامال الناس اليه واعانه فارس بن حاتم بن ماهويه وذلك ان محمداً قد مات وخلف الحسن العسكري قالوا امتحنّا الحسن ولم نجد عنده علماً ولقبوا من قال بامامة الحسن الحمارية وقوّوا امر جعفر بعد موت الحسن واحتجّوا بان الحسن مات بلا خلف فبطلت امامته لانه لم يعقب والامام لا يكون الا ويكون له خلف وعقب وحاز جعفر ميراث الحسن بعد دعوي ادّعاها عليه انه فعل ذلك من حبل في جواريه وغيره وانكشف امرهم عند السلطان والرعية وخواص الناس وعوامهم وتشتت كلمة من قال بامامة الحسن وتفرقوا اصنافاً كثيرة فثبت هذه الفرقة علي امامة جعفر ورجع اليهم كثير ممن قال بامامة الحسن منهم الحسن بن علي بن فضال وهو من اجلّ اصحابهم وفقهائهم كثير الفقه والحديث ثم قالوا بعد جعفر بعلي بن جعفر وفاطمة بنت علي اخت جعفر وقال قوم بامامة علي بن جعفر دون فاطمة السيدة ثم اختلفوا بعد موت علي وفاطمة اختلافاً كثيراً وغلا بعضهم في الامامة غلو ابي الخطاب الاسدي واما الذين قالوا بامامة الحسن افترقوا بعد موته احدي عشرة فرقة وليست لهم القاب مشهورة ولكنّا نذكر اقاويلهم الفرقة الاولي قالت ان الحسن لم يمت وهو القائم ولا يجوز ان يموت ولا ولد له ظاهراً لان الارض لا تخلوا من امام وقد ثبت عندنا ان القائم له غيبتان وهذه احدي الغيبتين وسيظهر ويعرف ثم يغيب غيبة اخري الثانية قالت ان الحسن مات لكنه يجيء وهو القائم لانا راينا ان معني القائم هو القيام بعد الموت فنقطع بموت الحسن لا نشكّ فيه ولا ولد له فيجب ان يجيء بعد الموت الثالثة قالت ان الحسن قد مات واوصي الي جعفر اخيه ورجعت امامة جعفر الرابعة قالت ان الحسن قد مات والامام جعفر

Digitized by Google

وانا كنّا مخطئين في الائتمام به اذ لم يكن اماماً فلما مات ولا عقب له تبيّنا ان جعفراً كان محقاً في دعواه والحسن مبطلاً الخامس قالت ان الحسن قد مات وكنّا مخطئين في القول به وان الامام كان محمد بن علي اخو الحسن وجعفر ولما ظهر لنا فسق جعفر واعلانه به وعلمنا ان الحسن كان علي مثل حاله الا انه كان يتستّر عرفنا انهما لم يكونا امامين فرجعنا الي محمد ووجدنا له عقباً وعرفنا انه كان هو الامام دون اخويه السادسة قالت ان للحسن ابناً وليس الامر علي ما ذكروا انه مات ولم يعقب وُلد قبل وفاة ابيه بسنتين فاستتر خوفاً من جعفر وغيره من الاعداء واسمه محمد وهو الامام القائم المنتظر السابعة قالت ان له ابناً ولكنه ولد بعد موته بثمانية اشهر وقول من ادّعي انه مات وله ابن باطل لان ذلك لم يخف ولا يجوز مكابرة العيان الثامنة قالت صحت وفاة الحسن وصحّ ان لا ولد له وبطل ما ادّعي من الحبل في سُرّية له وثبت ان لا امام بعد الحسن وهو جائز في المعقول ان يرفع الله الحجة عن اهل الارض لمعاصيهم وهي فترة وزمان لا امام فيه والارض اليوم بلا حجة كما كانت الفترة قبل مبعث النبي صلي الله عليه وسلم التاسعة قالت ان الحسن قد مات وصحّ موته وقد اختلف الناس هذا الاختلاف ولا ندري كيف هو ولا نشك انه قد ولد له ابن ولا ندري قبل موته او بعد موته الا انا نعلم يقيناً ان الارض لا تخلوا عن حجة وهو الخلف الغائب فنحن نتوالاه ونتمسّك باسمه حتي يظهر بصورته العاشرة قالت نعلم ان الحسن قد مات ولا بد للناس من امام ولا يخلوا الارض من حجة ولا ندري من ولده او من غيره الحادية عشر فرقة توقفت في هذه المخابط وقالت لا ندري علي القطع حقيقة الحال لكنّا نقطع

Digitized by Google

في الرضا ونقول بامامته وفي كل موضع اختلفت الشيعة فيه فنحن من الواقفية في ذلك الي ان يظهر الله الحجة ويظهر بصورته فلا يشك في امامته من ابصره ولا يحتاج الي معجزة وكرامة وبيّنة بل معجزته اتّباع الناس باسرهم اياه من غير منازعة ومدافعة فهذه جملة فرق الاثنا عشرية قطعوا علي واحد واحد منهم ثم قطعوا علي كل باسرهم ومن العجب انهم قالوا الغيبة قد امتدّت مائتين ونيفًا وخمسين سنة وصاحبنا قال ان خرج القائم وقد طعن في الاربعين فليس بصاحبكم ولسنا ندري كيف ينقضي مايتان وخمسون سنة في اربعين سنة واذا سئل القوم عن مدة الغيبة كيف يتصور قالوا اليس الخضر والياس عليهما السلم يعيشان في الدنيا من الاف سنة لا يحتاجان الي طعام وشراب فلِمَ لا يجوز ذلك في واحد من اهل البيت قيل لهم ومع اختلافكم هذا كيف يصحّ لكم دعوي الغيبة ثم الخضر عليه السلم ليس مكلّفاً بضمان جماعة والامام عندكم ضامن مكلف بالهداية والعدل والجماعة مكلفون بالاقتداء به والاستنان بسنّته ومن لا يُري كيف يقتدي به فلهذا صارت الامامية متمسكين بالعدلية في الاصول وبالمشبهة في الصفات متحيّرين تائهين وبين الاخبارية منهم والكلامية سيف وتكفير وكذلك بين التفضيلية والوعيدية قتال وتضليل اعاذنا الله من الحيرة ومن العجب ان القائلين بامامة المنتظر مع هذا الاختلاف العظيم لا يستحيون فيدعون فيه احكام الالهية ويتاولون قوله تعالي عليه وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ قالوا هو الامام المنتظر الذي يرد اليه علم الساعة ويدعون فيه انه لا يغيب عنّا وسيخبرنا باحوالنا حين يحاسب الخلق الي تحكمات باردة وكلمات عن العقول ردة

شعر

لقد طفت في تلك المعاهد كلّها وسيّرت طرفي بين تلك المعالم

فلم ار الا واضعاً كفّ حائر على ذقن او قارعاً سنّ نادم

الغالية هولاء هم الذين غلوا في حق ائمتهم حتي اخرجوهم من حدود الخلقية وحكموا فيهم باحكام الالهية فربما شبهوا واحداً من الائمة بالاله وربما شبهوا الاله بالخلق وهم علي طرفي الغلو والتقصير وانما نشأت شبهاتهم من مذاهب الحلولية ومذاهب التناسخية ومذاهب اليهود والنصاري اذ اليهود شبهت الخالق بالخلق والنصاري شبهت الخلق بالخالق فسرت هذه الشبهات في اذهان الشيعة الغلاة حتي حكمت باحكام الاهية في حق بعض الائمة وكان التشبيه بالاصل والوضع في الشيعة وانما عادت الي بعض اهل السنة بعد ذلك وتمكن الاعتزال فيهم لما راوا ان ذلك اقرب الي المعقول وابعد من التشبيه والحلول وبدع الغلاة محصورة في اربع التشبيه والبدا والرجعة والتناسخ ولهم القاب وبكل بلد لقب يقال لهم باصفهان الخرمية والكودية وبالري المزدكية والسنبادية وباذربيجان الذقولية وبموضع المحمرة وبما وراء النهر المبيضة السبابية اصحاب عبد الله بن سبا الذي قال لعلي عليه السلم انت انت يعني انت الاله فنفاه الي المداين وزعموا انه كان يهودياً فاسلم وكان في اليهودية يقول في يوشع بن نون وصي موسي مثل ما قال في علي عليه السلم وهو اول من اظهر القول بالفرض بامامة علي ومنه انشعبت اصناف الغلاة وزعموا ان علياً حيّ لم يقتل وفيه الجزء الالهي ولا يجوز ان يستولي عليه وهو الذي يجيء في السحاب والرعد صوته والبرق سوطه وانه سينزل بعد ذلك الي الارض

Digitized by Google

فيملأ الارض عدلاً كما مليئت جوراً وانما اظهر ابن سبا هذه المقالة بعد انتقال علي عليه السلم واجتمعت عليه جماعة وهم اول فرقة قالت بالتوقف والغيبة والرجعة وقالت بتناسخ الجزء الالهي في الائمة بعد علي وهذا المعني مما كان يعرفه الصحابة وان كانوا علي خلاف مراده هذا عمر رضي الله عنه كان يقول فيه حين فقأ عين واحد في الحرم ورفعت القصة اليه ما ذا اقول في يد الله فقأت عيناً في حرم الله فاطلق عمر اسم الالهية عليه لما عرف منه ذلك

الكاملية اصحاب ابي كامل اكفر جميع الصحابة بتركها بيعة علي عليه السلم وطعن في علي ايضاً بتركه طلب حقه ولم يعذره في القعود قال وكان عليه ان يخرج ويظهر الحق علي انه غلا في حقه وكان يقول الامامة نور يتناسخ من شخص الي شخص وذلك النور في شخص يكون نبوة وفي شخص يكون امامة وربما يتناسخ الامامة فتصير نبوة وقال يتناسخ الارواح وقت الموت والغلاة علي اصنافها كلهم متّفقون علي التناسخ والحلول ولقد كان التناسخ مقالة لفرقة في كل امة تلقّوها من المجوس المزدكية والهند البرهمية ومن الفلاسفة والصابية ومذهبهم ان الله تعالي قائم بكل مكان ناطق بكل لسان ظاهر بشخص من اشخاص البشر وذلك معني الحلول وقد يكون الحلول بجزء وقد يكون بكل اما الحلول بجزء هو كاشراق الشمس في كوّة او كاشراقها علي البلور واما الحلول بالكل فهو كظهور ملك بشخص او كشيطان بحيوان ومراتب التناسخ اربعة النسخ والمسخ والفسخ والرسخ وسياتي شرح ذلك عند ذكر فرقهم من المجوس علي التفصيل واعلي المراتب مرتبة الملكية او النبوة واسفل

المراتب الشيطانية او الجنّية وهذا ابو كامل كان يقول بالتناسخ ظاهراً من غير تفصيل مذهبهم

العلبايية اصحاب العلبا بن ذراع الدوسي وقال قوم هو الاسدي وكان يفضّل علياً علي النبي صلي الله عليه وسلم وزعم انه الذي بعث محمداً وسمّاه الهاً وكان يقول بذم محمد زعم انه بعث ليدعو الي علي فدعا الي نفسه ويسمون هذه الفرقة الذمية ومنهم من قال بالهيتهما جميعاً ويقدّمون علياً في احكام الالهية ويسمونهم العينية ومنهم من قال بالهيتهما جميعاً ويفضلون محمداً في الالهية ويسمونهم الميمية ومنهم من قال بالهية خمسة اشخاص اصحاب الكسا محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين وقالوا خمستهم شي واحد والروح حالة فيهم بالسوية لا فضل لواحد علي الاخر وكرهوا ان يقولوا فاطمة بالتانيث بل قالوا فاطم وفي ذلك يقول بعض شعرائهم شعر

توليتُ بعد الله في الدين خمسة نبياً وسبطيه وشيخاً وفاطماً

المغيرية اصحاب المغيرة بن سعيد العجلي ادّعي ان الامام بعد محمد بن علي بن الحسين محمد بن عبد الله بن الحسن الخارج بالمدينة وزعم انه حي لم يمت وكان المغيرة مولي لخالد بن عبد الله القسري وادّعي الامامة لنفسه بعد الامام محمد وبعد ذلك ادّعي النبوة لنفسه وغلا في حق علي عليه السلم غلوًا لا يعتقده عاقل وزاد علي ذلك قوله بالتشبيه فقال ان الله تعالي صورة وجسم ذوا اعضاء علي مثال حروف الهجاء وصورته صورة رجل من نور علي راسه تاج من نور وله قلب ينبع منه الحكمة وزعم ان الله تعالي لما اراد خلق العالم تكلّم بالاسم الاعظم فطار فوقع علي راسه تاجاً قال وذلك قوله

Digitized by Google

سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ثم اطلع علي اعمال العباد وقد كتبها علي كفه فغضب من المعاصي فعرق فاجتمع من عرقه بحران احدهما مالح والاخر عذب والمالح مظلم والعذب نيّر فاطلع في البحر النير فابصر ظله فانتزع عين ظله فخلق منها الشمس والقمر وافني باقي ظله وقال لا ينبغي ان يكون معي اله غيري قال ثم خلق الخلق كله من البحرين فخلق المومنين من البحر النير والكفار من البحر المظلم وخلق ظلال الناس واول ما خلق هو ظل محمد وعلي قبل ظلال الكل ثم عرض علي السموات والارض والجبال ان يحملن الامانة وهي ان يمنعن علي بن ابي طالب من الامامة فابين ذلك ثم عرض علي الناس فامر عمر بن الخطاب ابا بكر ان يتحمل منعه من ذلك وضمن ان يعينه علي الغدر به علي شرط ان يجعل الخلافة له من بعده فقبل منه واقدما علي المنع متظاهرين فذلك قوله وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً وزعم انه نزل في عمر قوله تعالي كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ ولما ان قتل المغيرة اختلف اصحابه فمنهم من قال بانتظاره ورجعته ومنهم من قال بانتظار امامة محمد كما كان يقول هو بانتظاره وقد قال المغيرة لاصحابه انتظروه فانه يرجع وجبريل وميكائيل يبايعانه بين الركن والمقام

المنصورية اصحاب ابي منصور العجلي وهو الذي عزا نفسه الي ابي جعفر محمد بن علي الباقر في الاول فلما تبرّأ عنه الباقر وطرده زعم انه هو الامام ودعا الناس الي نفسه ولما توفي الباقر قال انتقلت الامامة اليّ وتظاهر بذلك وخرجت جماعة منهم بالكوفة في بني كندة حتي وقف يوسف بن عمر

Digitized by Google

الثقفي والي العراق في ايام هشام بن عبد الملك علي قصّته وخبث دعوته فاخذه وصلبه زعم العجلي ان علياً عليه السلم هو الكسف الساقط من السماء وربما قال الكسف الساقط من السماء هو الله عز وجل وزعم حين ادّعي الامامة لنفسه انه عُرج به الي السماء وراي معبوده فمسح بيده راسه وقال له يا بُنيّ انزل فبلّغ عنّي ثم اهبطه الي الارض فهو الكسف الساقط من السماء وزعم ايضاً ان الرسل لا تنقطع ابداً والرسالة لا تنقطع وزعم ان الجنة رجل اُمرنا بموالاته وهو امام الوقت وان النار رجل امرنا بمعاداته وهو خصم الامام وتاوّل المحرّمات كلها علي اسماء رجال امر الله تعالي بمعاداتهم وتاوّل الفرائض علي اسماء رجال امرنا بموالاتهم واستحلّ اصحابه قتل مخالفيهم واخذ اموالهم واستحلال نسائهم وهم صنف من الخرمية وانما مقصودهم من حمل الفرائض والمحرّمات علي اسماء رجال هو ان من ظفر بذلك الرجل وعرفه فقد سقط عنه التكليف وارتفع عنه الخطاب اذ وصل الي الجنة وبلغ الي الكمال وممّا ابدعه العجلي ان قال اول ما خلق الله هو عيسي بن مريم ثم علي بن ابي طالب

الخطابية اصحاب ابي الخطاب محمد بن ابي زينب الاسدي الاجدع وهو الذي عزا نفسه الي ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق فلما وقف الصادق علي غلوّه الباطل في حقه تبرّأ منه ولعنه واخبر اصحابه بالبراءة منه وشدّد القول في ذلك وبالغ في التبرّيً عنه واللعن عليه فلما اعتزل عنه ادّعي الامر لنفسه زعم ابو الخطاب ان الائمة انبياء ثم الهة وقال بالهية جعفر بن محمد والهية ابائه وهم ابناء الله واحبّاؤه والالهية نور في النبوة والنبوة نور في الامامة ولا يخلوا العالم من هذه الاثار والانوار وزعم ان جعفراً هو الاله في زمانه وليس هو المحسوس

Digitized by Google

الذي يرونه ولكن لما نزل الي هذا العالم لبس تلك الصورة فراه الناس فيها ولما وقف عيسي بن موسي صاحب المنصور علي خبث دعوته قتله بسبخة الكوفة وافترقت الخطابية بعده فرقاً فزعمت فرقة ان الامام بعد ابي الخطاب رجل يقال له معمر ودانوا به كما دانوا بابي الخطاب وزعموا ان الدنيا لا تفني وان الجنة هي التي تصيب الناس من خير ونعمة وعافية وان النار هي التي تصيب الناس من شر ومشقّة وبلية واستحلّوا الخمر والزنا وسائر المحرّمات ودانوا بترك الصلوة والفرائض ويسمّي هذه الفرقة معمرية وزعمت طائفة ان الامام بعد ابي الخطاب بزيغ وكان يزعم ان جعفراً هو الاله اي ظهر الاله بصورته للخلق وزعم ان كل مومن يوحي اليه وتاوّل قول الله تعالي وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ اي يوحي من الله اليه وكذلك قوله تعالي وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ وزعم ان في اصحابه من هو افضل من جبريل وميكائيل وزعم ان الانسان اذا بلغ الكمال لا يقال انه مات لكن الواحد منهم اذا بلغ النهاية قيل رفع الي الملكوت وادّعوا كلهم معاينة امواتهم وزعموا انهم يرونهم بكرة وعشيًّا وتسمي هذه الطائفة البزيغية وزعمت طائفة ان الامام بعد ابي الخطاب عمير بن بنان العجلي وقالوا كما قالت الطائفة الاولي الا انهم اعترفوا بانهم يموتون وكانوا قد نصبوا خيمة بكناسة الكوفة يجتمعون فيها علي عبادة الصادق فرفع خبرهم الي يزيد بن عمر بن هبير فاخذ عميراً فصلبه في كناسة الكوفة وتسمّي هذه الطائفة العجلية وزعمت طائفة ان الامام بعد ابي الخطاب مفضل الصيرفي وكان يقول بربوبية جعفر دون نبوته ورسالته وتبرّأ من هولاء كلهم جعفر بن محمد الصادق وطردهم ولعنهم فان القوم كلهم حياري

Digitized by Google

ضالّون جاهلون .بحال الائمة تائهون

الكيالية اتباع احمد بن الكيّال وكان من دعاة واحد من اهل البيت بعد جعفر بن محمد الصادق واظنّه من الائمة المستورين ولعلّه سمع كلمات علمية فخلطها برايه الفائل وفكره العاطل وابدع مقالة في كل باب علمي علي قاعدة غير مسموعة ولا معقولة وربما عاند الحس في بعض المواضع ولما وقفوا علي بدعته تبرّؤا منه ولعنوه وامروا شيعتهم بمنابذته وترك مخالطته ولما عرف الكيّال ذلك صرف الدعوة الي نفسه وادّعي الامامة اولًا ثم ادّعي انه القائم ثانيًا وكان من مذهبه ان كل من قدر الافاق علي الانفس وامكنه ان يبيّن مناهج العالمين اعني عالم الافاق وهو العالم العلوي وعالم الانفس وهو العالم السفلي كان هو الامام وان من قرر الكل في ذاته وامكنه ان يبيّن كل كلي في شخصه المعيّن الجزوي كان هو القائم قال ولم يوجد في زمن الازمان احد يقرر هذا التقرير الا احمد الكيال فكان هو القائم وانما قبله من انتمي اليه اولًا علي بدعته ذلك انه الامام ثم القائم وبقيت من مقالته في العالم تصانيف عربية وعجمية كلها مزخرفة مردودة شرعًا وعقلًا قال الكيال العوالم ثلثة العالم الاعلي والعالم الادني والعالم الانساني واثبت في العالم الاعلي خمسة اماكن الاول مكان الاماكن وهو مكان فارغ لا يسكنه موجود ولا يدبره روحاني وهو محيط بالكل قال والعرش الوارد في الشرع عبارة عنه ودونه مكان النفس الاعلي ودونه مكان النفس الناطقة ودونه مكان النفس الحيوانية ودونه مكان النفس الانسانية قال واردت النفس الانسانية الصعود الي عالم النفس الاعلي فصعدت وخرقت المكانين اعني الحيوانية والناطقية فلما قربت من الوصول الي عالم النفس الاعلي كلّت وانحسرت وتحيّرت

وتعفنت واستحالت اجزاؤها فأهبطت الي العالم السفلي ومضت عليها اكوار وادوار وهي في تلك الحالة من العفونة والاستحالة ثم ساحت عليها النفس الاعلي وافاضت عليها من انوارها جزوًا فحدثت التراكيب في هذا العالم وحدثت السموات والارض والمركبات من المعادن والنبات والحيوان والانسان ووقعت في بلايا هذا التركيب تارة سرورًا وتارة غمًّا وتارة فرحاً وتارة ترحاً وطوراً سلامة وعافية وطورًا بلية ومحنة حتي يظهر القائم ويردّها الي حال الكمال وتنحلّ التراكيب وتبطل المتضادات ويظهر الروحاني علي الجسماني وما ذلك القائم الا احمد الكيال ثم دل علي تعيين ذاته باضعف ما يتصور واوهي ما يقدروهو ان اسم احمد مطابق للعوالم الاربعة فالالف من اسمه في مقابلة النفس الاعلي والحاء في مقابلة النفس الناطقة والميم في مقابلة النفس الحيوانية والدال في مقابلة النفس الانسانية قال فالعوالم الاربعة هي المبادي والبسائط واما مكان الاماكن فلا وجود فيه البتة ثم اثبت في مقابلة العوالم العلوية العالم السفلي الجسماني قال فالسماء خالية وهي في مقابلة مكان الاماكن ودونها النار ودونها الهواء ودونها الارض ودونها الماء وهذه الاربعة في مقابلة العوالم الاربعة ثم قال الانسان في مقابلة النار والطائر في مقابلة الهواء والحيوان في مقابلة الارض والحوت في مقابلة الماء فجعل مركز الماء اسفل المراكز والحوت اخسّ المركبات ثم قابل العالم الانساني الذي هو احد الثلثة وهو عالم الانفس مع افاق العالمين الاولين الروحاني والجسماني قال الحواس المركبة فيه خمس فالسمع في مقابلة مكان الاماكن اذ هو فارغ وفي مقابلة السماء والبصر في مقابلة النفس الاعلي من الروحاني وفي مقابلة النار من الجسماني وفيه انسان العين لان الانسان

Digitized by Google

مختص بالنار والشم في مقابلة الناطقي من الروحاني والهواء من الجسماني لان الشم من الهواء يتروح ويتنسم والذوق في مقابلة الحيواني من الروحاني والارض من الجسماني والحيوان مختص بالارض والطعم بالحيوان واللمس في مقابلة الانساني من الروحاني والماء من الجسماني والحوت مختص بالماء واللمس بالحوت وربما عبر عن اللمس بالكناية ثم قال احمد الف وحاء وميم ودال وهو في مقابلة العالمين اما في مقابلة العالم العلوي الروحاني فقد ذكرنا واما في مقابلة العالم السفلي الجسماني فالالف يدل علي الانسان والحاء علي الحيوان والميم علي الطائر والدال علي الحوت فالالف من حيث استقامة القامة كالانسان والحاء كالحيوان لانه معوّج منكوس ولان الحاء من ابتداء اسم الحيوان والميم يشبه راس الطائر والدال يشبه ذنب الحوت ثم قال ان الباري تعالي انما خلق الانسان علي شكل اسم احمد فالقامة مثل الالف واليدان مثل الحاء والبطن مثل الميم والرجلان مثل الدال ثم من العجب انه قال الانبياء هم قادة اهل التقليد واهل التقليد عميان والقائم قائد اهل البصيرة واهل البصيرة اولوا الالباب وانما يحصلون البصائر بمقابلة الافاق والانفس والمقابلة كما سمعتها من اخسّ المقالات واوهي المقابلات بحيث لا يستجيز عاقل ان يسمعها فكيف يرضي ان يعتقدها واعجب من هذا كله تاويلاته الفاسدة ومقابلاته بين الفرائض الشرعية والاحكام الدينية وبين موجودات عالمي الافاق والانفس وادّعاؤه انه متفرّد بها وكيف يصحّ له ذلك وقد سبقه كثير من اهل العلم بتقرير ذلك لا علي الوجه المزيف الذي قرره الكيال وحمله الميزان علي العالمين والصراط علي نفسه والجنة علي الوصول الي علمه من البصائر والنار علي الوصول

Digitized by Google

الي ما يضادّه ولما كانت اصول علمه ما ذكرناه فانظر كيف يكون حال الفروع
الهشامية اصحاب الهشامين هشام بن الحكم صاحب المقالة في التشبيه وهشام
بن سالم الجواليقي الذي نسج علي منواله في التشبيه وكان هشام بن الحكم
من متكلمي الشيعة وجرت بينه وبين ابي الهذيل مناظرات في علم الكلام
منها في التشبيه ومنها في تعلق علم الباري تعالي حكي ابن الروندي عن
هشام انه قال ان بين معبوده وبين الاجسام تشابهاً ما بوجه ن الوجوه ولو لا
ذاك لما دلّت عليه حكي الكعبي عنه انه قال هو جسم ذو ابعاض له قدر
من الاقدار ولكن لا يشبه شيئًا من المخلوقات ولا يشبهه شي ونقل عنه انه قال
هو سبعة اشبار بشبر نفسه وانه في مكان مخصوص وجهة مخصوصة وانه يتحرك
وحركته فعله وليست من مكان الي مكان وقال هو متناهٍ بالذات غير متناهٍ
بالقدرة وحكي عنه ابو عيسي الوراق انه قال ان الله تعالي مماسّ لعرشه لا
يفضل منه شي من العرش ولا يفضل عن العرش شي منه ومن مذهب هشام
انه لم يزل عالمًا بنفسه ويعلم الاشياء بعد كونها بعلم لا يقال فيه محدث او
قديم لانه صفة والصفة لا توصف ولا يقال فيه هو هو او غيره او بعضه وليس قوله
في القدرة والحيوة كقوله في العلم لانه لا يقول بحدوثهما قال ويريد الاشياء وارادته
حركة ليست غير الله ولا هي عينه وقال في كلام الباري تعالي انه صفة لله
تعالي لا يجوز ان يقال هو مخلوق ولا غير مخلوق وقال الاعراض لا تصلح دلالة
علي الله تعالي لان منها ما يثبت استدلالًا وما يستدلّ به علي الباري تعالي
يجب ان يكون ضروري الوجود وقال الاستطاعة كل ما لا يكون الفعل الا به
كالالات والجوارح والوقت والمكان وقال هشام بن سالم انه تعالي علي صورة

Digitized by Google

انسان اعلاه مجوّف واسفله مصمت وهو نور ساطع يتلألأ وله حواسّ خمس
يد ورجل وانف واذن وعين وفم وله وفرة سوداء وهو نور اسود لكنه ليس بلحم
ولا دم وقال هشام الاستطاعة بعض المستطيع وقد نقل عنه انه اجاز المعصية
علي الانبياء مع قوله بعصمة الائمة ويفرق بينهما بان النبي يوحي اليه فينبه
علي وجه الخطاء فيتوب منه والامام لا يوحي اليه فيجب عصمته وغلا هشام
بن الحكم في حق علي حتي قال انه اله واجب الطاعة وهذا هشام بن الحكم
صاحب غور في الاصول لا يجوز ان يغفل عن الزاماته علي المعتزلة فان الرجل
وراء ما يلزمه علي الخصم ودون ما يظهره من التشبيه وذلك انه الزم العلاف
فقال انك تقول الباري عالم بعلم وعلمه ذاته فيشارك المحدثات في انه عالم
بعلم ويباينها في ان علمه ذاته فيكون عالماً لا كالعالمين فلم لا تقول هو جسم لا
كالاجسام وصورة لا كالصور وله قدر لا كاقدار الي غير ذلك ووافقه زرارة بن اعين
في حدوث علم الله تعالي وزاد عليه بحدوث قدرته وحيوته وسائر صفاته وانه
لم يكن قبل خلق هذه الصفات عالماً ولا قادراً ولا حيًّا ولا سميعاً ولا بصيراً ولا
مريداً ولا متكلّماً وكان يقول بامامة عبد الله بن جعفر فلما فاوضه في مسائل
ولم يجده بها مليًا رجع الي موسي بن جعفر وقيل ايضاً انه لم يقل بامامته
الا انه اشار الي المصحف فقال هذا امامي وانه كان قد التوي علي جعفر بعض
الالتواء وحكي عن الزرارية ان المعرفة ضرورية وانه لا يسع جهل الائمة فان معارفهم
كلها ضرورية وكل ما يعرفه غيرهم بالنظر فهو عندهم اولي ضروري ونظريّاتهم لا
يدركها غيرهم

النعمانية اصحاب محمد بن النعمان ابي جعفر الاحول الملقب بشيطان الطاق

Digitized by Google

والشيعة تقول هو مومن الطاق وافق هشام بن الحكم في ان الله تعالي لا يعلم شيئًا حتي يكون والتقدير عنده الارادة والارادة فعله تعالي وقال ان الله تعالي نور علي صورة انسان ويابي ان يكون جسمًا لكنه قال قد ورد في الخبر ان الله خلق ادم علي صورته وعلي صورة الرحمن فلا بد من تصديق الخبر ويحكي عن مقاتل بن سليمان مثل مقالته في الصورة وكذلك يحكي عن داود الجواربي ونعيم بن حماد المصري وغيرهما من اصحاب الحديث انه تعالي ذو صورة واعضاء ويحكي عن داود انه قال اعفوني عن الفرج واللحية واسألوني عن ما وراء ذلك فان في الاخبار ما يثبت ذلك وقد صنف ابن النعمان كتبًا جمةً للشيعة منها افعل لم فعلت ومنها افعل لا تفعل ويذكر فيها ان كبار الفرق اربعة القدرية والخوارج والعامة والشيعة ثم عيّن الشيعة بالنجاة في الاخرة من هذه الفرق وذكر عن هشام بن سالم ومحمد بن النعمان انهما امسكا عن الكلام في الله ورويا عمّن يوجبان تصديقه انه سئل عن قول الله وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى قال اذا بلغ الكلام الي الله فامسكوا فامسكا عن القول في الله والتفكر فيه حتي ماتا هذا نقل الوراق ومن جملة الشيعة اليونسية اصحاب يونس بن عبد الرحمن القمّي مولي ال يقطين زعم ان الملائكة تحمل العرش والعرش يحمل الرب تعالي اذ قد ورد في الخبر ان الملائكة تأطّ احيانًا من وطاءة عظمة الله تعالي علي العرش وهو من مشبّهة الشيعة وقد صنف لهم كتبًا في ذلك

النُّصَيْرية والاسحاقية من غلاة الشيعة ولهم جماعة ينصرون مذهبهم وينوبون عن اصحاب مقالاتهم وبينهم خلاف في كيفية اطلاق اسم الالهية علي الائمة من اهل البيت قالوا ظهور الروحاني بالجسد الجسماني امر لا ينكره عاقل اما في

Digitized by Google

جانب الخير كظهور جبريل عليه السلم ببعض الاشخاص والتصور بصورة اعرابي والتمثل بصورة البشر واما في جانب الشر كظهور الشيطان بصورة الانسان حتي يعمل الشر بصورته وظهور الجن بصورة بشر حتي يتكلم بلسانه فلذلك نقول ان الله تعالي ظهر بصورة اشخاص ولما لم يكن بعد رسول الله صلي الله عليه وسلم شخص افضل من علي عليه الصلوة والسلم وبعده اولاده المخصوصون هم خير البرية فظهر الحق بصورتهم ونطق بلسانهم واخذ بايديهم فعن هذا اطلقنا اسم الالهية عليهم وانما اثبتنا هذا الاختصاص لعلي دون غيره لانه كان مخصوصاً بتاييد من عند الله تعالي ممّا يتعلق بباطن الاسرار قال النبي صلي الله عليه وسلم انا احكم بالظاهر والله يتولّي السرائر وعن هذا كان قتال المشركين الي النبي صلي الله عليه وسلم وقتال المنافقين الي علي وعن هذا شبّهه بعيسي بن مريم وقال لولا ان يقول الناس فيك ما قالوا في عيسي بن مريم والا لقلت فيك مقالاً وربما اثبتوا له شركة في الرسالة اذ قال فيكم من يقاتل علي تاويله كما قاتلت علي تنزيله الا وهو خاصف النعل فعلم التاويل وقتال المنافقين ومكالمة الجن وقلع باب خيبر لا بقوة جسدانية من ادلّ الدليل علي ان فيه جزواً الهيًا وقوة ربانية او يكون هو الذي ظهر الاله بصورته وخلق بيده وامر بلسانه وعن هذا قالوا كان هو موجودًا قبل خلق السموات والارض قال كنّا اظلّة علي يمين العرش فسبحنا فسبحت الملائكة بتسبيحنا فتلك الظلال وتلك الصور العرية عن الاظلال هي حقيقية وهي مشرقة بنور الرب تعالي اشراقاً لا ينفصل عنها سوا كانت في هذا العالم او في ذلك العالم وعن هذا قال علي انا من احمد كالضوء من الضوء يعني لا فرق بين النورين الا ان احدهما اسبق والثاني

Digitized by Google

لاحق به تالٍ له وهذا يدل علي نوع شركة فالنصيرية اميل الي تقرير الجزو الالهي والاسحاقية اميل الي تقرير الشركة في النبوة ولهم اختلافات اخر لم نذكرها

وقد نجزت الفرق الاسلامية وما بقيت الا فرقة الباطنية وقد اوردهم اصحاب التصانيف في كتب المقالات اما خارجة عن الفرق واما داخلة فيها وبالجملة هم قوم يخالفون اثنتين وسبعين فرقة

رجال الشيعة ومصنفوا كتبهم من الزيدية ابو خالد الواسطي ومنصور بن الاسود وهرون بن سعيد العجلي ووكيع بن الجراح ويحيي بن ادم وعبد الله بن موسي وعلي بن صالح والفضل بن دكين من الجارودية وابو حنيفة بترية وخرج محمد بن عجلان مع محمد الامام وخرج ابرهيم بن عباد بن عوام ويزيد بن هرون والعلا بن راشد وهشيم بن بشر والعوام بن حوشب ومسلم بن سعيد مع ابرهيم الامام من الامامية وسائر اصناف الشيعة سالم بن ابي الجعد وسالم بن ابي حفصة وسلمة بن كميل وتوبة بن ابي فاختة وحبيب بن ابي ثابت ابو المقدام وشعبة والاعمش وجابر الجعفي وابو عبد الله الجدلي وابو اسحاق السبيعي والمغيرة وطاووس والشعبي وعلقمة وهبيرة بن بريم وحبة الغرني والحارث الاعور ومن مولفي كتبهم هشام بن الحكم وعلي بن منصور ويونس بن عبد الرحمن وشكال والفضل بن شاذان والحسين بن اشكاب ومحمد بن عبد الرحمن بن رقبة وابو سهل النوبختي واحمد بن يحيي الروندي ومن المتاخرين ابو جعفر الطوسي

الاسمعيلية قد ذكرنا ان الاسمعيلية امتازت عن الموسوية وعن الاثنا عشرية باثبات الامامة لاسمعيل بن جعفر وهو ابنه الاكبر المنصوص عليه في بدؤ الامر قالوا ولم يتزوج الصادق علي امّه بواحدة من النساء ولا اشتري جارية كسنة

Digitized by Google

رسول الله في حق خديجة وكسنة علي في حق فاطمة وذكرنا اختلافهم في موته في حال حيوة ابيه فمنهم من قال انه مات وانما فائدة النص عليه انتقال الامامة منه الي اولاده خاصة كما نص موسي الي هرون عليهما السلم ثم مات هرون في حال حيوة اخيه وانما فائدة النص انتقال الامامة منه الي اولاده فان النص لا يرجع قهقري والقول بالبدا محال ولا ينص الامام علي واحد من ولده الا بعد السماع من ابائه والتعيين لا يجوز علي الابهام والجهالة ومنهم من قال انه لم يمت لكن اظهر موته تقية عليه حتي لا يقصد بالقتل ولهذا القول دلالات منها ان محمداً كان صغيراً وهو اخوه لامّه مضي الي السرير الذي كان اسمعيل نائماً عليه ورفع الملاة فابصره وهو قد فتح عينه وعدا الي ابيه مفزعاً وقال عاش اخي عاش اخي قال والده ان اولاد الرسول كذا يكون حالهم في الاخرة قالوا وما السبب في الاشهاد علي موته وكتب المحضر عليه ولم يعهد ميتاً سجل علي موته وعن هذا لما رفع الي المنصور ان اسمعيل بن جعفر رُأي بالبصرة مرّ علي مقعد فدعا له فبرئ باذن الله بعث المنصور الي الصادق ان اسمعيل في الاحياء وانه رُأي بالبصرة انفذ السجل اليه وعليه شهادة عامله بالمدينة قالوا وبعد اسمعيل محمد بن اسمعيل السابع التامّ وانما تمّ دور السبعة به ثم ابتداء منه بالائمة المستورين الذين كانوا يسيرون في البلاد سرًا ويظهرون الدعاة جهراً قالوا ولن تخلوا الارض قط عن امام حي قائم اما ظاهر مكشوف واما باطن مستور فاذا كان الامام ظاهراً يجوز ان يكون حجته مستورة واذا كان الامام مستوراً فلا بد ان يكون حجته ودعاته ظاهرين وقالوا انما الائمة تدور احكامهم علي سبعة سبعة كايام الاسبوع والسموات السبع والكواكب السبع والنقباء تدور احكامهم علي اثني عشر قالوا وعن

هذا وقعت الشبهة للامامية القطعية حيث قرروا عدد النقباء للائمة ثم بعد الائمة المستورين كان ظهور المهدي والقائم بامر الله واولادهم نصّاً بعد نص علي امام بعد امام ومذهبهم ان من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية وكذلك من مات ولم يكن في عنقه بيعة امام مات ميتة جاهلية وكانت لهم دعوة في كل زمان ومقالة جديدة بكل لسان فنذكر مقالاتهم القديمة ونذكر بعدها دعوة صاحب الدعوة الجديدة واشهد القابهم الباطنية

الباطنية وانما لزمهم هذا اللقب لحكمهم بان لكل ظاهر باطناً ولكل تنزيل تاويلاً ولهم القاب كثيرة سوي هذه علي لسان قوم قوم فبالعراق يسمّون الباطنية والقرامطة والمزدكية وبخراسان التعليمية والملحدة وهم يقولون نحن اسمعيلية لانا تميّزنا عن فرق الشيعة بهذا الاسم وهذا الشخص ثم ان الباطنية القديمة قد خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة وصنفوا كتبهم علي ذلك المنهاج فقالوا في الباري تعالي انا لا نقول هو موجود ولا لا موجود ولا عالم ولا جاهل ولا قادر ولا عاجز وكذلك في جميع الصفات فان الاثبات الحقيقي يقتضي شركة بينه وبين سائر الموجودات في الجهة التي اطلقنا عليه وذلك تشبيه فلم يمكن الحكم بالاثبات المطلق والنفي المطلق بل هو الله المتقابلين وخالق الخصمين والحاكم بين المتضادين ونقلوا في هذا ايضاً عن محمد بن علي الباقر انه قال لما وهب العلم للعالمين قيل هو عالم ولما وهب القدرة للقادرين قيل هو قادر فهو عالم قادر بمعني انه وهب العلم والقدرة لا بمعني انه قام به العلم والقدرة او وصف بالعلم والقدرة فقيل فيهم انهم نفاة الصفات حقيقة معطلة الذات عن جميع الصفات قالوا وكذلك نقول في القدم انه ليس بقديم ولا محدث بل القديم امره وكلمته

Digitized by Google

والمحدث خلقه وفطرته ابدع بالامر العقل الاول الذي هو تام بالفعل ثم بتوسطه ابدع النفس الثاني الذي هو غير تام ونسبة النفس الي العقل اما نسبة النطفة الي تمام الخلقة والبيض الي الطير واما نسبة الولد الي الوالد والنتيجة الي المنتج واما نسبة الانثي الي الذكر والزوج الي الزوج قالوا ولما اشتاقت النفس الي كمال العقل احتاجت الي حركة من النقص الي الكمال واحتاجت الحركة الي الة الحركة فحدثت الافلاك السماوية وتحركت حركة دورية بتدبير النفس وحدثت الطبائع البسيطة بعدها وتحركت حركة استقامة بتدبير النفس ايضاً فتركبت المركبات من المعادن والنبات والحيوان والانسان واتصلت النفوس الجزوية بالابدان وكان نوع الانسان متميزاً عن سائر الموجودات بالاستعداد الخاص لفيض تلك الانوار وكان عالمه في مقابلة العالم كله وفي العالم العلوي عقل ونفس كلي وجب ان يكون في هذا العالم عقل مشخص هو كل وحكمه حكم الشخص الكامل البالغ ويسمونه الناطق وهو النبي ونفس مشخصة هو كل ايضاً وحكمها حكم الطفل الناقص المتوجه الي الكمال او حكم النطفة المتوجهة الي التمام او حكم الانثي المزدوج بالذكر ويسمونه الاساس وهو الوصي قالوا وكما تحركت الافلاك بتحريك النفس والعقل والطبائع كذلك تحركت النفوس والاشخاص بالشرائع بتحريك النبي والوصي في كل زمان دائراً علي سبعة سبعة حتي ينتهي الي الدور الاخير ويدخل زمان القيامة وترتفع التكاليف وتضمحل السنن والشرائع وانما هذه المحركات الفلكية والسنن الشرعية لتبلغ النفس الي حال كمالها وكمالها بلوغها الي درجة العقل واتحادها به ووصولها الي مرتبته فعلاً وذلك هو القيامة الكبري فتنحل تراكيب الافلاك والعناصر والمركبات وينشق السماء وتتناثر

Digitized by Google

الكوكب وتبدل الارض غير الارض وتطوي السماوات كطي السجل للكتاب المرقوم فيه ويحاسب الخلق ويتميّز الخير عن الشر والمطيع عن العاصي ويتّصل جزئيات الحق بالنفس الكل وجزئيات الباطل بالشيطان المبطل فمن وقت الحركة الي السكون هو المبدأ ومن وقت السكون الي ما لا نهاية له هو الكمال ثم قالوا ما من فريضة وسنة وحكم من احكام الشرع من بيع واجارة وهبة ونكاح وطلاق وجراح وقصاص ودية الا وله وزان من العالم عدداً في مقابلة عدد وحكماً في مطابقة حكم فان الشرائع عوالم روحانية امرية والعوالم شرائع جسمانية خلقية وكذلك التركيبات في الحروف والكلمات علي وزان تركيبات الصور والاجسام والحروف المفردة نسبتها الي المركبات من الكلمات كالبسائط المجردة الي المركبات من الاجسام ولكل حرف وزان في العالم وطبيعة يخصّها وتاثير من حيث تلك الخاصية في النفوس فعن هذا صارت العلوم المستفادة من الكلمات التعليمية غذاء للنفوس كما صارت الاغذية المستفادة من الطبائع الخلقية غذاء للابدان وقد قدر الله تعالي ان يكون غذاء كل موجود ممّا خلقه منه فعلي هذا الوزان صاروا الي ذكر اعداد الكلمات والايات وان التسمية مركبة من سبعة واثني عشر وان التهليل مركب من اربع كلمات في احدي الشهادتين وثلث كلمات في الشهادة الثانية وسبع قطع في الاولي وست في الثانية واثنا عشر حرفاً في الثانية وكذلك في كل اية امكنهم استخراج ذلك ممّا لا يعمل العاقل فكرته فيه الا ويعجز عن ذلك خوفاً عن مقابلته بضدّه وهذه المقابلات كانت طريقة اسلافهم قد صنفوا فيها كتباً ودعوا الناس الي امام في كل زمان يعرف موازنات هذه العلوم ويهتدي الي مدارج هذه الاوضاع والرسوم ثم

Digitized by Google

اصحاب الدعوة الجديدة تنكّبوا هذه الطريقة حين اظهر الحسن ابن الصباح دعوته وقصر عن الالزامات كلمته واستظهر بالرجال وتحصّن بالقلاع وكان بدؤ صعوده الي قلعة الموت في شعبان سنة ثلث وثمانين واربع ماية وذلك بعد ان هاجر الي بلاد امامه وتلقّي منه كيفية الدعوة لابناء زمانه فعاد ودعي الناس اول دعوة الي تعيين امام صادق قائم في كل زمان وتمييز الفرقة الناجية من سائر الفرق بهذه النكتة وهو ان لهم اماماً وليس لغيرهم امام وانما يعود خلاصة كلامه بعد ترديد القول فيه عودًا علي بدوٍ بالعربية والعجمية الي هذا الحرف ونحن ننقل ما كتبه بالعجمية الي العربية ولا معاب علي الناقل والموفق من اتّبع الحق واجتنب الباطل والله الموفق والمعين فنبدأ بالفصول الاربعة التي ابتدأ الدعوة بها وكتبها عجمية فعرّبتُها قال للمفتي في معرفة الباري تعالي احد قولين اما ان يقول اعرف الباري تعالي بمجرد العقل والنظر من غير احتياج الي تعليم معلم واما ان يقول لا طريق الي المعرفة مع العقل والنظر الا بتعليم معلم صادق قال ومن افتي بالاول فليس له الانكار علي عقل غيره ونظره فانه متي انكر فقد علم والانكار تعليم ودليل علي ان المنكر عليه يحتاج الي غيره قال والقسمان ضروريان فان الانسان اذا افتي بفتوي او قال قولًا فاما ان يقول من نفسه او من غيره وكذلك اذا اعتقد عقداً فاما ان يعتقده من نفسه او من غيره هذا هو الفصل الاول وهو كسر علي اصحاب الراي والعقل وذكر في الفصل الثاني انه اذا ثبت الاحتياج الي معلم افيصلح كل معلم علي الاطلاق ام لا بد من معلم صادق قال ومن قال انه يصلح كل معلم ما ساغ له الانكار علي معلم خصمه واذا انكر فقد سلم انه لا بد من معلم معتمد صادق قيل وهذا كسر علي اصحاب

Digitized by Google

الحديث وذكر في الفصل الثالث انه اذا ثبت الاحتياج الي معلم صادق افلا بد من معرفة المعلم اولاً والظفر به ثم التعلم منه ام جاز التعلم من كل معلم من غير تعيين شخصه وتبيين صدقه والثاني رجوع الي الاول ومن لم يمكنه سلوك الطريق الا بمقدم ورفيق فالرفيق ثم الطريق وهوكسر علي الشيعة وذكر في الفصل الرابع ان الناس فرقتان فرقة قالت يحتاج في معرفة الباري تعالي الي معلم صادق ويجب تعيينه وتشخيصه اولاً ثم التعلم منه وفرقة اخذت في كل علم من معلم وغير معلم وقد تبين بالمقدمات السابقة ان الحق مع الفرقة الاولي فراسهم يجب ان يكون راس المحققين واذا تبيّن ان الباطل مع الفرقة الثانية فروسأوهم يجب ان يكونوا روساء المبطلين قال وهذه الطريقة التي عرفتنا المحق بالحق معرفة مجملة ثم نعرف بعد ذلك الحق بالمحق معرفة مفصلة حتي لا يلزم دوران المسائل وانما عني بالحق هاهنا الاحتياج وبالمحق المحتاج اليه وقال بالاحتياج عرفنا الامام وبالامام عرفنا مقادير الاحتياج كما بالجواز عرفنا الوجوب اي واجب الوجود وبه عرفنا مقادير الجواز في الجائزات قال والطريق الي التوحيد كذلك حذو القذة بالقذة ثم ذكر فصولاً في تقرير مذهبه اما تمهيداً واما كسراً علي المذاهب واكثرها كسر والزام واستدلال بالاختلاف علي البطلان وبالاتفاق علي الحق منها فصل الحق والباطل والصغير والكبير يذكر ان في العالم حقاً وباطلاً ثم يذكر ان علامة الحق هي الوحدة وعلامة الباطل هي الكثرة وان الوحدة مع التعليم والكثرة مع الراي والتعليم مع الجماعة والجماعة مع الامام والراي مع الفرق المختلفة وهي مع روسائهم وجعل الحق والباطل والتشابه بينهما من وجه والتمايز بينهما من وجه التضادّ في الطرفين والترتب في احد

Digitized by Google

الطرفين ميزاناً يزن به جميع ما يتكلم فيه قال وانما انشأت هذا الميزان من كلمة الشهادة وتركيبها من النفي والاثبات او النفي والاستثناء قال فما هو مستحق النفي باطل وما هو مستحق الاثبات حق ووزن بذلك الخير والشر والصدق والكذب وسائر المتضادّات ونكتته انه يرجع في كل مقالة وكلمة الي اثبات المعلم وان التوحيد هو التوحيد والنبوة معاً حتي يكون توحيداً وان النبوة هي النبوة والامامة معاً حتي يكون نبوة وهذا هو منتهي كلامه وقد منع العوام عن الخوض في المعلوم وكذلك الخواص عن مطالعة الكتب المتقدمة الا من عرف كيفية الحال في كل كتاب ودرجة الرجال في كل علم ولم يتعدّ باصحابه في الالهيات عن قوله ان الهنا اله محمد قال انا وانتم تقولون الهنا اله العقول اي ما هدي اليه عقل كل عاقل فان قيل لواحد منهم ما تقول في الباري تعالي وانه هل هو وانه واحد ام كثير عالم قادر ام لا لم يُجب الا بهذا القدر ان الهي اله محمد وهو الذي ارسل رسوله بالهدي والرسول هو الهادي اليه وكم قد ناظرت القوم علي المقدمات المذكورة فلم يتخطّوا عن قولهم افتحتاج اليك او نسمع هذا منك او نتعلم عنك وكم قد ساهلت القوم في الاحتياج وقلت اين المحتاج اليه وايش يقدر لي في الالهيات وما ذا يرسم في المعقولات اذ المعلم لا يعني لعينه وانما يعني ليعلّم وقد سددتم باب العلم وفتحتم باب التسليم والتقليد وليس يرضي عاقل بان يعتقد مذهبًا علي غير بصيرة وان يسلك طريقًا من غير بينة فكانت مبادي الكلام تحكيمات وعواقبها تسليمات فلا وربّك لا يومنون حتي يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجًا ممّا قضيت ويسلموا تسليمًا

Digitized by Google

اهل الفروع المختلفون في الاحكام الشرعية والمسائل الاجتهادية اعلم ان اصول الاجتهاد واركانه اربعة وربما تعود الي اثنين الكتاب والسنة والاجماع والقياس وانما تلقّوا صحة هذه الاركان وانحصارها من اجماع الصحابة وتلقّوا اصل الاجتهاد والقياس وجوازه منهم ايضاً فان العلم بالتواتر قد حصل انهم اذا وقعت لهم حادثة شرعية من حلال او حرام فزعوا الي الاجتهاد وابتدؤا بكتاب الله تعالي فان وجدوا فيه نصاً او ظاهراً تمسكوا به واجروا حكم الحادثة علي مقتضاه وان لم يجدوا فيه نصاً فزعوا الي السنة فان روي لهم في ذلك خبر اخذوا به ونزلوا علي حكمه وان لم يجدوا الخبر فزعوا الي الاجتهاد فكانت الاركان الاجتهادية عندهم اثنين او ثلثة ولنا بعدهم اربعة اذ وجب علينا الاخذ بمقتضي اجماعهم واتفاقهم والجري علي مناهج اجتهادهم وربما كان اجماعهم علي حادثة اجماعاً اجتهادياً وربما كان اجماعاً مطلقاً لم يصرح فيه بالاجتهاد وعلي الوجهين جميعاً فالاجماع حجة شرعية لاجماعهم علي التمسك بالاجماع ونحن نعلم ان الصحابة الذين هم الائمة الراشدون لا يجتمعون علي ضلال وقد قال النبي صلي الله عليه وسلم لا يجتمع امّتي علي الضلالة ولكن الاجماع لا يخلوا عن نص خفي او جلي قد اختصّه لانا علي القطع نعلم ان الصدر الاول لا يجمعون علي امر الا عن ثبت وتوقيف فاما ان يكون ذلك النص في نفس الحادثة قد اتّفقوا علي حكمها من غير بيان ما يستند اليه حكمها واما ان يكون النص في ان الاجماع حجة ومخالفة الاجماع بدعة وبالجملة مستند الاجماع نص خفي او جلي لا محالة والا فيودّي الي اثبات الاحكام المرسلة ومستند الاجتهاد والقياس هو الاجماع وهو ايضاً مستند الي نص مخصوص في جواز الاجتهاد فرجعت الاصول الاربعة في

Digitized by Google

الحقيقة الي اثنين وربما يرجع الي واحد وهو قول الله تعالي وبالجملة نعلم قطعاً ويقيناً ان الحوادث والوقائع في العبادات والتصرفات ممّا لا يقبل الحصر والعدّ ونعلم قطعاً ايضاً انه لم يرد في كل حادثة نص ولا يتصور ذلك ايضاً والنصوص اذا كانت متناهية والوقائع غير متناهية وما لا يتناهي لا يضبطه ما يتناهي عُلم قطعاً ان الاجتهاد والقياس واجب الاعتبار حتي يكون بصدد كل حادثة اجتهاد ثم لا يجوز ان يكون الاجتهاد مرسلاً خارجاً عن ضبط الشرع فان القياس المرسل شرع اخر واثبات حكم من غير مستند وضع اخر والشارع هو الواضع للاحكام فيجب علي المجتهد ان لا يعدوا في اجتهاده عن هذه الاركان وشرائط الاجتهاد خمسة معرفة صدر صالح من اللغة بحيث يمكنه فهم لغات العرب والتمييز بين الالفاظ الوضعية والمستعارة والنص والظاهر والعام والخاص والمطلق والمقيّد والمجمل والمفصّل وفحوي الخطاب ومفهوم الكلام وما يدل علي مفهومه بالمطابقة وما يدل بالتضمن وما يدل بالاستتباع فان هذه المعرفة كالالة التي بها يحصل الشي ومن لم يحكم الالة والاداة لم يصل الي تمام الصنعة ثم معرفة تفسير القران خصوصاً ما يتعلق بالاحكام وما ورد من الاخبار في معاني الايات وما راي من الصحابة المعتبرين كيف سلكوا مناهجها واي معني فهموا من مدارجها ولو جهل تفسير سائر الايات التي تتعلق بالمواعظ والقصص قيل لم يضرّه ذلك في الاجتهاد فان من الصحابة من كان لا يدري تلك المواعظ ولم يتعلم بعد جميع القران وكان من اهل الاجتهاد ثم معرفة الاخبار بمتونها واسانيدها والاحاطة باحوال النقلة والرواة عدولها وثقاتها ومطعونها ومردودها والاحاطة بالوقائع الخاصّة فيها وما هو عامّ ورد في حادثة خاصّة وما هو خاصّ عُمّم في الكل حكمه

ثم الفرق بين الواجب والندب والاباحة والحظر والكراهة حتي لا يشذّ عنه وجه من هذه الوجوه ولا يختلط عليه باب بباب ثم معرفة مواقع اجماع الصحابة والتابعين من السلف الصالحين حتي لا يقع اجتهاده في مخالفة الاجماع ثم التهدي الي مواضع الاقيسة وكيفية النظر والتردد فيها من طلب اصل اولاً ثم طلب معني مخيّل يستنبط منه فيعلق الحكم عليه او شبه مغلب علي الظن فيلحق الحكم به فهذه خمس شرائط لا بد من اعتبارها حتي يكون المجتهد مجتهداً واجب الاتّباع والتقليد في حق العامّي والا فكل حكم لم يستند الي قياس واجتهاد مثل ما ذكرنا فهو مرسل مهمل قالوا فاذا حصّل المجتهد هذه المعارف ساغ له الاجتهاد ويكون الحكم الذي ادّي اليه اجتهاده سائغاً في الشرع ووجب علي العامّي تقليده والاخذ بفتواه وقد استفاض الخبر عن النبي صلي الله عليه وسلم انه لما بعث معاذاً الي اليمن قال يا معاذ بِمَ تحكم قال بكتاب الله قال فان لم تجد قال فبسنّة رسول الله قال فان لم تجد قال اجتهد راي قال النبي صلي الله عليه وسلم الحمد لله الذي وفق رسول رسوله لما يرضاه وقد روي عن امير المومنين علي بن ابي طالب عليه السلم انه قال بعثني رسول الله صلي الله عليه وسلم قاضياً الي اليمن قلت يا رسول الله كيف اقضي بين الناس وانا حديث السن فضرب رسول الله بيده صدري وقال اللهم اهدِ قلبه وثبّت لسانه فما شككت بعد ذلك في قضاء بين اثنين ثم اختلف اهل الاصول في تصويب المجتهدين في الاصول والفروع فعامّة اهل الاصول علي ان الناظر في المسائل الاصولية والاحكام العقلية اليقينية القطعية يجب ان يكون متعيّن الاصابة فالمصيب فيها واحد بعينه ولا يجوز ان يختلف المختلفان في حكم عقلي

Digitized by Google

حقيقة الاختلاف بالنفي والاثبات علي شرط التقابل المذكور بحيث ينفي احدهما ما يثبته الاخر بعينه من الوجه الذي يثبته في الوقت الذي يثبته الا وان يقتسما الصدق والكذب والحق والباطل سواء كان الاختلاف بين اهل الاصول في الاسلام او بين اهل الملل والنحل الخارجة عن الاسلام فان المختلف فيه لا يحتمل توارد الصدق والكذب والصواب والخطاء عليه في حالة واحدة وهو مثل قول احد المخبرين زيد في هذه الدار في هذه الساعة وقول الثاني ليس زيد في هذه الدار في هذه الساعة فانا نعلم قطعاً ان احد المخبرين صادق والثاني كاذب لان المخبر عنه لا يحتمل اجتماع الحالتين فيه معاً فيكون زيد في الدار ولا يكون في الدار لعمري قد يختلف المختلفان في مسئلة ويكون محل الاختلاف مشتركاً وشرط تقابل القضيتين فاقداً فحينئذ يمكن ان يصوّب المتنازعان ويرتفع النزاع بينهما برفع الاشتراك او يعود النزاع الي احد الطرفين مثال ذلك المختلفان في مسئلة الكلام ليسا يتواردان علي معني واحد بالنفي والاثبات فان الذي قال هو مخلوق اراد به ان الكلام هو الحروف والاصوات في اللسان والرقوم والكلمات في الكتبة قال وهذا مخلوق والذي قال ليس بمخلوق لم يرد به الحروف والرقوم وانما اراد معني اخر فلم يتوارد بالتنازع في الخلق علي معني واحد وكذلك في مسئلة الرؤية فان النافي قال الرؤية اتّصال شعاع بالمرئي وهو لا يجوز في حق الباري تعالي والمثبت قال الرؤية ادراك او علم مخصوص ويجوز تعلقه بالباري تعالي فلم يتوارد النفي والاثبات علي معني واحد الا اذا رجع الكلام الي اثبات حقيقة الرؤية فيتّفقان اولاً علي انها ما هي ثم يتكلمان نفياً واثباتاً وكذلك في مسئلة الكلام يرجعان الي اثبات ماهية الكلام ثم يتكلمان

Digitized by Google

نفياً واثباتاً والا فيمكن ان يصدق القضيتان وقد صار ابوالحسن العنبري الي ان كل مجتهد ناظر في الاصول مصيب لانه ادي ما كلف من المبالغة في تسديد النظر والمنظور فيه وان كان متعيّناً نفياً واثباتاً الا انه اصاب من وجه وانما ذكر هذا في الاسلاميين من الفرق واما الخارجون عن الملة فقد تقررت النصوص والاجماع علي كفرهم وخطائهم وكان سياق مذهبهم يقتضي تصويب كل ناظر مجتهد علي الاطلاق الا ان النصوص والاجماع صدّته عن تصويب كل ناظر وتصديق كل قائل وللاصوليين خلاف في تكفير اهل الاهواء مع قطعهم بان المصيب واحد بعينه لان التكفير حكم شرعي والتصويب حكم عقلي فمن مبالغ متعصب لمذهبه كفّر وضلل مخالفه ومن مساهل متالف لم يكفر ومن كفر قرّب كل مذهب ومقالة بمقالة واحد من اهل الاهواء والملل كتقريب القدرية بالمجوس وتقريب المشبهة باليهود والرافضة بالنصاري فاجري حكم هولاء فيهم من المناكحة واكل الذبيحة ومن ساهل ولم يكفر قضي بالتضليل وحكم بانهم هلكي في الاخرة واختلفوا في اللعن علي حسب اختلافهم في التفكير والتضليل وكذلك من خرج علي الامام الحق بغياً وعدواناً فان كان صدر خروجه عن تاويل واجتهاد سُمّي باغياً مخطئاً ثم البغي هل يوجب اللعن فعند اهل السنة اذ لم يخرج بالبغي عن الايمان لم يستوجب اللعن وعند المعتزلة يستحق اللعن بحكم فسقه والفاسق خارج عن الايمان وان كان صدر خروجه عن البغي والحسد والمروق عن اجماع المسلمين استحق اللعن باللسان والقتل بالسيف والسنان واما المجتهدون في الفروع فاختلفوا في الاحكام الشرعية من الحلال والحرام ومواقع الاختلاف مظانّ غلبات الظنون بحيث يمكن تصويب كل مجتهد فيها وانما

Digitized by Google

يبتني ذلك علي اصل وهو انا نبحث هل لله تعالي حكم في كل حادثة ام لا فمن الاصوليين من صار الي ان لا حكم لله تعالي في الوقائع المجتهد فيها حكمًا بعينه قبل الاجتهاد من جواز وحظر وحلال وحرام وانما حكمه تعالي ما ادّي اليه اجتهاد المجتهد فان هذا الحكم منوط بهذا السبب فما لم يوجد السبب لم يثبت الحكم خصوصًا علي مذهب من قال ان الجواز والحظر لا يرجعان الي صفات في الذات وانما هي راجعة الي اقوال الشارع افعل لا تفعل وعلي هذا المذهب كل مجتهد مصيب في الحكم ومن الاصوليين من صار الي ان لله تعالي في كل حادثة حكمًا بعينه قبل الاجتهاد من جواز وحظر بل وفي كل حركة يتحرّك بها الانسان حكم تكليف من تحليل وتحريم وانما يرتاده المجتهد بالطلب والاجتهاد اذ الطلب لا بد له من مطلوب والاجتهاد يجب ان يكون في شي الي شي فالطلب المرسل لا يعقل ولهذا يتردد المجتهد بين النصوص والظواهر والعمومات وبين المسائل المجمع عليها فيطلب الرابطة المعنوية او التقريب من حيث الاحكام والصور حتي يثبت في المجتهد فيه مثل ما تلقّاه في المتّفق عليه ولو لم يكن له مطلوب معيّن كيف يصحّ منه الطلب علي هذا الوجه فعلي هذا المذهب المصيب واحد من المجتهدين في الحكم المطلوب وان كان الثاني معذورًا نوع عذر اذ لم يقصّر في الاجتهاد ثم هل يتعيّن المصيب ام لا فاكثرهم علي انه لا يتعيّن فالمصيب واحد لا بعينه ومن الاصوليين من فصّل الامر فيه فقال يُنظر في المجتهد فيه ان كان مخالفة النص ظاهرة في احد المجتهدين فهو المخطئ بعينه خطاء لا يبلغ تضليلاً والمتمسك بالخبر الصحيح والنص الظاهر مصيب بعينه وان لم يكن مخالفة النص

Digitized by Google

ظاهرة فلم يكن مخطيئًا بعينه بل كل واحد منهما مصيب في اجتهاده واحدهما مصيب في الحكم لا بعينه هذه جملة كافية في احكام المجتهدين في الاصول والفروع والمسئلة مشكلة والقضية معضلة ثم الاجتهاد من فروض الكفايات لا من فروض الاعيان حتي اذا استقل بتحصيله واحد سقط الفرض عن الجميع وان قصّر فيه اهل عصر عصوا بتركه واشرفوا علي خطر عظيم فان الاحكام الاجتهادية اذا كانت مرتبة علي الاجتهاد ترتيب المسبب علي السبب ولم يوجد السبب كانت الاحكام عاطلة والاراء كلها فائلة فلا بد اذاً من مجتهد واذا اجتهد المجتهدان وادّي اجتهاد كل واحد منهما الي خلاف ما ادّي اليه اجتهاد الاخر فلا يجوز لاحدهما تقليد الاخر وكذلك اذا اجتهد مجتهد واحد في حادثة وادّي اجتهاده الي جواز او حظر ثم حدثت تلك الحادثة بعينها في وقت اخر فلا يجوز له ان ياخذ باجتهاده الاول اذ يجوز ان يبدوا له في الاجتهاد الثاني ما اغفله في الاول واما العامّي فيجب عليه تقليد المجتهد وانما مذهبه فيما يسأله مذهب من يسأله عنه هذا هو الاصل الا ان علماء الفريقين لم يجوّزوا ان ياخذ العامّي الحنفي الا بمذهب ابي حنيفة والعامّي الشفعوي الا بمذهب الشافعي لان الحكم بان لا مذهب للعامّي وان مذهبه مذهب المفتي يؤدّي الي خلط وخبط فلهذا لم يجوّزوا ذلك واذا كان مجتهدان في بلد اجتهد العامّي فيهما حتي يختار الافضل و الاورع وياخذ بفتواه واذا افتي المفتي علي مذهبه وحكم به قاضٍ من القضاة علي مقتضي فتواه ثبت الحكم علي المذاهب كلها وكان القضاء اذا اتّصل بالفتوي الزم الحكم كالقبض مثلاً اذا اتّصل بالعقد ثم العامّي باي شي يعرف ان العالم قد وصل الي حدّ الاجتهاد وكذلك

Digitized by Google

المجتهد نفسه متي يعرف انه قد استكمل شرائط الاجتهاد ففيه نظر ومن اصحاب الظاهر مثل داود الاصفهاني وغيره ممّن لم يجوّز القياس والاجتهاد في الاحكام وقال الاصول هو الكتاب والسنة والاجماع فقط ومنع ان يكون القياس اصلًا من الاصول وقال اول من قاس ابليس وظنّ ان القياس امر خارج عن مضمون الكتاب والسنة ولم يدر انه طلب حكم الشرع من مناهج الشرع ولم ينضبط قط شريعة من الشرائع الا باقتران الاجتهاد به لان من ضرورة الانتشار في العالم الحكم بان الاجتهاد معتبر وقد راينا الصحابة كيف اجتهدوا وكم قاسوا خصوصاً في مسائل الميراث من توريث الاخوة مع الجدّ وكيفية توريث الكلالة وذلك مما لا يخفي علي المتدبر لاحوالهم ثم المجتهدون من ائمة الامة محصورون في صنفين لا يعدوان الي ثالث اصحاب الحديث واصحاب الراي اصحاب الحديث وهم اهل الحجاز هم اصحاب مالك بن انس واصحاب محمد بن ادريس الشافعي واصحاب سفيان الثوري واصحاب احمد بن حنبل واصحاب داود بن علي بن محمد الاصفهاني وانما سمّوا اصحاب الحديث لان عنايتهم بتحصيل الاحاديث ونقل الاخبار وبناء الاحكام علي النصوص ولا يرجعون الي القياس الجلي والخفي ما وجدوا خبراً او اثراً وقد قال الشافعي رضي الله عنه اذا وجدتم لي مذهباً ووجدتم خبراً علي خلاف مذهبي فاعلموا ان مذهبي ذلك الخبر ومن اصحابه ابو ابرهيم اسمعيل بن يحيي المزني والربيع بن سليمان الجيزي وحرملة بن يحيي التجيبي والربيع المرادي وابو يعقوب البويطي والحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم المصري وابو ثور ابرهيم بن خالد الكلبي وهم لا يزيدون علي اجتهاده اجتهاداً بل يتصرفون

Digitized by Google

فيما نقل عنه توجيهاً واستنباطاً ويصدرون عن رايه جملة ولا يخالفونه بتة

اصحاب الراي وهم اهل العراق هم اصحاب ابي حنيفة النعمان بن ثابت ومن اصحابه محمد بن الحسن و ابو يوسف يعقوب بن محمد القاضي وزفر بن هذيل والحسن بن زياد اللؤلؤي وابن سماعة وعافية القاضي وابو مطيع البلخي وبشر المريسي وانما سمّوا اصحاب الراي لان عنايتهم بتحصيل وجه من القياس والمعني المستنبط من الاحكام وبناء الحوادث عليها وربما يقدّمون القياس الجلي علي احاد الاخبار وقد قال ابو حنيفة رحمه الله علمنا هذا راي وهو احسن ما قدرنا عليه فمن قدر علي غير ذلك فله ما راي ولنا ما راينا وهولاء ربما يزيدون علي اجتهاده اجتهاداً ويخالفونه في الحكم الاجتهادي والمسائل التي خالفوه فيها معروفة وبين الفريقين اختلافات كثيرة في الفروع ولهم فيها تصانيف وعليها مناظرات وقد بلغت النهاية في مناهج الظنون حتي كانهم اشرفوا علي القطع واليقين وليس يلزم بذلك تكفير ولا تضليل بل كل مجتهد مصيب كما ذكرنا

الخارجون عن الملة الحنيفية والشريعة الاسلامية ممّن يقول بشريعة واحكام وحدود واعلام وهم قد انقسموا الي من له كتاب محقق مثل التورية والانجيل وعن هذا يخاطبهم التنزيل يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ والي من له شبهة كتاب مثل المجوس والمانوية فان الصحف التي انزلت علي ابرهيم عليه السلم قد رفعت الي السماء لاحداث احدثها المجوس ولهذا يجوز عقد العهد والذمام معهم ونتجي بهم نحو اليهود والنصاري اذ هم من اهل الكتاب ولكن لا يجوز مناكحتهم ولا اكل ذبائحهم فان الكتاب قد رفع عنهم فنحن نقدّم ذكر اهل الكتاب لتقدّمهم بالكتاب ونؤخر ذكر من له شبهة كتاب

Digitized by Google

اهل الكتاب الفرقتان المتقابلتان قبل المبعث هم اهل الكتاب والاميون والامي من لا يعرف الكتبة فكانت اليهود والنصاري بالمدينة والاميون بمكة واهل الكتاب كانوا ينصرون دين الاسباط ويذهبون مذهب بني اسرائيل والاميون كانوا ينصرون دين القبائل ويذهبون مذهب بني اسمعيل ولما انشعب النور الوارد من ادم عليه السلم الي ابرهيم ثم الصادر عنه علي شعبين شعب في بني اسرائيل وشعب في بني اسمعيل وكان النور المنحدر منه الي بني اسرائيل ظاهراً والنور المنحدر منه الي بني اسمعيل مخفيًا كان يستدلّ علي النور الظاهر بظهور الاشخاص واظهار النبوة في شخصٍ شخصٍ ويستدل علي النور المخفي بابانة المناسك والعلامات وستر الحال في الاشخاص وقبلة الفرقة الاولي بيت المقدس وقبلة الفرقة الثانية بيت الله الحرام وشريعة الاولي ظواهر الاحكام وشريعة الثانية رعاية المشاعر الحرام وخصماء الفريق الاول الكافرون مثل فرعون وهامان وخصماء الفريق الثاني المشركون مثل عبدة الاصنام والاوثان فتقابل الفريقان وصحّ التقسيم بهذين المتقابلين

اليهود والنصاري هاتان الامتان من كبار امم اهل الكتاب والامة اليهودية اكبر لان الشريعة كانت لموسي عليه السلم وجميع بني اسرائيل كانوا متعبّدين بذلك مكلّفين بالتزام احكام التورية والانجيل النازل علي المسيح عليه السلم لم يختص احكاماً ولا استبطن حلالاً وحراماً ولكنه رموز وامثال ومواعظ ومزاجر وما سواها من الشرائع والاحكام فمحالة علي التورية كما سنبيّن فكانت اليهود لهذه القضية لم ينقادوا لعيسي عليه السلم وادّعوا عليه انه كان مامورًا بمتابعة موسي وموافقة التورية فغيّر وبدّل وعدّوا عليه تلك التغييرات منها تغيير السبت الي الاحد

Digitized by Google

ومنها تحريم اكل الخنزير وكان حراماً في التورية ومنها الختان والغسل وغير ذلك والمسلمون قد بيّنوا ان الامتين قد بدّلوا وحرّفوا والا فعيسي كان مقرراً لما جاء به موسي عليه السلم وكلاهما مبشّران بمقدم نبينا نبي الرحمة صلوات الله عليهم اجمعين وقد امرهم ائمتهم وانبياؤهم وكتابهم بذلك وانما بني اسلافهم الحصون والقلاع بقرب المدينة لنصرة رسول اخر الزمان فامروهم بمهاجرة اوطانهم بالشام الي تلك القلاع والبقاع حتي اذا ظهر وعلن الحق بفاران وهاجر الي دار هجرته يثرب نصروه وعاونوه وذلك قوله تعالي وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَي ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَآءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَي ٱلْكَافِرِينَ وانما الخلاف بين اليهود والنصاري ما كان يرتفع الا بحكمة اذ كانت اليهود تقول لَيْسَتِ ٱلنَّصَارَيٰ عَلَي شَيْءٍ وكانت النصاري تقول لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَي شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَابَ وكان النبي عليه السلم يقول لَسْتُمْ عَلَي شَيْءٍ حَتَّي تُقِيمُوا ٱلتَّوْرَاةَ وَٱلْإِنْجِيلَ وما كان يمكنهم اقامتهما الا باقامة القران وتحكيم نبي الرحمة رسول اخر الزمان فلما ابوا ذلك ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُا بِغَضَبٍ مِنَ ٱللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ ٱللَّهِ

اليهود خاصة هاد الرجل اي رجع وتاب وانما لزمهم هذا الاسم لقول موسي عليه السلم انا هدنا اليك اي رجعنا وتضرّعنا وهم امة موسي وكتابهم التورية وهو اول كتاب نزل من السماء اعني ان ما كان نزل علي ابرهيم وغيره من الانبياء ما كان يسمّي كتاباً بل صحفاً وقد ورد في الخبر عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالي خلق ادم بيده وخلق جنّة عدن بيده وكتب التورية بيده فاثبت لها اختصاصاً اخر سوي سائر الكتب وقد اشتمل ذلك علي اسفار

فيذكر مبتداء الخلق في السفر الاول ثم يذكر الاحكام والحدود والاحوال والقصص والمواعظ والاذكار في سفرٍ سفرٍ واُنزل عليه ايضاً الالواح علي شبه مختصر ما في التورية يشتمل علي الاقسام العلمية والعملية قال عزّ ذكره وَكَتَبْنَا لَهُ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً اشارة الي تمام القسم العلمي وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ اشارة الي تمام القسم العملي قالوا كان موسي قد افضي باسرار التورية والالواح الي يوشع بن نون وصيّه من بعده ليفضي الي اولاد هرون لان الامر كان مشتركاً بينه وبين اخيه هرون اذ قال واشركه في امري وكان هو الوصي فلما مات هرون في حال حيوته انتقلت الوصاية الي يوشع بن نون وديعة فليوصلها الي شبير وشبر ابني هرون قراراً وذلك ان الوصية والامامة بعضها مستقرّ وبعضها مستودع واليهود تدّعي ان الشريعة لا تكون الا واحدة وهي ابتدأت بموسي وتمّت به فلم يكن قبله شريعة الا حدود عقلية واحكام مصلحية ولم يجيزوا النسخ اصلاً قالوا فلا يكون بعده شريعة اخري لان النسخ في الاوامر بداء ولا يجوز البداء علي الله ومسائلهم تدور علي جواز النسخ ومنعه وعلي التشبيه ونفيه والقول بالقدر والجبر وتجويز الرجعة واحالتها اما النسخ فكما ذكرنا واما التشبيه فلانهم وجدوا التورية ملئي من المتشابهات مثل الصورة والمشافهة والتكلم جهراً والنزول علي طور سينا انتقالاً والاستواء علي العرش استقراراً وجواز الروية فوقاً وغير ذلك واما القول بالقدر فهم مختلفون فيه حسب اختلاف الفريقين في الاسلام فالربانيون منهم كالمعتزلة فينا والقراءون كالمجبّرة والمشبهة واما جواز الرجعة فانما وقع لهم من امرين احدهما حديث عزير اذ اماته الله ماية عام ثم بعثه والثاني حديث هرون عليه السلم اذ مات في التيه وقد نسبوا موسي الي قتله قالوا حسده لان

Digitized by Google

اليهود كانت اليه اميل منهم الي موسي واختلفوا في حال موته فمنهم من قال مات وسيرجع ومنهم من قال غاب وسيرجع واعلم ان التورية قد اشتملت باسرها علي دلالات وايات تدل علي كون شريعة المصطفي عليه السلم حقًا وكون صاحب الشريعة صادقًا بله ما حرّفوه وغيّروه وبدّلوه اما تحريفًا من حيث الكتبة والصورة واما تحريفًا من حيث التفسير والتاويل واظهرها ذكره ابرهيم عليه السلم وابنه اسمعيل ودعاؤه في حقّه وفي ذريته واجابة الرب تعالي اياه اني باركت علي اسمعيل واولاده وجعلت فيهم الخير كله وساظهرهم علي الامم كلها وسابعث فيهم رسولًا منهم يتلوا عليهم اياتي واليهود معترفون بهذه القصة الا انهم يقولون اجابه بالملك دون النبوة والرسالة وقد الزمتهم ان الملك الذي سلمتم اهو ملك بعدل وحق ام لا فان لم يكن بعدل وحق فكيف يمنّ علي ابرهيم بملك في اولاده هو جور وظلم وان سلمتم العدل والصدق من حيث الملك فالملك يجب ان يكون صادقًا علي الله تعالي فيما يدّعيه ويقوله وكيف يكون الكاذب علي الله تعالي صاحب عدل وحق اذ لا ظلم اشدّ من الكذب علي الله تعالي ففي تكذيبه تجويزه وفي التجويز رفع المنة بالنعمة وذلك خلف ومن العجب ان في التورية ان الاسباط من بني اسرائيل كانوا يراجعون القبائل من بني اسمعيل ويعلمون ان في ذلك الشعب علمًا لدنيًا لم يشتمل التورية عليه وورد في التواريخ ان اولاد اسمعيل كانوا يسمّون ال الله واهل الله واولاد اسرائيل ال يعقوب وال موسي وال هرون وذلك كسر عظيم وقد ورد في التورية ان الله تعالي جاء من طور سينا وظهر بساعير وعلن بفاران وساعير جبال بيت المقدس الذي كان مظهر عيسي عليه السلم

Digitized by Google

وفاران جبال مكة الذي كانت مظهر المصطفي صلي الله عليه وسلم ولما كانت الاسرار الالهية والانوار الربانية في الوحي والتنزيل والمناجاة والتاويل علي مراتب ثلث مبدأ ووسط وكمال والمجيء اشبه بالمبدأ والظهور بالوسط والاعلان بالكمال عبّر التورية عن طلوع صبح الشريعة والتنزيل بالمجيء علي طور سينا وعن طلوع الشمس بالظهور علي ساعير وعن البلوغ الي درجة الكمال والاستواء بالاعلان علي فاران وفي هذه الكلمة اثبات نبوة المسيح والمصطفي عليهما السلم وقد قال المسيح في الانجيل ما جئت لابطل التورية بل جئت لاكمّلها قال صاحب التورية النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والجروح قصاص واقول اذا لطمك اخوك علي خدّك الايمن فضع له خدّك الايسر والشريعة الاخيرة وردت بالامرين جميعًا اما القصاص ففي قوله تعالي كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ واما العفو ففي قوله تعالي وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ففي التورية احكام السياسة الظاهرة العامة وفي الانجيل احكام السياسة الباطنة الخاصة وفي القران احكام السياستين جميعًا وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ اشارة الي تحقيق السياسة الظاهرة خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَاهِلِينَ اشارة الي تحقيق السياسة الباطنة الخاصة وقد قال عليه السلم هو ان تعفو عمّن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك ومن العجب ان من راي غيره يصدق ما عنده ويكمّله ويرقّيه من درجة الي درجة كيف يسوغ له تكذيبه والنسخ في الحقيقة ليس ابطالاً بل هو تكميل وفي التورية احكام عامة واحكام مخصوصة اما باشخاص واما بازمان واذا انتهي الزمان لم يبق ذلك لا محالة ولا يقال انه ابطال او بداء كذلك هاهنا واما السبت فلو ان اليهود عرفوا لِمَ ورد التكليف بملازمة السبت وهو يوم اي شخص

من الاشخاص وفي مقابلة اية حالة وجزوي اي زمان عرفوا ان الشريعة الاخيرة حق وانها جاءت لتقرير السبت لا لابطاله وهم الذين عدوا في السبت حتي مسخوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ وهم يعترفون بان موسي عليه السلم بني بيتاً وصوّر فيه صوراً واشخاصاً وبيّن مراتب الصور واشار الي تلك الرموز لكن لما فقدوا الباب باب حطّة ولم يمكنهم التسوّر علي سنن اللصوص تحيّروا تائهين وتاهوا متحيّرين واختلفوا نيفاً وسبعين فرقة ونحن نذكر منها اشهرها واظهرها عندهم ونترك الباقي هملاً

العنانية نسبوا الي رجل يقال له عنان بن داود راس الجالوت يخالفون سائر اليهود في السبت والاعياد ويقتصرون علي اكل الطير والظبا والسمك ويذبحون الحيوان علي القفا ويصدّقون عيسي عليه السلم في مواعظه واشاراته ويقولون انه لم يخالف التورية البتة بل قررها ودعا الناس اليها وهو من بني اسرائيل المتعبدين بالتورية ومن المستجيبين لموسي عليه السلم الا انهم لا يقولون بنبوته ورسالته ومن هولاء من يقول ان عيسي عليه السلم لم يدّع انه نبي مرسل وانه صاحب شريعة ناسخة لشريعة موسي عليه السلم بل هو من اولياء الله المخلصين العارفين احكام التورية والانجيل ليس كتابًا منزلًا عليه ووحيًا من الله تعالي بل هو جمع احواله من مبدايه الي كماله وانما جمعه اربعة من اصحابه الحواريين فكيف يكون كتابًا منزلًا قالوا واليهود ظلموا حيث كذبوه اولاً ولم يعرفوا بعد دعواه وقتلوه اخرًا ولم يعلموا بعد محله ومغزاه وقد ورد في التورية ذكر المشيحا في مواضع كثيرة وذلك هو المسيح ولكن لم يرد له النبوة ولا الشريعة الناسخة ورد فارقليطا وهو الرجل العالم وكذلك ورد ذكره في الانجيل فوجب حمله

علي ما وجد وعلي من ادّعي ذلك تحقيقه وحده

العيسوية نسبوا الي ابي عيسي اسحاق بن يعقوب الاصفهاني وقيل اسمه عوفيد الوهيم اي عابد الله كان في زمان المنصور وابتدأ دعوته في زمن اخر ملوك بني امية مروان بن محمد الحمار فاتبعه بشر كثير من اليهود وادّعوا له ايات ومعجزات وزعموا انه لما حورب خط علي اصحابه خطاً بعود آس وقال اقيموا في هذا الخط فليس ينالكم عدو بسلاح فكان العدو يحملون عليهم حتي اذا بلغوا الخط رجعوا عنهم خوفاً من طلسم او عزيمة ربما وضعها ثم ابو عيسي خرج من الخط وحده علي فرسه فقاتل وقتل من المسلمين كثيراً وذهب الي بني موسي بن عمران الذين هم وراء الرمل ليسمعهم كلام الله وقيل انه لما حارب اصحاب المنصور بالري قتل وقتل اصحابه وزعم عيسي انه نبي وانه رسول المسيح المنتظر وزعم ان للمسيح خمسة من الرسل ياتون قبله واحداً بعد واحد وزعم ان الله تعالي كلّمه وكلّفه ان يخلّص بني اسرائيل من ايدي الامم العاصين والملوك الظالمين وزعم ان المسيح افضل ولد ادم وانه اعلي منزلة من الانبياء الماضين واذ هو رسوله فهو افضل الكل ايضاً وكان يوجب تصديق المسيح ويعظّم دعوة الداعي وزعم ان الداعي ايضاً هو المسيح وحرّم في كتابه الذبائح كلها ونهي عن اكل ذي روح علي الاطلاق طيراً كان او بهيمة واوجب عشر صلوات وامر اصحابه باقامتها وذكر اوقاتها وخالف اليهود في كثير من احكام الشريعة الكبيرة المذكورة في التورية

المقاربة واليوذعانية نسبوا الي يوذعان رجل من همدان وقيل كان اسمه يهودا يحثّ علي الزهد وتكثير الصلوة و ينهي عن اللحوم والانبذة وفيما نُقل عنه تعظيم

Digitized by Google

امر الداعي وكان يزعم ان للتورية ظاهرًا وباطنًا وتنزيلًا وتاويلًا خالف بتاويلاته عامة اليهود وخالفهم في التشبيه ومال الي القدر واثبت الفعل حقيقة للعبد وقدّر الثواب والعقاب عليه وشدّد في ذلك ومنهم الموشكانية اصحاب موشكا علي مذهب يوذعان غير انه كان يوجب الخروج علي مخالفيه ونصب القتال معهم فخرج في تسعة عشر رجلًا فقُتل بناحية قم وذكر عن جماعة من الموشكانية انهم اثبتوا نبوة المصطفي عليه السلم الي العرب وسائر الناس سوي اليهود لانهم اهل ملة وكتاب وزعمت فرقة من المقاربة ان الله تعالي خاطب الانبياء بواسطة ملك اختاره وقدّمه علي جميع الخلائق واستخلفه عليهم قالوا فكل ما في التورية وسائر الكتب من وصف الله عز وجل فهو خبر عن ذلك الملك والا فلا يجوز ان يوصف الباري تعالي بوصف قالوا فان الذي كلّم موسي عليه السلم تكليماً هو ذلك الملك والشجرة المذكورة في التورية هو ذلك الملك ويتعالي الرب تعالي عن ان يكلّم بشراً تكليماً وحمل جميع ما ورد في التورية من طلب الروية وشافهت الله وجاء الله وطلع الله في السحاب وكتب التورية بيده واستوي علي العرش قراراً وله صورة ادم وشعر قطط ووفرة سوداء وانه بكي علي طوفان نوح حتي رمدت عيناه وانه ضحك الجبّار حتي بدت نواجذه الي غير ذلك علي ذلك الملك قال ويجوز في العادة ان يبعث ملكًا واحدًا من جملة خواصّه ويلقي عليه اسمه ويقول هذا هو رسولي ومكانه فيكم مكاني وقوله وامره قولي وامري وظهوره عليكم ظهوري كذلك يكون حال ذلك الملك وقيل ان اريوس قال في المسيح انه هو الله وانه صفوة العالم اخذ قوله من هولاء وهم كانوا قبل اريوس باربع ماية سنة وهم اصحاب زهد وتقشّف وقيل

Digitized by Google

صاحب هذه المقالة هو بنيامين النهاوندي قرّر لهم هذا المذهب واعلمهم ان الايات المتشابهة في التورية كلها مأوّلة وانه تعالي لا يوصف باوصاف البشر ولا يشبه شيئًا من المخلوقات ولا يشبهه شي منها وانما المراد بهذه الكلمات الواردة في التورية ذلك الملك المعظّم وهذا كما يحمل في القران المجي والاتيان علي اتيان ملك من الملائكة وهو كما قال في حق مريم عليها السلم وَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وفي موضع اخر فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وانما النافخ جبريل حين تَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا لِيَهَبَ لَهَا غُلَامًا زَكِيًّا

السامرة هولاء قوم يسكنون بيت المقدس وقرايا من اعمال مصر يتقشفون في الطهارة اكثر من تقشف سائر اليهود اثبتوا نبوة موسي وهرون ويوشع بن نون عليهم السلم وانكروا نبوة من بعدهم راسًا الا نبيًا واحدًا وقالوا التورية ما بشرت الا بنبي واحد ياتي من بعد موسي يصدّق ما بين يديه من التورية ويحكم بحكمها ولا يخالفها البتة وظهر في السامرة رجل يقال له الالفان ادّعي النبوة وزعم انه هو الذي بشر به موسي وانه هو الكوكب الذي ورد في التورية انه يضيء ضوء القمر وكان ظهوره قبل المسيح عليه السلم بقريب من مائة سنة وافترقت السامرة الي دوستانية وهم الالفانية والي كوسانية والدوستانية معناها الفرقة المتفرقة الكاذبة والكوسانية معناها الجماعة الصادقة وهم يقرّون بالاخرة والثواب والعقاب فيها والدوستانية تزعم ان الثواب والعقاب في الدنيا وبين الفريقين اختلاف في الاحكام والشرائع وقبلة السامرة جبل يقال له غريم بين بيت المقدس ونابلس قالوا ان الله تعالي امر داود النبي عليه السلم ان يبني بيت المقدس بجبل نابلس وهو الطور الذي كلّم الله عليه موسي عليه السلم فحول داود الي

Digitized by Google

ايليا وبني البيت ثمّة وخالف الامر وظلم والسامرة توجهوا الي تلك القبلة دون سائر اليهود ولغتهم غير لغة اليهود وزعموا ان التورية كانت بلسانهم وهي قريبة من العبرانية فنقلت الي السريانية فهذه اربع فرق هم الكبار وانشعبت منهم الفرق الي احدي وسبعين فرقة وهم باسرهم اجمعوا علي ان في التورية بشارة بواحد بعد موسي وانما افتراقهم اما في تعيين ذلك الواحد او في الزيادة علي الواحد وذكر المشيحا واثاره ظاهر في الاسفار وخروج واحد في اخر الزمان وهو الكوكب المضيء الذي تشرق الارض بنوره ايضًا متّفق عليه واليهود علي انتظاره والسبت يوم ذلك الرجل وهو يوم الاستواء بعد الخلق وقد اجمعت اليهود علي ان الله تعالي لما فرغ من خلق السماوات استوي علي عرشه مستلقيًا علي قفاه واضعًا احدي رجليه علي الاخري فقالت فرقة منهم ان الستة الايام هي ستة الاف سنة فان يومًا عند الله كالف سنة مما يعدّ بالسير القمري وذلك هو ما مضي من لدن ادم الي يومنا هذا وبه يتم الخلق ثم اذا بلغ الخلق الي النهاية ابتدأ الامر ومن ابتداء الامر يكون الاستواء علي العرش والفراغ من الخلق وليس ذلك امرًا كان ومضي بل هو في المستقبل اذا عددنا الايام بالالوف

النصاري امة المسيح عيسي بن مريم عليه السلم وهو المبعوث حقًا بعد موسي عليه السلم المبشر به في التورية وكانت له ايات ظاهرة وبيّنات زاهرة مثل احياء الموتي وابراء الاكمه والابرص ونفس وجوده وفطرته اية كاملة علي صدقه وذلك حصوله من غير نطفة سابقة ونطقه من غير تعليم سالف وجميع الانبياء بلاغ وحيهم اربعون سنة وقد اوحي اليه انطاقًا في المهد واوحي اليه ابلاغًا عند

الثلثين وكانت مدة دعوته ثلث سنين وثلثة اشهر وثلثة ايام فلما رفع الي السماء اختلف الحواريون وغيرهم فيه وانما اختلافاتهم تعود الي امرين احدهما كيفية نزوله واتّصاله بامّه وتجسد الكلمة والثاني كيفية صعوده واتّصاله بالملائكة وتوحّد الكلمة اما الاول فقضوا بتجسد الكلمة ولهم في كيفية الاتّحاد والتجسد كلام فمنهم من قال اشرق علي الجسد اشراق النور علي الجسم المشفّ ومنهم من قال انطبع فيه انطباع النقش في الشمعة ومنهم من قال ظهر به ظهور الروحاني بالجسماني ومنهم من قال تدرّع اللاهوت بالناسوت ومنهم من قال مازجت الكلمة جسد المسيح ممازجة اللبن الماء واثبتوا لله تعالي اقانيم ثلثة قالوا الباري تعالي جوهر واحد يعنون به القائم بالنفس لا التحيّز والجسمية فهو واحد بالجوهرية ثلثة بالاقنومية ويعنون بالاقانيم الصفات كالوجود والحيوة والعلم والاب والابن وروح القدس وانما العلم تدرع وتجسد دون سائر الاقانيم وقالوا في الصعود انه قتل وصلب قتله اليهود حسدًا وبغيًا وانكارًا لنبوته ودرجته ولكن القتل ما ورد علي الجزو اللاهوتي وانما ورد علي الجزو الناسوتي قالوا وكمال الشخص الانساني في ثلثة اشياء نبوة وامامة وملكة وغيره من الانبياء كانوا موصوفين بهذه الخصال اثلث او ببعضها والمسيح عليه السلم درجته فوق ذلك لانه الابن الوحيد فلا نظير له ولا قياس له الي غيره من الانبياء وهو الذي به غفر زلة ادم عليه السلم وهو الذي يحاسب الخلق ولهم في النزول خلاف فمنهم من يقول ينزل قبل يوم القيامة كما قال اهل الاسلام ومنهم من يقول لا نزول له الا يوم الحساب وهو بعد ان قتل وصلب نزل وراي شخصه شمعون الصفا فكلّمه واوصي اليه ثم فارق الدنيا وصعد الي السماء وكان وصيّه شمعون الصفا وكان افضل الحواريين علمًا

وزهدًا وادبًا غير ان فولوس شوّش امره وصيّر نفسه شريكًا له وغيّر اوضاع علمه وخلطه بكلام الفلاسفة ووسواس خاطره ورايت رسالة لفولوس كتبها الي اليونانيين انكم تظنّون ان مكان عيسي كمكان سائر الانبياء وليس كذلك بل انما مثله مثل ملكيزداق وهو ملك السلم الذي كان ابرهيم يعطي اليه العشور فكان يبارك علي ابرهيم ويمسح راسه ومن العجب انه نقل في الاناجيل ان الرب تعالي قال انك انت الابن الوحيد ومن كان وحيدًا كيف يمثّل بواحد من البشر ثم ان اربعة من الحواريين اجتمعوا وجمع كل واحد منهم جمعًا للانجيل وهم متي ولوقا ومارقوس ويوحنا وخاتمة انجيل متي انه قال اني ارسلكم الي الامم كما ارسلني ابي اليكم فاذهبوا وادعوا الامم باسم الاب والابن وروح القدس وفاتحة انجيل يوحنا علي القديم الازلي قد كانت الكلمة وهو ذا الكلمة كانت عند الله والله هو كان الكلمة وكل كان بيده ثم افترقت النصاري اثنتين وسبعين فرقة وكبار فرقهم ثلثة الملكائية والنسطورية واليعقوبية وانشعبت منها الاليانية والبليارسية والمقدانوسية والسبالية والبوطينوسية والبولية الي سائرالفرق

الملكائية اصحاب ملكا الذي ظهر بالروم واستولي عليها ومعظم الروم ملكائية قالوا ان الكلمة اتّحدت بجسد المسيح وتدرعت بناسوته ويعنون بالكلمة اقنوم العلم ويعنون بروح القدس اقنوم الحيوة ولا يسمّون العلم قبل تدرّعه به ابنًا بل المسيح مع ما تدرّع به ابن فقال بعضهم ان الكلمة مازجت جسد المسيح كما يمازج الخمر اللبن او الماء اللبن وصرحت الملكائية بان الجوهر غير الاقانيم وذلك كالموصوف والصفة وعن هذا صرحوا باثبات التثليث واخبر عنهم القران لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وقالت الملكائية المسيح ناسوت كلي لا

جزوي وهو قديم ازلي من قديم ازلي وقد ولدت مريم عليها السلم الهًا ازلياً والقتل والصلب وقع علي الناسوت واللاهوت معًا واطلقوا لفظ الابوة والبنوة علي الله عز وجل وعلي المسيح لما وجدوا في الانجيل حيث قال انك انت الابن الوحيد وحيث قال شمعون الصفا انك ابن الله حقًا ولعل ذلك من مجاز اللغة كما يقال لطلاب الدنيا ابناء الدنيا ولطلاب الاخرة ابناء الاخرة وقد قال المسيح للحواريين انا اقول لكم احبّوا اعداءكم وبركوا علي لاعنيكم واحسنوا الي مبغضيكم وصلّوا علي من يوذيكم لكي تكونوا ابناء ابيكم الذي في السماء الذي تشرق شمسه علي الصالحين والفجرة وينزل قطره علي الابرار والاثمة وتكونوا تامّين كما ان اباكم الذي في السماء تامّ وقال انظروا صدقاتكم فلا تعطوها قدام الناس لتراؤهم فلا يكون لكم اجر عند ابيكم الذي في السماء وقال حين كان يصلب اذهب الي ابي وابيكم ولما قال اريوس القديم هو الله والمسيح مخلوق اجتمعت البطارقة والمطارنة والاساقفة في بلد قسطنطنية بمحضر من ملكهم وكانوا ثلثماية وثلثة عشر رجلًا واتفقوا علي هذه الكلمة اعتقاداً ودعوة وذلك قولهم نومن بالله الواحد الاب مالك كل شي وصانع ما يُرَي وما لا يُرَي وبالابن الواحد ايشوع المسيح ابن الله الواحد بكر الخلائق كلها وليس بمصنوع اله حق من اله حق من جوهر ابيه الذي بيده اتقنت العوالم وكل شي الذي من اجلنا ومن اجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس وولد من مريم البتول وصلب ايام فيلاطوس ودفن ثم قام في اليوم الثالث وصعد الي السماء وجلس عن يمين ابيه وهو مستعدّ للمجي تارة اخري للقضاء بين الاموات والاحياء ونومن بروح القدس الواحد روح الحق الذي يخرج من ابيه وبمعمودية

Digitized by Google

واحدة لغفران الخطايا وبجماعة واحدة قدسية مسيحية جاثليقية وبقيام ابداننا وبالحيوة الدائمة ابد الابدين هذا هو الاتّفاق الاول علي هذه الكلمات وفيه اشارة الي حشر الابدان وفي النصاري من قال بحشر الارواح دون الابدان وقال ان عاقبة الاشرار في القيامة غمّ وحزن الجهل وعاقبة الاخيار سرور وفرح العلم وانكروا ان يكون في الجنة نكاح واكل وشرب وقال مار اسحاق منهم ان الله تعالي وعد المطيعين وتوعد العاصين ولا يجوز ان يخالف الوعد لانه لا يليق بالكرم لكن يخالف الوعيد فلا يعذب العصاة ويرجع الخلق الي سرور وسعادة وعمم هذا في الكل اذ العقاب الابدي لا يليق بالجواد الحق

النسطورية اصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المامون وتصرف في الاناجيل بحكم رايه واضافته اليهم اضافة المعتزلة الي هذه الشريعة قال ان الله تعالي واحد ذو اقانيم ثلثة الوجود والعلم والحيوة وهذه الاقانيم ليست زائدة علي الذات ولا هي هو واتّحدت الكلمة بجسد عيسي عليه السلم لا علي طريق الامتزاج كما قالت الملكائية ولا علي طريق الظهورية كما قالت اليعقوبية ولكن كاشراق الشمس في كوة او علي بلور او كظهور النقش في الخاتم واشبه المذاهب بمذهب نسطور في الاقانيم احوال ابي هاشم من المعتزلة فانه يثبت خواص مختلفة لشي واحد ويعني بقوله هو واحد بالجوهر اي ليس مركبًا من جنس بل هو بسيط واحد ويعني بالحيوة والعلم اقنومين جوهرين اي اصلين مبدأين للعالم ثم فسر العلم بالنطق والكلمة ويرجع منتهي كلامه الي اثبات كونه تعالي موجودًا حيًا ناطقًا كما تقوله الفلاسفة في حد الانسان الا ان هذه المعاني تتغاير في الانسان لكونه مركبًا وهو جوهر بسيط غير مركب وبعضهم

Digitized by Google

يثبت لله تعالي صفات اخر بمنزلة القدرة والارادة ونحوهما ولم يجعلوها اقانيم كما جعلوا الحيوة والعلم اقنومين ومنهم من اطلق القول بان كل واحد من الاقانيم الثلثة حيّ ناطق الله وزعم الباقون ان اسم الاله لا ينطلق علي كل واحد من الاقانيم وزعموا ان الابن لم يزل متولداً من الاب وانما تجسّد واتّحد بجسد المسيح حين ولد والحدوث راجع الي الجسد والناسوت فهو الله وانسان اتّحدا وهما جوهران اقنومان طبيعتان جوهر قديم وجوهر محدث الله تامّ وانسان تامّ ولم يبطل الاتّحاد قدم القديم ولا حدوث المحدث لكنهما صارا مسيحاً واحداً مشيئة واحدة وربما بدلوا العبارة فوضعوا مكان الجوهر الطبيعة ومكان الاقنوم شخصاً واما قولهم في القتل والصلب فبخالف قول الملكائية واليعقوبية قالوا ان القتل وقع علي المسيح من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته لان الاله لا تحلّه الالام وبوطينوس وبولي الشمشاطي يقولان ان الاله واحد وان المسيح ابتدأ من مريم عليهما السلم وانه عبد صالح مخلوق الا ان الله تعالي شرّفه وكرّمه لطاعته وسمّاه ابنًا علي التبنّي لا علي الولادة والاتّحاد ومن النسطورية قوم يقال لهم المصلين قالوا في المسيح مثل ما قال نسطور الا انهم قالوا اذا اجتهد الرجل في العبادة وترك التغذي باللحم والدسم ورفض الشهوات النفسانية الحيوانية يصفي جوهره حتي يبلغ ملكوت السموات ويري الله تعالي جهراً وينكشف له ما في الغيب فلا يخفي عليه خافية في الارض ولا في السماء ومن النسطورية من ينفي التشبيه ويثبت القول بالقدر خيره وشره من العبد كماقالت القدرية

اليعقوبية اصحاب يعقوب قالوا بالاقانيم الثلثة كما ذكرنا الا انهم قالوا انقلبت الكلمة لحماً ودماً فصار الاله هو المسيح وهو الظاهر بجسده بل هو هو وعنهم اخبرنا

Digitized by Google

القران الكريم لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ فمنهم من قال المسيح هو الله ومنهم من قال ظهر اللاهوت بالناسوت فصار ناسوت المسيح مظهر الحق لا علي طريق حلول جزو فيه ولا علي سبيل اتّحاد الكلمة التي هي في حكم الصفة بل صار هو هو وهذا كما يقال ظهر الملك بصورة الانسان او ظهر الشيطان بصورة حيوان وكما اخبر التنزيل عن جبريل عليه السلم فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا وزعم اكثر اليعقوبية ان المسيح جوهر واحد اقنوم واحد الا انه من جوهرين وربما قالوا طبيعة واحدة من طبيعتين فجوهر الاله القديم وجوهر الانسان المحدث تركّبا كما تركبت النفس والبدن فصارا جوهراً واحداً اقنوماً واحداً وهو انسان كله واله كله فيقال الانسان صار الهاً ولا ينعكس فلا يقال الاله صار انساناً كالفحمة تطرح في النار فيقال صارت الفحمة ناراً ولا يقال صارت النار فحمة وهي في الحقيقة لا نار مطلقة ولا فحمة مطلقة بل هي جمرة وزعموا ان الكلمة اتّحدت بالانسان الجزوي لا الكلي وربما عبّروا عن الاتّحاد بالامتزاج والادراع والحلول كحلول صورة الانسان في المرآة المجلوة واجمع اصحاب التثليث كلهم علي ان القديم لا يجوز ان يتّحد بالمحدث الا ان الاقنوم الذي هو الكلمة اتّحدت دون سائر الاقانيم واجمعوا علي ان المسيح عليه السلم ولد من مريم عليها السلم وقتل وصلب ثم اختلفوا في كيفية ذلك فقالت الملكائية واليعقوبية ان الذي ولدت مريم هو الاله فالملكائية لما اعتقدت ان المسيح ناسوت كلي ازلي قالوا ان مريم انسان جزوي والجزوي لا يلد الكلي وانما ولدة الاقنوم القديم واليعقوبية لما اعتقدت ان المسيح هو جوهر من جوهرين وهو انه وهو المولود قالوا ان مريم ولدت الهاً تعالي الله عن قولهم علواً كبيراً وكذلك

Digitized by Google

قالوا في القتل وقع علي الجوهر الذي هو من جوهرين قالوا ولو وقع علي احدهما لبطل الاتحاد وزعم بعضهم انا نثبت وجهين للجوهر القديم فالمسيح قديم من وجه محدث من وجه وزعم قوم من اليعقوبية ان الكلمة لم تاخذ من مريم شيئًا لكنها مرّت بها كالماء في الميزاب وما ظهر من شخص المسيح عليه السلم في الاعين هو كالخيال والصورة في المرآة والا فما كان جسمًا متجسّمًا كثيفًا في الحقيقة وكذلك القتل والصلب انما وقع علي الخيال والحسبان وهولاء يقال لهم الاليانية وهم قوم بالشام واليمن والارمينية قالوا وانما صلب الاله من اجلنا حتي يخلصنا وزعم بعضهم ان الكلمة كانت تداخل جسم المسيح عليه السلم احيانًا فتصدر عنه الايات من احياء الموتي وابراء الاكمه والابرص وتفارقه في بعض الاوقات فتر عليه الالام والاوجاع ومنهم بليارس واصحابه وحكي عنه انه كان يقول اذا صارت الناس الي الملكوت الاعلي اكلوا الف سنة وشربوا وناكحوا ثم صاروا الي النعيم الذي وعدهم اريوس كلها لذة وسرور وراحة وحبور لا اكل فيها ولا شرب ولا نكاح وزعم مقدانيوس ان الجوهر القديم اقنومان فحسب اب وابن والروح مخلوق وزعم سباليوس ان القديم جوهر واحد اقنوم واحد له ثلث خواص واتحد بكليته بجسد عيسي بن مريم عليهما السلم وزعم اريوس ان الله واحد سماه ابًا وان المسيح كلمة الله وابنه علي طريق الاصطفاء وهو مخلوق قبل خلق العالم وهو خالق الاشياء وزعم ان لله تعالي روحًا مخلوقة اكبر من سائر الارواح وانها واسطة بين الاب والابن تودي اليه الوحي وزعم ان المسيح ابتدأ جوهرًا لطيفًا روحانيًا خالصًا غير مركب ولا ممزوج بشي من الطبائع وانما تدرّع بالطبائع الاربع عند الاتحاد بالجسم الماخوذ من مريم وهذا اريوس قبل

الفرق الثلث فتبرّؤا منه لمخالفتهم اياه في المذهب

من له شبهة كتاب قد بيّنّا كيفية تحقيق الكتاب وميّزنا بين حقيقة الكتاب وشبهة الكتاب وان الصحف التي كانت لابرهيم عليه السلم كانت شبهة كتاب وفيها مناهج علمية ومسالك عملية اما العلميات فتقرير كيفية الخلق والابداع وتسوية المخلوقات علي نسبة نظام وقوام تحصل منها حكمته الازلية وتنفذ فيها مشيئته السرمدية ثم تقرير التقدير والهداية عليها ليتقدّر كل نوع وصنف بقدرة المحكوم المحتوم ويقبل هدايته السارية في العالم بقدر استعداده المعلوم والعلم كل العلم لا يعدوا هذين النوعين وذلك قوله تعالي سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى وقال عز وجل خبرًا عن ابرهيم عليه السلم ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وخبرًا عن موسي عليه السلم أَلَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى واما العمليات فتزكية النفوس عن درن الشبهات وذكر الله تعالي باقامة العبادات ورفض الشهوات الدنية وايثار السعادات الاخروية ولن يحصل البلوغ الي كمال المعاد الا باقامة هذين الركنين اعني الطهارة والشهادة والعمل كل العمل لا يعدوا هذين النوعين وذلك قوله تعالي قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ثم قال عزمن قائل إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَى صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَى فبيّن ان الذي اشتمل عليه الصحف هو ما اشتمل عليه هذه السورة وبالحقيقة هذا هو الاعجاز المعنوي

المجوس واصحاب الاثنين والمانوية وسائر فرقهم المجوسية يقال لهم الدين الاكبر والملة العظمي اذ كانت دعوة الانبياء بعد ابرهيم الخليل عليه السلم لم تكن في العموم كالدعوة الخليلية ولم يثبت لها من القوة والشوكة والملك والسيف مثل الملة

Digitized by Google

الحنيفية اذ كانت ملوك العجم كلها علي ملة ابرهيم وجميع من كان في زمان كل واحد منهم من الرعايا في البلاد علي اديان ملوكهم وكان لملوكهم مرجع هو موبذ موبذان اعلم العلماء واقدم الحكماء يصدرون عن امره ولا يرجعون الا الي رايه ويعظّمونه تعظيم السلاطين لخلفاء الوقت وكانت دعوة بني اسرائيل اكثرها في بلاد الشام وما وراها من المغرب وقلّ ما سري من ذلك الي بلاد العجم وكانت الفرق في زمان ابرهيم الخليل راجعة الي صنفين احدهما الصابية والثاني الحنفاء فالصابية كانت تقول انّا نحتاج في معرفة الله تعالي ومعرفة طاعته واوامره واحكامه الي متوسط لكن ذلك المتوسط يجب ان يكون روحانياً لا جسمانياً وذلك لزكاء الروحانيات وطهارتها وقربها من رب الارباب والجسماني بشر مثلنا ياكل مما ناكل ويشرب مما نشرب يماثلنا في المادة والصورة قالوا وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ والحنفاء كانت تقول انّا نحتاج في المعرفة والطاعة الي متوسّط من جنس البشر يكون درجته في الطهارة والعصمة والتاييد والحكمة فوق الروحانيات يماثلنا من حيث البشرية ويمايزنا من حيث الروحانية فيتلقي الوحي بطرف الروحانية ويلقي الي نوع الانسان بطرف البشرية وذلك قوله تعالي قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَي إِلَيَّ وقال عزّ ذكره قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ثم لما لم يتطرق للصابية الاقتصار علي الروحانيات البحتة والتقرّب اليها باعيانها والتلقي منها بذواتها فزعت جماعة الي هياكلها وهي السيّارات السبع وبعض الثوابت فصابية الروم مفزعها السيّارات وصابية الهند مفزعها الثوابت وسنذكر مذاهبهم علي التفصيل ان شاء الله تعالي وربما نزلوا عن الهياكل الي الاشخاص التي لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عن الانسان شيئًا

Digitized by Google

والفرقة الاولي هم عبدة الكواكب والثانية هم عبدة الاصنام وكان الخليل مكلّفاً بكسر المذهبين علي الفرقتين وتقرير الحنيفية السمحة السهلة احتجّ علي عبدة الاصنام قولاً وفعلاً كسرًا من حيث القول وكسرًا من حيث الفعل فقال لابيه ازر يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا الايات حتي جَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ وذلك الزام من حيث الفعل وافحام من حيث الكسر ففرع من ذلك كما قال تعالي وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ابتدأ بابطال مذاهب عبدة الاوثان علي صيغة الموافقة كما قال وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ اي كما اتيناه الحجة كذلك نريه المحجة فساق الالزام علي اصحاب الهياكل مساق الموافقة في المبدأ والمخالفة في النهاية ليكون الالزام ابلغ والافحام اقوي والّا فابرهيم الخليل عليه السلم لم يكن في قوله هذا ربي مشركًا كما لم يكن في قوله بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا كاذباً وسوق الكلام علي جهة الالزام غير وسوقه علي جهة الالتزام غير فلما اظهر الحجّة وبيّن المحجة قرّر الحنيفية التي هي الملة الكبري والشريعة العظمي وذلك هو الدين القيّم وكانت الانبياء من اولاده كلهم يقرّرون الحنيفية وبالخصوص صاحب شرعنا محمد صلوات الله عليه كان في تقريرها قد بلغ النهاية القصوي واصاب في المرمي واصمي ومن العجب ان التوحيد من اخصّ اركان الحنيفية ولهذا يقترن نفي الشرك بكل موضع ذكر الحنيفية حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ثم الثنوية اختصت بالمجوس حتي اثبتوا اصلين اثنين مدبّرين قديمين يقتسمان الخير والشر والنفع والضر والصلاح والفساد يسمّون احدهما النور والثاني الظلمة وبالفارسية يزدان

Digitized by Google

واهرمن ولهم في ذلك تفصيل مذهب ومسائل المجوس كلها تدور علي قاعدتين احديهما بيان سبب امتزاج النور بالظلمة والثانية بيان سبب خلاص النور من الظلمة وجعلوا الامتزاج مبدأً والخلاص معاداً

المجوس اثبتوا اصلين كما ذكرنا الا ان المجوس الاصلية زعموا ان الاصلين لا يجوز ان يكونا قديمين ازليين بل النور ازلي والظلمة محدثة ثم لهم اختلاف في سبب حدوثها اَمِن النور حدثت والنور لا يحدث شرًّا جزويًا فكيف يحدث اصل الشر ام شي اخر ولا شي يشترك النور في الاحداث والقدم وبهذا يظهر خبط المجوس وهولاء يقولون المبدأ الاول من الاشخاص كيومرث وربما يقولون زروان الكبير والنبي الاخر زرادشت والكيومرثية يقولون كيومرث هو ادم عليه السلم وقد ورد في تواريخ الهند والعجم كيومرث ادم ويخالفهم سائر اصحاب التواريخ

الكيومرثية اصحاب المقدّم الاول كيومرث اثبتوا اصلين يزدان واهرمن وقالوا يزدان ازلي قديم واهرمن محدث مخلوق قالوا ان يزدان فكر في نفسه انه لو كان لي منازع كيف يكون وهذه الفكرة ردية غير مناسبة لطبيعة النور فحدث الظلام من هذه الفكرة وسمّي اهرمن وكان مطبوعًا علي الشر والفتنة والفساد والضرر والاضرار فخرج علي النور وخالفه طبيعة وقولًا وجرت محاربة بين عسكر النور وعسكر الظلمة ثم ان الملائكة توسّطوا فصالحوا علي ان يكون العالم السفلي خالصًا لاهرمن سبعة الاف سنة ثم يخلي العالم ويسلمه الي النور والذين كانوا في الدنيا قبل الصلح ابادهم واهلكهم ثم بدأ برجل يقال له كيومرث وحيوان يقال له ثور فقتلهما فنبت من مسقط ذلك الرجل ريباس وخرج من اصل ريباس رجل يسمّي ميشه وامراة اسمها ميشانه

وهما ابوا البشر ونبت من مسقط الثور الانعام وسائر الحيوانات وزعموا ان النور خير الناس وهم ارواح بلا اجساد بين ان يرفعهم عن مواضع اهرمن وبين ان تلبسهم الاجساد فيحاربون اهرمن فاختاروا لبس الاجساد ومحاربة اهرمن علي ان يكون لهم النصرة من عند النور والظفر بجنود اهرمن وحسن العاقبة وعند الظفر به واهلاك جنوده يكون القيامة فذاك سبب الامتزاج وهذا سبب الخلاص

الزروانية قالوا ان النور ابدع اشخاصاً من نور كلها روحانية نورانية ربانية لكن الشخص الاعظم الذي اسمه زروان شك في شي من الاشياء فحدث اهرمن الشيطان من ذلك الشك وقال بعضهم لا بل ان زروان الكبير قام فزمزم تسعة الاف وتسع ماية وتسعًا وتسعين سنة ليكون له ابن فلم يكن ثم حدّث نفسه وفكر وقال لعل هذا العالم ليس بشي فحدث اهرمن من ذلك الهم الواحد وحدث هرمز من ذلك العلم فكانا جميعاً في بطن واحد وكان هرمز اقرب من باب الخروج فاحتال اهرمن الشيطان حتي شق بطن امّه فخرج قبله واخذ الدنيا وقيل انه لما مثل بين يدي زروان فابصره وراي ما فيه من الخبث والشرارة والفساد ابغضه فلعنه وطرده فمضي واستولي علي الدنيا واما هرمز فبقي زمانًا لا يدله عليه وهو الذي اتّخذه قوم ربًّا وعبدوه لما وجدوا فيه من الخير والطهارة والصلاح وحسن الاخلاق وزعم بعض الزروانية انه لم يزل كان مع الله شي ردي اما فكرة ردية اما عفونة ردية وذلك هو مصدر الشيطان وزعموا ان الدنيا كانت سليمة من الشرور والافات والفتن وكان اهلها في خير محض ونعيم خالص فلما حدث اهرمن حدثت الشرور والافات والفتن وكان بمعزل من السماء فاحتال حتي خرق السماء وصعد وقال بعضهم كان هو في السماء والارض

خالية عنه فاحتال حتي خرق السماء ونزل الي الارض بجنوده كلها فهرب النور بملائكته واتبعه الشيطان حتي حاصره في جنته وحاربه ثلاثة الاف سنة لا يصل الشيطان الي الرب تعالي ثم توسطت الملائكة وتصالحا علي ان يكون ابليس وجنوده في قرار الضوء تسعة الاف سنة بالثلثة الاف التي قاتله فيها ثم يخرج الي موضعه وراي الرب تعالي عن قولهم الصلاح في احتمال المكروه من ابليس وجنوده ولا ينقض الشرط حتي تنقضي مدة الصلح فالناس في البلايا والفتن والخزايا والمحن الي انقضاء المدة ثم يعود الي النعيم الاول وشرط ابليس عليه ان يمكنه من اشياء يفعلها ويطلقه في افعال ردية يباشرها فلما فرغا من الشرط اشهدا عليهما عدلين ودفعا سيفيهما اليهما وقالا لهما من نكث فاقتلاه بهذا السيف ولست اظن عاقلاً يعتقد هذا الراي الفائل ويري هذا الاعتقاد المضمحل الباطل ولعله كان رمزاً الي ما يتصوّر في العقل ومن عرف الله تعالي بجلاله وكبريائه لم يسمح بهذه التّرهات عقله ولم يسمع هذه الخرافات سمعه واقرب من هذا ما حكاه ابو حامد الزوزني ان المجوس زعمت ان ابليس كان لم يزل في الظلمة والجو والخلاء بمعزل عن سلطان الله ثم لم يزل يزحف ويقرب بحيلة حتي راي النور فوثب وثبة فصار في سلطان الله في النور وادخل معه هذه الافات والشرور فخلق الله تعالي هذا العالم شبكة له فوقع فيها وصار متعلقاً بها لا يمكنه الرجوع الي سلطانه فهو محبوس في هذا العالم مضطرب في الحبس يرمي بالافات والمحن والفتن الي خلق الله فمن احياه الله رماه بالموت ومن اصحّه رماه بالسقم ومن سرّه رماه بالحزن فلا يزال كذلك الي يوم القيامة وكل يوم ينقص سلطانه حتي لا يبقي له قوة فاذا كانت القيامة ذهب سلطانه

Digitized by Google

وخمدت نيرانه وزالت قوته واضمحلت قدرته فيطرحه في الجوّ والجوّ ظلمة ليس له حدّ ولا منتهي ثم يجمع الله تعالي اهل الاديان فيحاسبهم ويجازيهم علي طاعة الشيطان وعصيانه و اما المسخية فقالت ان النور كان وحده نوراً محضاً ثم انمسخ بعضه فصار ظلمة وكذلك الخرمدينية قالوا باصلين ولهم ميل الي التناسخ والحلول وهم لا يقولون باحكام وحلال وحرام ولقد كان في كل امة من الامم قوم مثل الاباحية والمزدكية والزنادقة والقرامطة كان تشويش ذلك الدين منهم وفتنة الناس مقصورة عليهم

الزرادشتية اصحاب زرادشت بن بورشسب الذي ظهر في زمان كشتاسف بن لهراسب الملك وابوه كان من اذربيجان وامه من الري واسمها دغدو زعموا ان لهم انبياء وملوكاً اولهم كيومرث وكان اول من ملك الارض وكان مقامه باصطخر وبعده اوشهنج بن فراول ونزل ارض الهند وكانت له دعوة ثمة وبعده طمهورث وظهرت الصابية في اول سنة من ملكه وبعده اخوه جم الملك ثم بعده انبياء وملوك منهم منوجهر ونزل بابل واقام بها وزعموا ان موسي عليه السلام ظهر في زمانه حتي انتهي الملك الي كشتاسف بن لهراسب وظهر في زمانه زرادشت الحكيم زعموا ان الله عز وجل خلق من وقت ما في الصحف الاولي والكتب الاعلي من ملكوته خلقاً روحانياً فلما مضت ثلثة الاف سنة انفذ مشيئته في صورة من نور متلألئ علي تركيب صورة الانسان واحفّ به سبعين من الملائكة المكرمين وخلق الشمس والقمر والكواكب والارض وبني ادم غير متحركة ثلثة الاف سنة ثم جعل روح زرادشت في شجرة انشأها في اعلي عليين وغرسها في قلة جبل من جبال اذربيجان

Digitized by Google

يعرف باسمويذخر ثم مازج شيح زرادشت بلبن بقرة فشربه ابو زرادشت فصار نطفة ثم مضغة في رحم امه فقصدها الشيطان وغيّرها فسمعت امه نداء من السماء فيه دلالات علي بروها فبرأت ثم لما ولد ضحك ضحكة تبينها من حضر واحتالوا علي زرادشت حتي وضعوه بين مدرجة البقر ومدرجة الخيل ومدرجة الذئب وكان ينتهض كل واحد منهم بحمايته من جنسه ونشأ بعد ذلك الي ان بلغ ثلثين سنة فبعثه الله نبياً ورسولاً الي الخلق فدعا كشتاسف الملك فاجابه الي دينه وكان دينه عبادة الله والكفر بالشيطان والامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجتناب الخبائث وقال النور والظلمة اصلان متضادّان وكذلك يزدان واهرمن وهما مبدأ موجودات العالم وحصلت التراكيب من امتزاجهما وحدثت الصور من التراكيب المختلفة والباري تعالي خالق النور والظلمة ومبدعهما وهو واحد لا شريك له ولا ضدّ ولا ندّ ولا يجوز ان ينسب اليه وجود الظلمة كما قالت الزروانية لكن الخير والشر والصلاح والفساد والطهارة والخبث انما حصلت من امتزاج النور والظلمة ولو لم يمتزجا لما كان وجود للعالم وهما يتقاومان ويتغالبان الي ان يغلب النور الظلمة والخير الشر ثم يتخلص الخير الي عالمه والشر يحطّ الي عالمه وذلك هو سبب الخلاص والباري تعالي هو مزجهما وخلطهما لحكمة راها في التركيب وربما جعل النور اصلاً وقال وجوده وجود حقيقي واما الظلمة فتبع كالظل بالنسبة الي الشخص فانه يري انه موجود وليس بموجود حقيقة فابدع النور وحصل الظلام تبعًا لان من ضرورة الوجود التضادّ فوجوده ضروري واقع في الخلق لا بالقصد الاول كما ذكرنا في الشخص والظل وله كتاب قد صنفه وقيل انزل ذلك عليه وهو زندوستا يقسم العالم قسمين

Digitized by Google

مينه وكيتي يعني الروحاني والجسماني والروح والشخص وكما قسم الخلق الي عالمين يقول ان ما في العالم ينقسم قسمين بخشش وكنش يريد به التقدير والفعل وكل واحد مقدّر علي الثاني ثم يتكلم في موارد التكليف وهي حركات الانسان فيقسمها ثلثة اقسام منش وكويش وكنش يعني بذلك الاعتقاد والقول والعمل وبالثلث يتم التكليف فاذا قصّر الانسان فيها خرج عن الدين والطاعة واذا جري في هذه الحركات علي مقتضي الامر والشريعة فاز الفوز الاكبر وتدّعي الزرادشتية له معجزات كثيرة منها دخول قوائم فرس كشتاسف في بطنه وكان زرادشت في الحبس فاطلق فانطلق قوائم الفرس ومنها انه مرّ علي اعمي بالدينور فقال خذوا حشيشة وصفها لهم واعصروا ماءها في عينه فانه يبصر ففعلوا فابصر الاعمي وهذا من جملة معرفته بخاصية الحشيشة وليس من المعجزات في شي ومن المجوس الزرادشتية صنف يقال لهم السيسانية والبهافريدية رئيسهم رجل من رستاق نيسابور يقال له خوّاف خرج ايام ابي مسلم صاحب الدولة وكان زمزمياً في الاصل يعبد النيران ثم ترك ذلك ودعا المجوس الي ترك الزمزمة ورفض عبادة النيران ووضع لهم كتاباً وامرهم فيه بارسال الشعور وحرّم الامهات والبنات والاخوات وحرّم عليهم الخمر وامرهم باستقبال الشمس عند السجود علي ركبة واحدة وهم يتّخذون الرباطات ويتباذلون الاموال ولا ياكلون الميتة ولا يذبحون الحيوان حتي يهرم وهم اعدي خلق الله للمجوس الزمازمة ثم ان موبد المجوس رفعه الي ابي مسلم فقتله علي باب الجامع بنيسابور وقال اصحابه انه صعد الي السماء علي برذون اصفر وانه سينزل علي البرذون فينتقم من اعدائه وهولاء قد اقرّوا بنبوة زرادشت وعظّموا الملوك الذين يعظّمهم

زرادشت ومما اخبر به زرادشت في كتاب زندوستا قال سيظهر في اخر الزمان رجل اسمه اشيذربكا ومعناه الرجل العالم يزين العالم بالدين والعدل ثم يظهر في زمانه بتيارة فيوقع الافة في امره وملكه عشرين سنة ثم يظهر بعد ذلك اشيذربكا علي اهل العالم ويحيي العدل ويميت الجور ويردّ السنن المغيّرة الي اوضاعها الاول وينقاد له الملوك ويتيسّر له الامور وينصر الدين المحق ويحصل في زمانه الامن والدعة وسكون الفتن وزوال المحن والله اعلم

الثنوية هولاء اصحاب الاثنين الازليين يزعمون ان النور والظلمة ازليان قديمان بخلاف المجوس فانهم قالوا بحدوث الظلام وذكروا سبب حدوثه وهولاء قالوا بتساويهما في القدم واختلافهما في الجوهر والطبع والفعل والحيّز والمكان والاجناس والابدان والارواح

المانوية اصحاب ماني بن فاتك الحكيم الذي ظهر في زمان شابور بن اردشير وقتله بهرام بن هرمز بن شابور وذلك بعد عيسي عليه السلم اخذ دينًا بين المجوسية والنصرانية وكان يقول بنبوة المسيح عليه السلم ولا يقول بنبوة موسي عليه السلم حكي محمد بن هرون المعروف بابي عيسي الوراق وكان في الاصل مجوسيًا عارفًا بمذاهب القوم ان الحكيم ماني زعم ان العالم مصنوع مركب من اصلين قديمين احدهما نور والاخر ظلمة وانهما ازليان لم يزالا ولن يزالا وانكروا وجود شي لا من اصل قديم وزعم انهما لم يزالا قوتين حسّاسين سميعين بصيرين وهما مع ذلك في النفس والصورة والفعل والتدبير متضادان وفي الحيّز متحاذيان تحاذي الشخص والظل وانما يتبين جواهرهما وافعالهما في هذا الجدول

Digitized by Google

النور	الظلمة
الجوهر	الجوهر
جوهره حسن فاضل كريم صافٍ نقي طيب الريح حسن المنظر	جوهرها قبيح ناقص لئيم كدر خبيث منتن الريح قبيح المنظر
النفس	النفس
نفسه خيرة كريمة حكيمة نافعة عالمة	نفسها شِرّيرة لئيمة سفيهة ضارّة جاهلة
الفعل	الفعل
فعله الخير والصلاح والنفع والسرور والترتيب والنظام والاتفاق	فعلها الشر والفساد والضر والغم والتشويش والتبتير والاختلاف
الحيّز	الحيّز
جهة فوق واكثرهم علي انه مرتفع من ناحية الشمال وزعم بعضهم انه بجنب الظلمة	جهة تحت واكثرهم علي انها منحطّة من ناحية الجنوب وزعم بعضهم انها بجنب النور
اجناسه	اجناسها
خمسة اربعة منها ابدان والخامس روحها فالابدان هي النار والنور والريح والماء وروحها النسيم وهي تتحرك في هذه الابدان	خمسة اربعة منها ابدان والخامس روحها فالابدان هي الحريق والظلمة والسموم والضباب وروحها الدخان وهي تدعي الهمامة وهي تتحرك في هذه الابدان
الصفات	الصفات
حية طاهرة خيرة زكية وقال بعضهم كون	خبيثة شِرّيرة نجسة دنسة وقال بعضهم

Digitized by Google

النور لم يزل علي مثال هذا العالم له ارض وجوّ وارض النور لم تزل لطيفة علي غير صورة هذه الارض بل هي علي صورة جرم الشمس وشعاعها كشعاع الشمس ورائحتها طيبة اطيب رائحة والوانها الوان قوس قزح وقال بعضهم ولا شي الا الجسم والاجسام علي ثلثة انواع ارض النور وهي خمسة وهناك جسم اخر الطف منه وهو الجو وهو نفس النور وجسم اخر وهو الطف منه وهو النسيم وهو روح النور قال ولم يزل يولد ملائكة والهة واولياء ليس علي سبيل المناكحة بل كما يتولّد الحكمة من الحكيم والنطق والطيب من الناطق وملك ذلك العالم هو روحه ويجمع عالمه الخير والحمد والنور

كون الظلمة لم يزل علي مثال هذا العالم لها ارض وجوّ فارض الظلمة لم تزل كثيفة علي غير صورة هذه الارض بل هي اكثف واصلب ورائحتها كريهة انتن الروائح والوانها لون السواد قال بعضهم ولا شي الا الجسم والاجسام علي ثلثة انواع ارض الظلمة وشي اخر اظلم منه وهو السموم قال ولم تزل تولّد الظلمة شياطين اراكنة وعفاريت لا علي سبيل المناكحة بل كما يتولد الحشرات من العفونات القذرة وقال وملك ذلك العالم هو روحه يجمع عالمه الشر والذميمة والظلمة

ثم اختلفت المانوية في المزاج وسببه والخلاص وسببه وقال بعضهم ان النور والظلام امتزجا بالخبط والاتّفاق لا بالقصد والاختيار وقال اكثرهم ان سبب المزاج ان ابدان الظلمة تشاغلت عن روحها بعض التشاغل فنظرت الي الروح فرات النور فبعثت الابدان علي ممازجة النور فاجابتها لاسراعها الي الشر فلما راي ذلك ملك النور وجّه اليها ملكًا من ملائكته في خمسة اجزاء من اجناسها

Digitized by Google

الخمسة فاختلطت الخمسة النورية بالخمسة الظلامية فخالط الدخان النسيم وانما الحيوة والروح في هذا العالم من النسيم والهلاك والافات من الدخان وخالط الحريق النار والنور الظلمة والسموم الريح والضباب الماء فما في العالم من منفعة وخير وبركة فمن اجناس النور وما فيه من مضرة وشر وفساد فمن اجناس الظلمة فلما راي ملك النور هذا الامتزاج امر ملكًا من ملائكته فخلق هذا العالم علي هذه الهيئة لتخلص اجناس النور من اجناس الظلمة وانما سارت الشمس والقمر وسائر النجوم لاستصفاء اجزاء النور من اجزاء الظلمة فالشمس تستصفي النور الذي امتزج بشياطين الحرّ والقمر يستصفي النور الذي امتزج بشياطين البرد والنسيم الذي في الارض لا يزال يرتفع لان من شانها الارتفاع الي عالمها وكذلك جميع اجزاء النور ابدًا في الصعود والارتفاع واجزاء الظلمة ابدًا في النزول والتسفل حتي تتخلص الاجزاء من الاجزاء ويبطل الامتزاج ويتحل التراكيب ويصل كل الي كله وعالمه وذلك هو القيامة والمعاد وقال ومما يعين في التخليص والتمييز ورفع اجزاء النور التسبيح والتقديس والكلام الطيب واعمال البرّ فيرتفع بذلك الاجزاء النورية في عمود الصبح الي فلك القمر فلا يزال القمر يقبل ذلك من اول الشهر الي النصف فيمتلئ فيصير بدرًا ثم يودي الي الشمس الي اخر الشهر فتدفع الشمس الي نور فوقها فيسري في ذلك العالم الي ان يصل الي النور الاعلي الخالص ولا يزال يفعل ذلك حتي لا يبقي من اجزاء النور شي في هذا العالم الا قدر يسير منعقد لا تقدر الشمس والقمر علي استصفائه فعند ذلك يرتفع الملك الذي يحمل الارض ويدع الملك الذي يجتذب السموات فيسقط الاعلي علي الاسفل ثم توقد نار حتي يضطرم الاعلي والاسفل ولا يزال يضطرم حتي يتحلل

Digitized by Google

ما فيها من النور ويكون مدة الاضطرام الفًا واربعماية وثمان وستين سنة وذكر الحكيم ماني في باب الالف من الجبلة وفي اول الشابرقان ان ملك عالم النور في كل ارضه لا يخلوا منه شي وانه ظاهر باطن وانه لا نهاية له الا من حيث تناهي ارضه الي ارض عدوه وقال ايضًا ان ملك عالم النور في سُرّة ارضه وذكر ان المزاج القديم هو امتزاج الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والمزاج المحدث الخير والشر وقد فرض ماني علي اصحابه العشر في الاموال والصلوات الاربع في اليوم والليلة والدعاء الي الحق وترك الكذب والقتل والسرقة والزنا والبخل والسحر وعبادة الاوثان وان ياتي علي ذي روح ما يكره ان يوتي اليه بمثله واعتقاده في الشرائع والانبياء ان اول من بعث الله بالعلم والحكمة ادم ابو البشر ثم شيثًا بعده ثم نوحًا بعده ثم ابرهيم بعده عليهم السلم ثم بعث بالبدْنة الي ارض الهند وزرادشت الي ارض فارس والمسيح كلمة الله وروحه الي ارض الروم والمغرب وفولس بعد المسيح اليهم ثم ياتي خاتم النبيين الي ارض العرب وزعم ابو سعيد المانوي رئيس من رؤسائهم ان الذي مضي من المزاج الي الوقت الذي هو فيه وهو سنة احدي وسبعين ومايتين من الهجرة احد عشر الفًا وسبع ماية سنة وان الذي بقي الي وقت الخلاص ثلثماية سنة وعلي مذهبه مدّة المزاج اثنا عشر الف سنة فيكون قد بقي من المدّة خمسون سنة من زماننا هذا وهو احدي وعشرون وخمس ماية هجرية فنحن في اخر المزاج وبدو الخلاص فالي الخلاص الكلي وانحلال التراكيب خمسون سنة والله اعلم

المزدكية هو مزدك الذي ظهر في ايام قباد والد نوشروان ودعا قباد الي مذهبه فاجابه واطلع نوشروان علي خزيه وافترائه فطلبه فوجده فقتله حكي الوراق ان

Digitized by Google

قول المزدكية كقول كثير من المانوية في الكونين والاصلين الا ان مزدك كان يقول ان النور يفعل بالقصد والاختيار والظلمة يفعل علي الخبط والاتّفاق والنور عالم حسّاس والظلام جاهل اعمي وان المزاج كان علي الاتّفاق والخبط لا بالقصد والاختيار وكذلك الخلاص انما يقع باتّفاق دون الاختيار وكان مزدك ينهي الناس عن المخالفة والمباغضة والقتال ولما كان اكثر ذلك انما يقع بسبب النساء والاموال فاحلّ النساء واباح الاموال وجعل الناس شركة فيها كاشتراكهم في الماء والنار والكلاء وحكي عنه انه امر بقتل الانفس ليخلّصها من الشر ومزاج الظلمة ومذهبه في الاصول والاركان انها ثلثة الماء والنار والارض ولما اختلطت حدث عنها مدبّر الخير ومدبر الشر فما كان من صفوها فهو مدبّر الخير وما كان من كدرها فهو مدبر الشر وروي عنه ان معبوده قاعد علي كرسيه في العالم الاعلي علي هيئة قعود خسرو في العالم الاسفل وبين يديه اربع قوي قوة التمييز والفهم والحفظ والسرور كما بين يدي خسرو اربعة اشخاص موبدان موبد والهربد الاكبر والاصبهبد والرامشكر وتلك الاربع يدبرون امر العالمين بسبعة من وزرائهم سالار وبيشكار وبالون وبروان وكاردان ودستور وكودك وهذه السبعة تدور في اثني عشر روحانين خوانندة دهندة ستانندة برندة خورندة دوندة خيزندة كشندة زنندة كنندة آيندة شوندة پايندة وكل انسان اجتمعت له هذه القوي الاربع والسبعة والاثني عشر صار ربانياً في العالم السفلي وارتفع عنه التكليف قال وان خسرو بالعالم الاعلي انما يدبر بالحروف التي مجموعها الاسم الاعظم ومن تصوّر من تلك الحروف شيئاً انفتح له السر الاكبر ومن حرم ذلك بقي في عمي الجهل والنسيان والبلادة والغم في مقابلة القوي الاربع الروحانية وهم فرق

Digitized by Google

الكوذكية وابومسلمية والماهانية والاسبيدجامكية والكوذكية بنواحي الاهواز وفارس وشهرزور والاخر بنواحي سغد سمرقند والشاش وايلاق

الديصانية اصحاب ديصان اثبتوا اصلين نوراً وظلاماً فالنور يفعل الخير قصداً واختياراً والظلام يفعل الشر طبعاً واضطراراً فما كان من خير ونفع وطيب وحسن فمن النور وما كان من شر وضر ونتن وقبح فمن الظلام وزعموا ان النور حي عالم قادر حسّاس درّاك ومنه يكون الحركة والحيوة والظلام ميّت جاهل عاجز جماد موات لا فعل لها ولا تمييز وزعموا ان الشر يقع منه طباعاً وخرقاً وزعموا ان النور جنس واحد وكذلك الظلام جنس واحد وان ادراك النور ادراك متّفق وان سمعه وبصره وسائر حواسه شي واحد فسمعه هو بصره وبصره هو حواسه وانما قيل سميع بصير لاختلاف التركيب لا لانهما في نفسهما شيئان مختلفان وزعموا ان اللون هو الطعم وهو الرائحة وهو المجسّة وانما وجده لوناً لان الظلمة خالطته ضرباً من المخالطة ووجده طعماً لانها خالطته بخلاف ذلك الضرب وكذلك تقول في لون الظلمة وطعمها ورائحتها ومجسّتها وزعموا ان النور بياض كله وان الظلمة سواد كلها وزعموا ان النور لم يزل يلقي الظلمة باسفل صفحته منه وان الظلمة لم تزل تلقاه باعلي صفحته منها واختلفوا في المزاج والخلاص فزعم بعضهم ان النور داخل الظلمة والظلمة تلقاه بخشونة وغلظ فتاذّي بها واحبّ ان يرقّقها ويليّنها ثم يتخلص منها وليس ذلك لاختلاف جنسهما ولكن كما ان المنشار جنسه حديد وصفحته لينة واسنانه خشنة فاللين في النور والخشونة في الظلمة وهما جنس واحد فتلطف النور بلينه حتي يدخل تلك الفرج فما امكنه الا بتلك الخشونة فلا يتصور الوصول الي كمال ووجود الا بلين وخشونة

Digitized by Google

وقال بعضهم بل الظلام لما احتال حتي تشبّث بالنور من اسفل صفحته فاجتهد النور حتي يتخلّص منه ويدفعها عن نفسه فاعتمد عليه فلصج فيه وذلك بمنزلة الانسان الذي يريد الخروج من وحل وقع فيه فيعتمد علي رجله ليخرج فيزداد لجوجًا فيه فاحتاج النور الي زمان ليعالج التخلص منه والتفرد بعالمه وقال بعضهم ان النور انما دخل الظلام اختيارًا ليصلحها ويستخرج منها اجزاء صالحة لعالمه فلما دخل تشبّث به زمانًا فصار يفعل الجور والقبيح اضطرارًا لا اختيارًا ولو انفرد في عالمه ما كان يحصل منه الا الخير المحض والحسن البحت وفرق بين الفعل الضروري والفعل الاختياري

المرقونية اثبتوا قديمين اصلين متضادّين احدهما النور والاخر الظلمة واثبتوا اصلًا ثالثًا هو المعدّل الجامع وهو سبب المزاج فان المتنافرين المتضادّين لا يمتزجان الا بجامع وقالوا الجامع دون النور في الرتبة وفوق الظلمة وحصل من الاجتماع والامتزاج هذا العالم ومنهم من يقول الامتزاج انما حصل بين الظلمة والمعدّل اذ هو قريب منها فامتزج به ليتطيّب به ويلتذّ بملاذّه فبعث النور الي العالم الممتزج روحًا مسيحية وهو روح الله وابنه تحنّنًا علي المعدّل السليم الواقع في شبكة الظلام الرجيم حتي يخلّصه من حبائل الشياطين فمن اتبعه فلا يلامس النساء ولم يقرب الزهومات افلت ونجا ومن خالفه خسر وهلك قالوا وانما اثبتنا المعدّل لان النور الذي هو الله تعالي لايجوز عليه مخالطة الشيطان وايضاً فان الضدّين يتنافران طبعاً ويتمانعان ذاتًا ونفساً فكيف يجوز اجتماعهما وامتزاجهما فلا بد من معدّل يكون منزلته دون النور وفوق الظلام فيقع المزاج معه وهذا علي خلاف ما قاله المانوية وان كان ديصان اقدم

Digitized by Google

وانما اخذ مافي منه مذهبه وخالفه في المعدّل وهو ايضاً خلاف ما قال زرادشت فانه يثبت التضادّ بين النور والظلمة ويثبت المعدل كالحاكم علي الخصمين الجامع بين المتضادين لا يجوز ان يكون طبعه وجوهره من احد الضدّين وهو الله عزوجل الذي لا ضدّ له ولا ندّ وحكي محمد بن شبيب عن الديصانية انهم زعموا ان المعدّل هو الانسان الحسّاس الدرّاك اذ هو ليس بنور محض ولا ظلام محض وحكي عنهم انهم يرون المناكحة وكل ما فيه منفعة لبدنه وروحه حراماً ويحترزون عن ذبح الحيوان لما فيه من الالم وحكي عن قوم من الثنوية ان النور والظلمة لم يزالا حيّين الا ان النور حساس عالم والظلام جاهل اعمي والنور يتحرك حركة مستوية والظلام يتحرك حركة عجرفية خرقاً معوجة فبينا كذلك اذ هجم بعض هامات الظلام علي حاشية من حواشي النور فابتلع النور منه قطعة علي الجهل لا علي القصد والعلم وذلك كالطفل الذي لا يفصل بين الحمرة والتمرة وكان ذلك سبب المزاج ثم ان النور الاعظم دبّر في الخلاص فبني هذا العالم ليستخلص ما امتزج به من النور ولم يمكنه استخلاصه الا بهذا التدبير

الكينوية والصيامية واصحاب التناسخ منهم حكي جماعة من المتكلمين ان الكينوية زعموا ان الاصول ثلثة النار والارض والماء وانما حدثت الموجودات من هذه الاصول دون الاصلين الذين اثبتهما الثنوية قالوا والنار بطبعها خيرة نورانية والماء ضدّها في الطبع فما رايت من خير في هذا العالم فمن النار وما كان من شر فمن الماء والارض متوسطة وهولاء يتعصبون للنار شديداً من حيث انها علوية نورانية لطيفة لا وجود الا بها ولا بقاء الا بامدادها والماء يخالفها في الطبع

Digitized by Google

فيخالفها في الفعل والارض متوسطة بينهما فتركب العالم من هذه الاصول والصيامية منهم من امسكوا عن طيبات الرزق وتجرّدوا لعبادة الله وتوجهوا في عباداتهم الي النيران تعظيماً لها وامسكوا ايضًا عن النكاح والذبائح والتناسخية منهم قالوا بتناسخ الارواح في الاجساد والانتقال من شخص الي شخص وما يلقي من الراحة والتعب والدعة والنصب فمرتب علي ما اسلفه قبل وهو في بدن اخر جزاء علي ذلك والانسان ابدًا في احد امرين اما في فعل واما في جزاء وما هو فيه فاما مكافاة علي عمل قدّمه واما عمل ينتظر المكافاة عليه والجنة والنار في هذه الابدان واعلي عليين درجة النبوة واسفل السافلين دركة الحية فلا وجود اعلي من درجة الرسالة ولا وجود اسفل من دركة الحيّة ومنهم من يقول المدرج الاعلي درجة الملائكة والاسفل دركة الشيطانية ويخالفون بهذا المذهب سائر الثنوية فانهم يعنون بايام الخلاص رجوع اجزاء النور الي عالمه الشريف الحميد وبقاء اجزاء الظلام في عالمه الخسيس الذميم

واما بيوت النيران للمجوس فاول بيت بناه افريدون بيت ناربطوس واخر بمدينة بخارا هو بردسون واتخذ بهمن بيتًا بسجستان يدعي كركرا ولهم بيت نار في نواحي بخارا يدعي قباذان وبيت نار يسمّي كويسه بين فارس واصبهان بناه كيخسرو واخر بقومس يسمّي جرير وبيت ناريسمي كنكدز بناه سياوش في مشرق الصين واخر بارجان من فارس اتخذه ارجان جدّ كشتاسف وهذه البيوت كانت قبل زرادشت ثم جدّد زرادشت بيت نار بنيسابور واخر بنسا وامر كشتاسف ان يطلب نارًا كان يعظّمها جم فوجدوها بمدينة خوارزم فنقلها الي دارابجرد ويسمّي آذرخوا والمجوس يعظّمونها اكثر من غيرها وكيخسرو

لما خرج الي غزو افراسياب عظّمها وسجد لها ويقال ان نوشروان هو الذي نقلها الي الكارمان فتركوا بعضها وحملوا بعضها الي نسا وفي بلاد الروم علي باب قسطنطنية بيت نار اتخذه شابور بن اردشير فلم يزل كذلك الي ايام المهدي وبيت نار باسفينيا علي قرب مدينة السلم لتوران بنت كسري وكذلك بالهند والصين بيوت نيران واما اليونانيون فكان لهم ثلثة ابيات ليست فيها نار وذكرناها والمجوس انما يعظّمون النار لمعانٍ منها انها جوهر شريف علوي ومنها انها ما احرقت ابرهيم الخليل عليه السلم ومنها ظنهم ان التعظيم يحجبهم في المعاد عن عذاب النار وبالجملة هي قبلة لهم ووسيلة واشارة

انتهي ذكر اصناف الملل

تجز الجزؤ الاول من كتاب الملل والنحل

ويتلوه في الجزؤ الثاني

ذكر اهل الاهواء والنحل

LIBRARY OF THE UNION THEOLOGICAL SEMINARY NEW YORK

Digitized by Google